بسم الله الرحمن الرحيم

الاستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء

بين تفكير الجند وتجنيد الفكر

ISBN 978-9933-489-78-6

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٣: ٢٣٠٦

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٧٨٦

الحسني، نبيل قدوري حسن، ١٩٦٥ - م.

الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر / دراسة وتحليل وتحقيق نبيل الحسني الكربلائي. - الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م.

٣٠٤ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٢٨).

المصادر: ص.٢٨١ - ٢٨٩ وكذلك في الحاشية.

١. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. الإستراتيجية - دراسة وتحقيق. ٢. الإستراتيجية . ٣.القادة العسكريين - أخلاقيات. ٤. الحسين بن علي (ع)، ٤ - ٦١هـ. أصحاب - شهادة. ٥. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. - الحرب التكتيكية . ٦. واقعة كربلاء، ٦١ هـ. نتائج وتأثيرات. ٧ . الأسلحة الحربية - أشكال. ٨. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ . - الحرب النفسية - أسباب اجتماعية. ألف. العنوان.

BP 193.13.A2 H3764 2014
BP 41.8.H3764 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

الاستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء

بين تفكير الجند وتجنيد الفكر

دراسة في ضوء القرآن والسّنّة والتّأريخ

وفنّ الحرب وعلم النفس العسكري

دراسةُ وتحليلُ وتحقيقُ

السّيّد نبيل الحسنيّ

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله عليه

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى من قال له الحسين عليه السلام:

«بنفسي أنت»[1].

ولم يسمعها أحد غيره.

إلى من كانت رؤيته تبعث على الطمأنينة وتشعر النفس بالأمن والقلب بالسكينة.

إلى قائد الكتيبة، وحامي الظعينة، وقمر العشيرة.

إلى طاحن العسكر، وفاري الغضنفر.

إلى حامل اللواء في يوم عاشوراء.

إلى سيدي ومولاي أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أهدي هذا الجهد المتواضع

لعله ينال منكم الرضا والقبول.

خاد[illegible]لدكم نبيل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣١٥.

مقدمة الكتاب

لم تزل واقعة عاشوراء ترشق الذهن بالمئات من الأسئلة في كل اتجاه فكري لتبعث العقل للتأمل والبحث والدراسة، فكان منها: كيف عزم الإمام الحسين عليه السلام على قتال الآلاف من المقاتلين المدججين بالأسلحة وهو بهذه القلة القليلة من الأصحاب والأهل.

وهو القائل:

«ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر»[1].

وهذه المرتكزات التي تضمنها كلامه عليه السلام كلها موانع من خوض القتال من المنظور العسكري إلاّ أنّها وبحسب إستراتيجية الحرب وبلوغ الهدف كانت مرتكزات للنصر الحاسم.

وهو ما دفعنا للبحث والدراسة في الوقوف عند تلك الإستراتيجية الحربية التي اعتمدها سيد شباب أهل الجنة في حربه ضد الفساد والظلم والاستبداد.

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٤٠؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص٨٣.

فحشد لها كل مقومات النصر من دراسة عقيدة العدو، ومشروعه الإعلامي، وعدته القتالية، وغيرها من وسائل الحرب؛ فأعد لها عدتها وحاربها وانتصر عليها.

ولعل السؤال لم يزل قائماً: كيف له بهذه الأسرة التي تعد بحد ذاتها مانعاً قويا يحول دون الدخول في المعركة ويجبر القائد أو المحارب من الاقتتال والنزول عند شروط العدو؛ لكنها عند الإمام الحسين عليه السلام كما هي القلة في العدد، وكثرة العدو، عوامل للنصر والوصول إلى تحقيق الهدف.

ولعل القارئ الكريم يزداد عجباً من هذه النتيجة التي توصلنا إليها من خلال الدراسة؛ وذلك أننا وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان يسير في حياته - كما هو حال كل معصوم - مرتبطاً بالقرآن الكريم الذي يقدم لنا نماذج عديدة في كيفية بلوغ النصر وتحقيق الهدف في خضم الظروف الصعبة التي تجعل العقل عاجزاً عن التفكير بها، وإذا فكر بها كان أعجز من الوصول إلى قبول سيرها وعملها فكيف له باليقين بنتائجها الايجابية؟!

ومثال واحد على ذلك: إن تقدم امرأة على إلقاء طفلها الرضيع في البحر بعد أن تضعه في صندوق لتسوقه الملائكة إلى عدو الله فرعون لينشأ في بيته ويكون سقوط ملكه وموته على يد نبي الله موسى عليه السلام.

فهذه الحادثة لا يمكن إخضاعها للموازين المنطقية والعقلية دون إرجاعها إلى الله تعالى والتسليم لأمره وحكمته ولطف تدبيره، ومن ثم الانشغال في التفكير بهذا الصنع الإلهي بغية تعلّم كيفية التعامل مع الأحداث في الحياة.

وفي دراستنا للإستراتيجية الحربية في يوم عاشوراء نحاول فهم تلك

المعطيات والوسائل التي اعتمدها الإمام الحسين عليه السلام في حربه ضد الظلم والفساد كي نصل إلى معرفة السبل التي تمكن الإنسان من الإصلاح للنفس أولاً وللأسرة ثانياً وللمجتمع ثالثاً.

وإن بلوغ الهدف وتحقيق النصر أمر ممكن النوال مع (قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر) كما صنع سيد الأحرار الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما ما يتعلق في الدراسة والبحث فقد حاولنا جاهدين أن نتعرف على الوسائل العسكرية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في قتاله لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عاشوراء.

إذ يقتضي أن يقوم الإمام الحسين عليه السلام بتهيئة كل الوسائل الممكنة عسكرياً لأجل إنجاح هدفه في حربه على الفساد وبلوغ النصر وهو الإصلاح في أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف استطاع عليه السلام من إزالة هذه الموانع التي تراكمت كتراكم الصفوف وعسكرة المقاتلين على أرض كربلاء وبلوغ المقتضي في دخوله المعركة والقتال ليبلغ الفتح الذي أخبر عنه حينما خرج (فدعا بقرطاس وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح»[(١)].

وعليه:

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص٥٠٢.

لابد لنا من الرجوع إلى ما كتبه الخبراء والقادة العسكريون في الوصول إلى فهم تلك التدابير العسكرية من ناحية؛ ومن ناحية أخرى الحصول على دروس وحقائق ومناهج في القتال وأنواع الاستراتيجيات المستخدمة سواء على صعيد الدفاع أو الهجوم في المعركة؛ أو في أصل قيام الحرب وهي العقيدة التي كان يقاتل من أجلها طرفا المعركة في يوم عاشوراء.

ولذلك:

جاءت الدراسة في مباحثها لبيان أن ساحة الطف في كربلاء كانت مسرحاً تقابل عليه الجند والفكر، فسعى قادة الجند لعسكرة كل الوسائل وصرف جميع الإمكانيات لقتل الفكر، وفي الجهة الأخرى جاء قادة الفكر لتجنيده في قتال الجهل والفساد والظلم وبلوغ الهدف في إصلاح الإنسان؛ الذي بصلاحه يصلح كل شيء؛ ولا يصلح الإنسان إلا بصلاح الفكر.

فكانت هذه الدراسة لهذا الغرض، أي معرفة الوسائل التي تجند الفكر لغرض الإصلاح، وإن كانت منها الوسيلة العسكرية وحمل السيف والاشتباك مع العدو.

ولقد توصلت الدراسة إلى أن عاشوراء مدرسة في كل عناوينها، ومنها العنوان العسكري والحربي، وسيجد القارئ الكريم أن عاشوراء شهدت أعقد الاستراتيجيات الدفاعية والهجومية التي أذهلت العدو وحيرت قادته العسكريين؛ فضلاً عن تجلي قطب رحى الحرب وهو العقيدة في التوحيد.

أما ما واجهنا من معوّقات، فهي:

١ - إن الرواة لم يسجلوا تفاصيل المعركة كاملة، وإنما كانوا يعتمدون على بعض المشاهد في المعركة مما أفقد الدراسة عنوانين مهمين في المجال العسكري والاستراتيجي والدليل على ذلك:

استمرار القتال منذ الصباح من يوم العاشر وإلى العصر منه وهو أمر في غاية الغرابة إذ يقتضي الحال وبحسب الموازين العسكرية أن لا تدوم المعركة سوى ساعة أو ساعتين؛ وذلك لاختلاف ميزان القوى العسكرية بشكل كبير إلا أننا نجد النص التاريخي يتحدث عن عجز هذه الجيوش عن تحقيق نصر بالمعنى العسكري.

٢ - إخفاء الرواة لطريقة قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته فضلاً عنه صلوات الله عليه؛ بل: إن الرواة والمؤرخين قد تجاهلوا كثيراً فيما يتعلق بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام فلم يأتوا حتى على ذكر أسمائهم، فكيف بتفاصيل قتالهم على الرغم من أن العرب تهتم بالمآثر في ساحة القتال وتتفاخر فيما بينها بفرسانها، وهو أمر لا يحتاج إلى تدليل.

مما يكشف عن أن هذا التعتيم والتضييع لهذه البطولات في يوم الطف هي من الوسائل المستخدمة في هذه الحرب كما هو شأن الإعلام في الوقت الحالي وتفاوته في نقل الحدث الذي لا يخدم مصالح الجهة الراعية لهذه المؤسسة الإعلامية أو تلك.

٣ - اعتماد الباحثين في العلوم العسكرية على النظريات والخبرات التي كتبها القادة العسكريون وهم يعتمدون على دراسة المعارك اليونانية أو الأغريقية؛ بل وجدنا أن بعض الكتاب المعاصرين يرجعون في كتاباتهم إلى الخبرات

والحِكَمِ المستقاة منذ ما قبل الميلاد، لكنهم تجاهلوا الانجازات العسكرية الإسلامية.

أما الكتابات في هذا المجال أي الإستراتيجية العسكرية للباحثين الإسلاميين فتكاد تكون نادرة - بحسب ما أسعفنا البحث -.

ولذا: كنا نتمنى أن نقدم للقراء الكرام رؤية أكثر سعة مما وفقنا الله له وقادنا البحث إليه.

٤ - إن من الصعوبات الكبيرة التي واجهتنا في الدراسة الوقوف بشكل دقيق على سير المعركة ومن برز من الأصحاب قبل الآخر؛ فضلاً عن بعض النصوص التي ذكرتها المقاتل كالحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون رجلاً من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهم في أول المعركة وهو ما لا صحة له، إذ لا يمكن من الناحية الإستراتيجية والدفاعية أن يخسر الإمام الحسين عليه السلام هذا العدد فيأذن لهم بالقتال والمعركة في أول وقوعها؛ فكيف له أن يستمر بالقتال؛ فضلاً عن مخالفته لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحرب - كما سيمر - ومخالفته للنصوص التاريخية التي تنص على قتال الفرسان البالغ عددهم اثنين وثلاثين وقيامهم بفنون قتالية وإستراتيجية أعجزت العدو عن المواجهة وكبدته خسائر فادحة أخلت بموازين القوى فكانت عنصراً مهما فمن تحقيق الانتصار في الحرب وإن خسروا المعركة على أرض الطف.

ولذا: حاولنا الوقوف عند المجريات الصحيحة للمعركة والرجوع إلى المصادر الأساس في ذكرها.

٥ - أما ما يخص قتال أهل البيت عليهم السلام ومجرياته من حيث تسلسلهم في النزول للقتال وكيفية استشهادهم صلوات الله عليهم فقد ارتأينا عدم ذكره مفصلاً كي لا يكون الكتاب من ضمن المقاتل واكتفينا بما يتناسب مع منهج البحث في الدراسة وهو التوقف عند الإستراتيجية العسكرية وبيان نظام القتال الذي اعتمده أهل البيت عليهم السلام، فجاء ذكرهم مختصراً.

٦ - أما ما يختص قتال سيد الشهداء عليه السلام وإستراتيجيته في الهجوم فقد حاولنا بيانه بما يتناسب مع عنوان البحث؛ إلا أنني وجدت الأمر عسيراً في تجنب ذكر ما جرى عليه بأبي وأمي ونفسي؛ فبين التقييد بالمنهج البحثي وبين الألم والحسرة والتفجع في قراءة سيرته فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا يخفى على الباحث: أن الكتابة عن عاشوراء وإن أجهد الباحث نفسه في قراءة مفرداتها ودراستها فإنه لن يستطيع الإحاطة بمكنوناتها ومعانيها، فعذراً لكل نقص لم يسعفنا الجهد أو التأمل أو البحث عن بيانه.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١). ﴿...وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٢). ﴿...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٣).

٥ / ربيع الثاني / ١٤٣٤هـ - ١٦/٢/٢٠١٣م - كربلاء المقدسة

السيد بن السيد نبيل بن السيد قدوري بن السيد حسن بن السيد علوان الحسني الكربلائي

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٨٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

المبحث الأول

معنى الإستراتيجية وتعريفها

المسألة الأولى: تعريف الإستراتيجية

لاشك أن الناظر إلى لفظ (الإستراتيجية) ينصرف ذهنه مباشرة إلى أنها كلمة غير عربية ولذا لا يوجد لها معنى في القواميس الموضوعة لمعاني اللغة العربية ومفرداتها.

وعليه:

قادتنا اللفظة للبحث عن معانيها في المصادر التي جعلت منها عنواناً لدراستها وبحوثها لاسيما تلك التي اهتمت بالعلوم العسكرية وذلك لكثرة ورودها واستخدامها في الحرب وشؤونها.

(فكلمة: (إستراتيجية) مشتقة من الكلمة الأغريقية (ستراتيجوس) التي تعني حرفياً (قائد الجيش).

فالإستراتيجية بهذا المعنى كانت فن قيادة المجهود الحربي برمته، والتقرير، أي: تشكيلات عسكرية ينبغي تعبئتها للحرب، وأي أرض يقاتل عليها، وأي مناورات يمكن استعمالها لكسب التقدم على العدو)[1].

---

(١) كتاب ٣٣ إستراتيجية للحرب، تأليف: روبرت غرين: ص١٩.

ولـم يكـن هـذا التعريـف متفقـاً عليـه لـدى الفلاسـفة والحكمـاء والقـادة العسكريين، فقد عرّف (كلوزفيتس الإستراتيجية في كتابه المشهور بأنها: (فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب؛ أي إن الإستراتيجية تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب، كما تحدد الاشتباكات التي ستقع في كل معركة)[(١)].

ومن عيوب هذا التعريف أنه يدخل هذه الفكرة في حقل السياسة أو في مستوى قيادة الحرب وهذه أمور تتعلق بمسؤولية الدولة لا بحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بإدارة العمليات وتنفيذها.

والعيب الآخر في هذا التعريف هو تحديده لمعنى (الإستراتيجية) فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط: أي تكريس كل الاعتبارات والإمكانيات في الحرب للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح.

ولقد قدم (مولتكه) تعريفا أوضح وأفضل للإستراتيجية إذ قال: (إنها إجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد إلى الهدف المطلوب).

ويحدد هذا التعريف مسؤولية القائد العام أمام الدولة التي يخدمها، وتبقى هذه المسؤولية ضمن حدود استخدام القوات المسلحة الموضوعة تحت تصرفه في حقل العمليات المحدد لتحقيق مصالح السياسة العليا للحرب على أفضل وجه، فإذا وجد الوسائل التي تحت يديه غير كافية للمهمة المحددة له كان من حقه التنبيه لذلك، فإن لم يؤخذ رأيه بعين الاعتبار كان من حقه رفض القيادة أو الاستقالة دون

---

(١) المصدر السابق نفسه.

أن يفرض على حكومته الوسائل التي يجب أن توضع تحت تصرفه؛ لأن في ذلك خروجا على حدود اختصاصاته ومن جهة أخرى فإن الحكومة هي التي تضع سياسة الحرب، وعليها أن تؤمن توافقها واتساقها خلال الحرب تجاه الظروف التي تظهر مخالفة لما كان متوقعاً، ويمكنها أن تتدخل في إستراتيجية معركة كبرى لا باستبدال القائد العسكري الذي فقدت ثقتها به فحسب، بل بتعديل الهدف المحدد ليتلاءم مع التشاور فيما بين رئيس السلطة الحاكمة والقيادة العسكرية[١].

وهذا فيما يختص بالدولة وقيادتها العسكرية حيث تستند الإستراتيجية إلى التشاور فيما بين رئيس السلطة الحاكمة والقيادة العسكرية.

إلا أن (بزيادة تعقد المجتمعات الإنسانية، تطورت صيغة استخدام الإستراتيجية ففي المجال العسكري نفسه تطورت وتنوعت الإستراتيجية إلى أنواع عديدة مثل: إستراتيجية الهجوم والدفاع، والهجوم المضاد أو ألفابيانية[٢] -التي تهدف بالأساس إلى عدم الاشتباك - ، والردع الحاسم والذري، وآخرها وهي ليست بالأخيرة إستراتيجية حرب النجوم المتضمنة خط ماجينو الفضائي.

وللتأكد من أن الإستراتيجية هي من بنات الحرب يمكن الاستدلال من خلال بعض التعاريف لكبار الاستراتيجيين.

---

(١) الإستراتيجية وتاريخها في العالم، تأليف: ج.ل. ليدل هارت، ترجمة الهيثم الأيوبي: ص٢٧٤.

(٢) (الإستراتيجية ألفابيانية): تنسب إلى فابيوس المدعو (بالمماطل (٢٧٧/٢٠٣ ق.م) وهي إستراتيجية ذات أهداف محددة تعتمد على تعطيل العدو وتحطيم معنوياته وضرب مؤخرته ومركز اتصاله وتمويه وتفادي الاشتباك معه في أية معارك حاسمة، بل أن القائد يحقق أهداف المعارك بدون معارك يجبر عدوه على التسليم.

ولقد رأى ستالين: أن الإستراتيجية تستهدف كسب الحرب، وعرفت العسكرية الأمريكية الإستراتيجية العسكرية بأنها: (فن وعلم تطوير واستخدام القوات المسلحة لتحقيق أهداف السياسة العسكرية سواء باستخدام القوة أو التهديد أو الاثنين معا).

تتجلى من التعاريف أعلاه، النظرة العسكرية البحتة لمفهوم الإستراتيجية، على أنها نظرية استخدام المعارك.

وعلى وفق ذلك، رفض الباحثون في الإستراتيجية أن يعدوا الاشتباك الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الحرب نظراً لتطوير أشكال القتال وعدم اقتصاره على المعارك الحاسمة وضمن هذه النظرة عرف القائد الألماني (فون مولتكه) (Von Molitke) الإستراتيجية بأنها: (فن الاستخدام الواقعي للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد العسكري لتحقيق أهداف الحرب).

وقد اكتشف الباحثون في هذا المجال أن أهداف الإستراتيجية هي ليست الحرب ولأن الأخيرة هي غاية الدولة، وإنما تستخدم الدولة الحرب لتحقيق أهداف سياساتها التي تؤثر عليها قيود مختلفة.

وعلى ذلك، يكون من غير المنطقي إبقاء تعريف الإستراتيجية ضمن الحدود الضيقة لنظرية الحرب وعدم إمكانية تحقيق الأهداف السياسية إلا من خلال الوسائل العسكرية بدون استخدام الوسائل المختلفة للقوة، لذا لم تعد التعاريف السابقة شاملة للمتغيرات التي تتعامل معها الإستراتيجية بمعناها الأوسع.

هكذا تطورت الإستراتيجية العسكرية وتوسع مفهوم الإستراتيجية لتتحول

إلى الإستراتيجية العامة التي تشكل أعلى مستويات فن الحرب للدولة التي تعني فن استخدام كل موارد الدولة (أو مجموعة من الدول) لتحقيق أهدافها السياسية العليا في الحرب والسلام.

وعلى وفق هذه الرؤية عرف ليدل هارت (Liddle Hart) الإستراتيجية بأنها: (فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة) (٣٩٩/٢٢).

وبذات التصور عرفها الجنرال أندريه بوفر (Bover) على أنها: (فن استخدام القوة للوصول إلى الأهداف السياسية) وعدها دراسة العمل الحاضر وتنظيمه في ضوء معطيات المستقبل، وهي العمل المعاصر الذي يستمر في التنفيذ ضمن إطار رؤية منظمة للتطور المقبل بمجموعه، وبفرض ترجيح بعض الإمكانات أكثر من غيرها، واختيار تلك الإمكانات المتوفرة وتأمين عملها للوصول إلى الهدف.

وعرف الإستراتيجية العامة تعريفاً واسعاً يشمل كل ميادين الدولة وذلك من قبل العسكرية الأمريكية، والموسوعة السياسية، حيث عرفتها الموسوعة السياسية بأنها: (فن وعلم وضع المخططات العامة المدروسة بعناية تامة لاستخدام دولة ما للموارد، أو أي شكل من أشكال القوة المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهداف محددة لها) (٤٢/١٥).

أما العسكرية الأمريكية فقد عرفتها بأنها: (فن وعلم تطوير واستخدام القوى السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية للدولة أثناء الحرب والسلم لتحقيق الأهداف والغايات السياسية الدولية) (٢٦/٣٢٠).

ولشمول الإستراتيجية الكبرى لكل من التكنولوجيا والإعلام فقد طور تعريف الإستراتيجية إلى أنها (فن وعلم تطوير واستخدام القوى المتاحة بما فيها القوى العسكرية أثناء الحرب والسلم لتحقيق الأهداف والغايات والسياسات للدولة).

ولم تحصر رؤية الآخرين للإستراتيجية ضمن النظرة العسكرية فقط كما عرفها فون مولتكه (Von Molitke)، ففي الوقت الذي يحددون العمل العسكري الناجح بأنه (القدرة على استخدام الأفراد والتشكيلات والأسلحة بصورة صحيحة وباتجاه هدف واحد هو تحقيق النصر) ليؤكدوا على أن تنطلق الإستراتيجية العسكرية من فهم الإستراتيجية العامة وأن ترتبط وتتجه الاستراتيجيات الأخرى بالإستراتيجية العامة للدولة.

ومن هنا، جاءت نظرتهم للإستراتيجية تحمل إدانة نقدية للآراء التي تنظر للإستراتيجية نظرة محددة من خلال بنائها على مرتكزات التفكير الاستراتيجي العام الذي لا يقتصر على حالة الحرب بل يعنى بحالتي الحرب والسلام معاً، وفي الوقت ذاته يرعى الخيارات والصيغ التي يأخذ العمل الاستراتيجي شكله فيها حيث تكون الأرضية الفكرية والسياسية وكل العوامل المرتبطة به والناجمة عنه اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً مصممة على شكل معين.

يستلزم هذا التصميم صيغة معينة من العلاقة مع الجماهير وفي السياسة الدولية وفي بناء القوات المسلحة منسجمة مع أصل مرتكزات التصميم الذي كان مشيداً على أساس السعة والشمولية.

إلاّ أنهم، في الوقت نفسه لم يختلفوا عن الباحثين في تصورهم حول وجود علاقة ما بين الوسائل العسكرية والأهداف السياسية للدولة، أي بمعنى آخر، وجود العلاقة بين الإستراتيجية العسكرية والإستراتيجية العامة، حيث يجدون أن الإستراتيجية العسكرية يجب أن تنطلق من فهم الإستراتيجية العامة وترتكز على منطلقاتها المبدئية والسياسية في التصور وفي الحلول.

من هذه الرؤية انطلقوا ليؤكدوا بأن الإستراتيجية العسكرية ولدت في رحم الإستراتيجية العامة، وبذلك يذهبون في التوكيد على اشتراك وتفاعل القوانين العسكرية والسياسية اشتراكاً عميقاً، وخدمة القوانين العسكرية في جوانب أساسية القوانين السياسية وتحقيقها عن هذا الطريق، وهي على طول الخط في خدمة التفكير السياسي)[1].

المسألة الثانية: مفهوم الإستراتيجية

في الوقت الذي يبقى معنى الإستراتيجية وتعريفها مرهوناً بالحرب ومتعلقاتها فإن تعدد الثقافات وتغيير المفاهيم وتعددها أعطى للإستراتيجية مفهوماً آخر غير مفهومها العسكري.

إذ (مع أن كلمة (إستراتيجية) بحد ذاتها ذات أصل أغريقي، فإن مفهومها يظهر في الثقافات كافة، في المراحل الزمنية كلها، كالمبادئ الصلبة حول كيفية التعامل مع الأحداث المحتومة في الحرب، وكيفية وضع الخطة الأفضل، وكيفية

---

(١) الإدارة الإستراتيجية، تأليف: د. هشام عبد الله الغريري: ص٢٤ – ٢٧.

تنظيم الجيش بأفضل الطرق، كل هذا يمكن العثور عليه في كتيبات الحرب من أيام الصين القديمة وصولاً إلى أوربا المعاصرة.

الهجوم المعاكس والمناورة الجابهية، أو السرية، وفنون الخداع كانت شائعة لدى جيوش جنكيز خان، ونابليون، وشاكا ملك الزولو، مجتمعة فإن هذه المبادئ والإستراتيجيات تشير إلى نوع من الحكمة العسكرية الكونية، مجموعة من المعايير التي يمكن اقتباسها والتي يمكن أن تزيد من فرص النصر.

ربما أعظم الاستراتيجيات على الإطلاق تلك التي ابتكرها (صان تسو) مؤلف الكتاب الصيني الكلاسيكي: (فن الحرب) في هذا الكتاب الذي ألف على الأرجح في القرن الرابع قبل الميلاد يمكن أن نجد آثاراً لكل المعايير والمبادئ الإستراتيجية التي طوّرت لاحقاً على مدى قرون من الزمن، لكن ما يربط بينهما جميعاً، في الحقيقة ما يشكل فن الحرب نفسه بالنسبة إلى صان تسو، هو مثال ربح الحرب من دون حمام دم؛ وذلك:

باللعب على نقاط الضعف النفسية عند الخصم، وبالمناورات التي تضعه في أوضاع مضطربة، وبالتسبب له بمشاعر الإحباط والإرباك، يستطيع الاستراتيجي أن يقود الخصم إلى الانهيار نفسياً، قبل الاستسلام بصورة مادية.

بهذه الطريقة يمكن تحقيق النصر بكلفة أقل بكثير؛ والدولة التي يمكنها تحقيق الازدهار لأزمنة أطول بكثير، وبالتأكيد ليست جميع الحروب تشن بطريقة عقلانية جداً، لكن تلك الحملات العسكرية عبر التأريخ التي اتبعت هذا المبدأ (مثل سيبو أفريكانوس في إلبانيا، ونابليون في الألم، وت.إ.لورنس في الحملات

الصحراوية خلال الحرب العالمية الأولى) تظل أبرز من غيرها وتخدم كمثال للإستراتيجية.

إن الحرب ليست مجالاً منفصلاً عن بقية المجتمع، إنها ميدان بشري بامتياز، يبرز فيه أفضل وأسوأ ما في طبيعتنا، كما أن الحرب تعكس نزعات المجتمع واتجاهاته.

فالتطور نحو استراتجيات حرب غير تقليدية وأكثر قذارة - حرب العصابات، الإرهاب - تعكس تطوراً مماثلا في المجتمع، حيث يصيب كل شيء تقريباً.

الاستراتيجيات التي تنجح في الحرب، سواء أكانت تقليدية أم غير تقليدية، مبنية على سيكولوجيا خالدة؛ والإخفاقات العسكرية الكبرى تعلمنا الكثير حول الغباء البشري وحول حدود القوى في أي من الميادين.

المثال الاستراتيجي في الحرب كونه عظيماً عقلانياً ومتوازنا عاطفياً ساعياً إلى تحقيق النصر بأقل قدر من إراقة الدماء ومن خسارة الموارد، لديه تطبيقات لا متناهية ودلالة على معاركنا اليومية.

كثير من المسكونين بقيم زماننا سيجادلون بأن الحرب المنظمة بربرية بطريقة وراثية، وأنها أثر لعنف الإنسان في الماضي، وأمر ينبغي التخلص منه إلى الأبد.

وهكذا سيقول أولئك إن تعزز فنون الحرب في مجتمع ما، يعني أنك تقف في وجه التقدم وتشجع على الصراع والنزاع؛ أليس هناك ما يكفي من هذا في العالم؟ هذه الحجة مغوية جداً لكنها غير منطقية على الإطلاق.

سيظل هناك في العالم وفي المجتمع من هم أكثر عدوانية منا، ممن يجدون طرقاً لنيل ما يريدونه، بأي وسيلة كانت، علينا أن نكون متيقظين وأن نعرف كيف ندافع عن أنفسنا ضد أنماط كهذه.

فالقيم المتحضرة لن تمضي قدما إذا ما أجبرنا على الاستسلام لأولئك الذين يملكون الحزمة والقوة؛ والحقيقة، أن تكون مسالما في وجه ذئاب كهذه هو مصدر مأساة لا تنتهي)[١].

المسألة الثالثة: عاشوراء مرآة لإستراتيجيتين، إستراتيجية تفكير الجند، وإستراتيجية تجنيد الفكر

لعل البيان لمعنى الإستراتيجية وتعريفها الذي قدمه هيلموث فون (١٨٠٠ - ١٨٩١)[٢]، حيث يقول: (إن الإستراتيجية أكثر من علم؛ إنها تطبيق المعرفة على الحياة العملية، وهي تطور الفكر إلى حد يمكنه من تعديل الفكرة الأصلية المرشدة في ضوء المتغيرات المستمرة، إنها فن التدبر تحت وطأة أصعب الظروف)[٣]، هو الأقرب للوقوف عند دلالات عاشوراء كإستراتيجية لكل الحياة.

وذلك إن الإنسان الذي اكتسب فطرة صحيحة وذوقاً سليماً وفكراً واسعاً

(١) كتاب ٣٣ إستراتيجية للحرب، تأليف: روبرت غرين، ترجمة سامر أبو هواش: ص١٨ - ١٩.

(٢) هلموث كارل برنهارد: مارشال ألماني رئيس الاركان العامة للجيش البروسي ثم الألماني واضع خطط الحرب على الدنمارك ١٨٦٤ والنمسة ١٨٦٦ وفرنسا ١٨٧١ (موسوعة العربية مجلد ٨٧).

(٣) كتاب ٣٣ إستراتيجية للحرب، تأليف: روبرت غرين: ص١٨.

وفهماً نيراً لا يمكنه حينما يمر بأرض الطف وهو لا يلمس تجسد حضارتين أذن الله تعالى لهما أن تلتقيا بكل ما حملتاه من قيم ومعطيات ومفاهيم على هذه الأرض لتتقابلا على أساس الانتصار الحاسم والانقياد الذي يكبل السائر فيقوده إلى حيث أرادت هذه الحضارة أو تلك.

فالحضارة الأولى جمعت تحت سلطانها كل ما من شأنه أن يبعث الرعب والخوف والدمار والموت والأنس به والتلذذ بتشويه معالم الكائن البشري وهو جثة هامدة وهو ما نطقت به مرآة عاشوراء وسجلته صحيفة الطف في كربلاء، فكانت هذه الحضارة قد حققت لنفسها - ومنذ أن كان هناك ألم ودم وإلى قيام الساعة وبدون منازع - الصدارة على عرش الرعب فكانت بحق حضارة الموت.

ليقابلها في الطرف الآخر من المواجهة حضارة الحياة والطمأنينة والحرية والفكر ليكون بذلك، هوية هذا الكائن الذي سمي (إنسان) على وجه الأرض.

ولذلك: لم تشهد عاشوراء في واقعة الطف ومعركة كربلاء إستراتيجية واحدة وإنما مجموعة من الاستراتيجيات المختلفة؛ فعلى صعيد الإستراتيجية العسكرية لم يشهد التاريخ لها من مثيل في سوى سجل الأنبياء وحضارة القرآن والكتب السماوية.

إنها معركة كان عدد الجيشين اللذين تقاتلا أغرب من الخيال فلكل واحد من رجال حضارة الفكر يقابله أكثر من ٣٣٠ رجلاً من جيش حضارة الموت.

وأما في العدة فقد اختلفت صنوف وتشكيلات حضارة الموت فجاءت بكل ما من شأنه أن يحقق الموت والدمار والألم؛ أما ما كان لجيش حضارة الحياة

والفكر فقد تنوعت بين السلاح التقليدي وبين السلاح النفسي والعقائدي.

فكانت المعادلة على ضوء الإستراتيجيات العسكرية البحتة أن لا سبيل لجيش حضارة الحياة والفكر إلا الاستسلام أو الموت فهذه القلة القليلة مهما أوتيت من روح معنوية وعدة قتالية وظروف طبيعية لا يمكن لها أن تحسم المعركة عسكريا فتهزم هذا الجيش الذي زاد عن الثلاثين ألفاً؛ أما على ضوء إستراتيجية تطبيق مفاهيم القرآن والحياة فقد حققت النصر الحاسم؛ وعليه:

فنحن أمام استراتيجيات عدة، منها ما كان عسكرياً بحتاً لكلا الجيشين وهو ما سنقف عنده بأدق التفاصيل ليلمس القارئ أعقد الاستراتيجيات العسكرية التي أعجزت جيش عمر بن سعد وأذهلته وكبدته خسائر عظيمة.

ومنها ما كان قيميا وفكريا وحياتيا لم يزل مستخدما لدى الجيشين على مختلف بقاع الأرض وإن اختلفت اللغات والأدوات والصور والأماكن.

فمازال الإنسان شاء أم لم يشأ متأثرا بنسبة ما بأحد هاتين الحضارتين التي شاء الله تعالى أن يتلاقيا على ساحة الطف في أرض كربلاء.

إنها حقيقة لا يمكن للإنسان العاقل تجاهلها أو تبرئة نفسه منها أو أنه يدعي الحيادية أو المسالمة فكلها إدعاءات يحاول الإنسان من خلالها أن لا يواجه حقيقة نفسه كي لا يذعر من نفسه عند اكتشاف حقيقته؛ وفي ذلك يقول الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠)(١):

---

(١) فريدريك فيلهيلم نيتشه، فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لعلم النفس وكان عالم لغويات متميزاً؛ كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية والنفعية والفلسفة المعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية. (ويكيبيديا).

(لدي نزوع فطري للحرب، الهجوم غريزي عندي، المقدرة على أن أكون عدواً، أن أكون عدداً - تفترض مسبقاً طبيعة قوية؛ أنها في أي حال من الأحوال شرط لكل طبيعة قوية، يتطلب ذلك مقاومة كنتيجة حتمية، يتطلب المقاومة.

إن قوة من يهاجم تكتسب معاييرها من المقاومة التي يحتاج إليها، كل تطور يعبّر عن نفسه في سعيه إلى خصم قوي، إلى مشكلة؛ فالفيلسوف ذو النزعة الحربية يتحدى كذلك المشكلات ويدعوها إلى المنازلة.

إن مهمته هي في السيادة، ليس على المقاومات التي تبرز نفسها، لكن تلك التي في مواجهتها يحتاج المرء إلى كامل قوته ومهارته وبراعته في استعمال الأسلحة - للسيطرة على خصوم مساوين في القوة)[(١)].

ولا شك قد شهدت كربلاء في يوم عاشوراء خصوما متساوين في القوة، قوة الموت وقوة الحياة، قوة الجهل وقوة الفكر، وهي حقيقة بينها قائد جيش الفكر والحياة في كربلاء الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قبل أن يتقابل مع خصمه في يوم عاشوراء. وذلك حينما سئل عن قوله تعالى:

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[(٢)].

فقال عليه السلام:

«نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عزّ وجل، قلنا صدق الله، وقالوا: كذب

---

(١) كتاب ٣٣ إستراتيجية للحرب، تأليف: روبرت غرين: ص٣٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٩.

الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة»[١].

ولا شك أن هذين الخصمين لابد لهما من الوقوف أمام حاكم عادل ليحكم بينهما فيما اختصموا فيه ولذا قال عليه السلام:

«يوم القيامة».

وإلا فواقع الحال إنهما تلاقيا مرات عديدة وسيتلاقيان عند ظهور حجة الله المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسيكون اللقاء فريداً ومريراً حيث سيجتث عليه الصلاة والسلام حضارة الموت والدمار والجهل ويستبدلها بحضارة الحياة والفكر والعدل.

إلاّ أن عاشوراء تبقى فريدة بكل جزئياتها ودقائقها، ونحن نحاول في هذه الدراسة الوقوف عند تلك الإستراتيجية الحربية التي واجه فيها الإمام الحسين عليه السلام بهذه القلة القليلة من أهل بيته وأصحابه الآلاف المؤلفة من أعدائه حتى عجزوا عن تحقيق نصر سريع وحاسم وبأقل الخسائر كما كانت قيادة العدو ورأس السلطة في الكوفة والشام يتوقعون ذلك.

فضلاً عن أن الإستراتيجية العليا التي كانت لدى المعسكرين مختلفة جذرياً - كما قلنا -، فبين إستراتيجية الحسم العسكري بتدمير الخصم أو استعباده وإذلاله وبين إستراتيجية انتصار الحرية على العبودية، وانتصار الحياة على الموت، وانتصار الفكر على الجهل، هوت وديان واسعة ومساحة شاسعة تجدها بينة واضحة وشاخصة أمامك أينما حلت أبجديات عاشوراء في كل بقعة أو زمان.

---

(١) الخصال للصدوق: ص٤٣؛ البحار للمجلسي: ج٣١، ص٥١٨.

المبحث الثاني

إستراتيجية الهدف العسكري والهدف المعنوي

عند الإمام الحسين عليه السلام

لفهم إستراتيجية الهدف العسكري والهدف المعنوي عند الإمام الحسين عليه السلام يلزم قراءة هذين الهدفين عند خصمه فبالتضاد تعرف الصفات.

ولذلك:

فإن أقرب صورة حديثة لقراءة الهدف العسكري عند القيادة العليا لمعسكر أعداء الإمام الحسين عليه السلام ممثلاً برأس السلطة يزيد بن معاوية وواليه على الكوفة عبيد الله بن زياد[١] هي نظرية القائد العسكري كلاوزفيتس عن الهدف العسكري؛ يقول كلاوزفيتس: إن هدف العمل الحربي هو نزع سلاح العدو، وسنثبت أن ذلك ضروري على الأقل من الناحية النظرية؛ وإذا كانت غايتنا هي دفع العدو إلى السير وفق إرادتنا، فإن علينا أن نضعه في موقف يزيد تأثيره عن التضحيات التي نطلبها منه؛ ولا يجب أن تكون مساوئ موقفه مرحلية، على الأقل في مظهرها، وإلا قاوم العدو بدل الخضوع آملا أن يتطور الموقف لصالحه ويجب أن تؤدي تبديلاته التي ترمي إلى متابعة الحرب إلى موقف أسوأ).

(١) عليهما لعنة الله وملائكته ورسوله والناس أجمعين لما أنزلاه من أذى وألم على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتل ولده وسبي بناته وانتهاك حرمته.

ويقول: (إن أسوأ وضع يقع فيه المقاتل هو عندما يجد نفسه مجرداً من سلاحه؛ فإذا أردنا إجبار العدو على الاستسلام وجب علينا تجريده من سلاحه أو وضعه في موقف يهدده باحتمال تجريده منه وهكذا فيجب أن يكون سلاح العدو أو هزيمته هو هدف فن الحرب).

ويقول أيضاً:

(يجب أن يكون حجم قواتنا العسكرية كبيراً ما دام هدفنا المنشود هو تدمير قوة العدو؛ وعلينا أن نعرف أن كل جهد نبذله لتدمير العدو ينعكس علينا ويؤدي إلى أسوأ النتائج في حالة الفشل).

ويقول أخيراً عن الهدف العسكري:

(ليس لدينا سوى وسيلة واحدة للحرب هي المعركة، وإن الحل الدموي للأزمة بعد الجهد المبذول لتدمير جيوش العدو هو ابن الحرب البكر)[1].

إن هذه الأسس في نظرية الهدف العسكري تكاد تكون موحدة عند معظم القادة العسكرين الذين يطمحون للحسم العسكري في حروبهم مستفيدين من المعركة بكونها الوسيلة التي تحقق الهدف العسكري.

وهو ما نطقت به صنوف جيش عمر بن سعد في كربلاء فقد كانت الكثرة العددية وصفوف الجيش وتنوع العدة القتالية والإصرار على قتل جميع أفراد الخصم وإن كانوا قلة قليلة هو الهدف الأوحد لدى خصوم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

---

(١) الإستراتيجية وتاريخها في العالم، تأليف: ليدل هارت: ص٢٨٩.

وفي المقابل لم يكن الإمام الحسين عليه السلام في غفلة عن هذه التوجهات والطموحات في تحقيق الهدف العسكري الذي يسعى إليه عدوه، ولذا: عزم على وضع إستراتيجية معقدة على المستوى العسكري في ذراعي المعركة، أي الهجوم والدفاع، وتكبيد العدو خسائر عظيمة فضلاً عن تأسيسه لمنظومة إستراتيجية (هجومية دفاعية) لكل من أراد أن ينهل من علوم مدرسة كربلاء ويوم عاشوراء - كما سيمر بيانه -.

وعليه:

كان الهدف العسكري عند الإمام الحسين عليه السلام إظهار عجز العدو ذي الامتيازات العسكرية في كثرة العدد وصنوف الجيش وتشكيلاته حينما سيواجهه عليه السلام مع مجموعة من الرجال تفوق هذه الجيوش روحاً معنوية وعقيدة قتالية منطلقا في هذه الإستراتيجية من القرآن الكريم الذي أسس للهدف المعنوي قبل الهدف العسكري، بل جعل القرآن الهدف العسكري نافذة على تحقيق الهدف المعنوي فقال سبحانه وتعالى:

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١).

٢ - وقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1].

ولعل الرجوع إلى القرآن والكتب السماوية وحياة الأنبياء التي قادت بعض المواجهات بين أتباعها وأعدائها يقدم لنا صورة واضحة عن الهدف المعنوي الذي كان غاية الأنبياء والرسالات.

من هنا:

كان التباين واضحاً في مدرسة عاشوراء بين الهدف العسكري والهدف المعنوي الذي سعى لأجل إثباته الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من خلال مجموعة من الأسس والخطوات النظرية والعملية، منذ تحركه من مكة متوجهاً إلى كربلاء فكتب رسالة إلى أخيه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم خاصة دون غيرهم من المسلمين مستناً بذلك بما أمر الله تعالى به رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عند بدء الدعوة إلى الإسلام فقال سبحانه مخاطباً نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

ولذا: كان خطاب الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة إلى كربلاء مخصصاً إلى بني هاشم خاصة لأنهم هم المعنيون بالدرجة الأولى في الإنذار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان الكتاب يحمل الهدف المعنوي قبل الهدف العسكري وهو المنهج الذي اعتمده سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في مسيره إلى العراق.

فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد: فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[(١)].

ولا شك أن الذين لحقوا به عليه الصلاة والسلام قد استشهدوا جميعاً وهم الوحيدون الذين أدركوا الفتح فبهم تم التأسيس لعقيدة ما تسلح بها أحد من الناس إلاّ وقد فتح عليه النصر فبهذه العقيدة أزيلت طواغيت وقامت دول فضلاً عن كونها ملهماً للأحرار في العالم حينما يقرأون عاشوراء.

وهو ما سنحاول الوقوف عنده ودراسته من خلال هذه الدراسة علنا نستطيع أن نوصل رؤية واضحة للمهتمين بالإستراتيجية البنائية للنفس الإنسانية؛ فضلاً عن الإستراتيجية العسكرية أو فلنقل بالمعنى الأعم الإستراتيجية الحربية فما زال الإنسان في صراع مع ذاته وهو بحاجة إلى وضع مجموعة من الإستراتيجيات

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ص١٥٧؛ مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٧٦؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٣٠.

للوصول إلى الهدف المنشود وهو الانتصار على الذات وهو ما زخرت به عاشوراء منذ أن خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى اللحظات الأخيرة له على أرض كربلاء، من شعارات في نطاق الحكمة النظرية والحكمة العملية.

كقوله:

١. «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

٢. «ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله».

٣. «لا محيص عن يوم خط بالقلم».

٤. «إلا من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

٥. «إن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته».

٦. «أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا».

٧. «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء، قلّ الديانون».

٨. «فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

٩. «لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

١٠. «لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد».

١١. «هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت

وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية في أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

١٢. الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

١٣. «كونوا أحراراً في دنياكم».

١٤. «أرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا».

وهذه الأسس في الإستراتيجية البنائية للنفس الإنسانية وغيرها مما نطقت به الألسن والأيدي في كربلاء لكثيرة جداً وكلها جديرة بالتأمل والدراسة والبحث إلا أننا سنحاول الوقوف عند كثير منها علنا نوفق في الوصول إلى حضارة الحياة وتجنيد الفكر قبل تفكير الجند في الحسم العسكري.

المسألة الأولى: القائد والقيادة وتجلي الهدف العسكري والمعنوي في عاشوراء

إن من البداهة بمكان أن يكون الحديث عن القائد والقيادة في عاشوراء مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالسماء ولعل نكران هذه الحقيقة عند بعض القراء الذين فرضت عليهم التنشئة الأسرية والاجتماعية والمناهل الثقافية مجموعة من المكونات الفكرية التي رسخت في أذهانهم تجرد قضية عاشوراء من محتواها القرآني والإلهي واتصالها بالسماء؛ إلا أن الرجوع إلى مجريات عاشوراء وما سبقها من أحاديث نبوية زخرت بها الكتب الإسلامية فضلاً عما تضافرت به الأحاديث من ذكرها للعديد من الآيات والكرامات التي رافقت المأساة منذ يوم

عاشوراء وما بعده من الأيام كمطر السماء دماً[١]، وتحول تربة كربلاء عند أم سلمة إلى دم عبيط[٢]، وما رفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط[٣]، وسيلان الدم على حيطان بيوت الكوفة[٤]، فضلاً عن تكلم الرأس الشريف لسيد الشهداء عليه السلام وتلاوته للقرآن وهو على الرمح[٥].

فهذه الآيات والكرامات التي رافقت مأساة كربلاء خير دليل يأخذ بعنق الإنسان للاعتقاد بأن عاشوراء مرتبطة بالسماء.

وعليه:

فقيادتها، وقائدها، وجندها، ونساؤها، وأطفالها، صور ترشد الناظر إلى حضارة القرآن والنبوة فكانوا أنموذجاً فريداً في تاريخ الرسالات لاسيما الرسالة المحمدية.

بمعنى آخر:

أن القائد والقيادة في عاشوراء كانت نسخة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) كامل الزيارات: ص١٨٨؛ الثقات لابن حبان: ج٥، ص٤٨٧؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص٢٢٧؛ بغية الطلب في تاريخ حلب: ج٦، ص٢٦٣٨.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٣٢؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٩٦؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١١٣.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١٣١؛ الهداية الكبرى للخصيبي: ص٢٠٣.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ج٤، ص٣٣٩؛ الصواعق المحرقة: ص١١٦؛ ذخائر العقبى: ص١٤٥.

(٥) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي: ج٢، ص٢٦٨؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١٢١؛ الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١١٧؛ الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ص٣٣٣؛ الخرائج والجرائح للراوندي: ج٢، ص٥٧٧؛ المناقب لابن شهر: ج٣، ص٢١٨؛ فيض القدير للمناوي: ج١، ص٢٦٥.

في معاركه، كما كانت نسخة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ما سنحاول أن نضعه بين يدي القارئ الكريم مستعينين بما توصل إليه الباحثون في المجال النفسي والعسكري لغرض الخروج بصورة نقية تحقق للقارئ رؤية فكرية جديدة حول الإستراتيجية الحياتية في عاشوراء سواء بجانبها العسكري أو المعنوي وكما عنونا لذلك في المسألة.

أولاً: معنى القيادة

يتباين معنى القيادة ومفهومها وسمات القائد بين الدراسات المعاصرة في المجال العسكري أو المدني عن معناها ومفهومها في القرآن والعترة النبوية لاسيما القيادة التي تمثلت في حروب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلال حروبه الثلاثة (الجمل، وصفين، والنهروان) وذلك للتطابق الكبير بين المعسكرين.

بمعنى:

أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت حروبه ترتكز لدى العيان على الاختلاف العقائدي الصريح والعلني بين المعسكرين، فكانت جميع حروبه صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين واليهود، أما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كانت حروبه الثلاثة وكما يعبر عنها البعض بالحروب الداخلية كبديل عن مصطلح الحروب بين المسلمين وهو ما أعطى تطابقاً في ساحة الطف يوم عاشوراء.

مما تطلب وجود تباين بين معنى القيادة والقائد وسماته بين النظرة العسكرية والمدنية، وفي علم النفس العسكري وبين ما أثبته الإمام علي عليه

السلام في حروبه الثلاثة.

ولذا: سنعرض أولاً ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في بيان معنى القيـادة ومفهومها ثم نعرج إلى بيان أمير المؤمنين عليه السلام للقيادة وسمات القائد.

فقد ذهبت إحدى الدراسات إلى أن أساس المفهوم العام في تعريف القيادة يعتمد على فهم اصطلاح القيادة وتختلف التعاريف المحددة تبعاً للكاتب؛ وعلـى أية حال، فإن القيادة، أساساً، هي: فن التأثير في الأفراد.

وهذا التعريف برغم قصره يدل على عملية أو نشاط، يتميز بفاعلية مستمرة، ويزود بالحافز، ويستلزم وجود القائد والأعضاء الآخرين في الجماعة؛ وهو يحـدد القيادة بوصفها عملاً بدلاً من كونها مجموعة جامدة من الميزات الملازمة للفرد.

وعلى أية حال فإن هذا التعريف القصير، فـي نطـاق التطبيـق العسكري، ذو قيمة محدودة يسبب عدم فائدته، وهو غير شامل لدرجة كافية؛ فالقائد العسكري يؤثر في مرؤوسيه لأسباب معينة ويحث الأفراد للقيام بمهمة من مهـام الوحـدة، أو هدف من أهدافها، ضمن بيئة معينة ومن ثم فهناك تعريف أكثر ملاءمـة للجنـدي وينص على ما يلي:

(القيادة هي فن التأثير فـي الـسلوك الإنـساني بغيـة تحقيـق مهمـة بالأسـلوب الذي يرغب فيه القائد)[1].

ولا شك أن هذا التعريـف لـو عـرض علـى عاشـوراء لوجـد أصـحاب هـذه الدراسة أن القيادة التي ظهـرت للإمـام الحسين عليـه الـسلام وحجـم تأثيرهـا فـي

---

(١) تولي القيادة، تأليف صامويل هيز والمقدم وليم توماس: ص١٨.

السلوك الإنساني ليس لها نظير لا في تاريخ الرسالات السماوية أو الأرضية على اختلافها.

ولعل النظر إلى الشعائر الحسينية لدى الشيعة تقطع الجدال حول تفرد هذه القيادة وحجم تأثيرها في السلوك الإنساني وسيجد المفكرون والفلاسفة والقادة والمصلحون حجم ما حققته هذه القيادة في تأثيرها على الجماعة في يوم عاشوراء وتفانيهم بين يديه وفي غير يوم عاشوراء وانبثق عنها وعن فكرها من ثورات وانتفاضات أطاحت بالعديد من الدكتاتوريات والطواغيت على مر التاريخ حتى بات شعار (لبيك يا حسين) شعاراً انتفاضياً على الذات والظلم وملهماً لنشر الإصلاح.

من هنا:

كان لمفهوم القيادة دلالات أخرى، وذلك لتداخلها وترادفها مع الإدارة والإمرة لاسيما ونحن نحاول أن نقدم صورة فكرية لما امتازت به كربلاء في يوم عاشوراء من احتوائها لإستراتيجيات عديدة لغرض بناء النفس الإنسانية، وإن كان هناك دماء زكية وطاهرة قد سقطت على هذه الأرض لأجل إرواء المبادئ التي جاءت بها هذه الملحمة الإنسانية.

ولذا:

(فإن أي تعريف لكلمة القيادة يثير مسائل تتعلق بعلم دلالات الألفاظ وتطورها، نظراً لأن الاصطلاحات (الإمرة)، (الإدارة)، (القيادة)، تتداخل على نطاق واسع في الاستعمال العسكري والمدني، وبالنسبة للكثير من الأفراد

العسكريين يُعدّ الاصطلاحان (إدارة)، (قيادة) مترادفين وكذلك فالعاملون في الصناعة يفرقون قليلا وبصورة متكررة بين الاصطلاحين (إدارة)، و(قيادة)، وبالنسبة للكثير من الناس داخل القوات المسلحة وخارجها، فإن كلمة تعدّ تكرارا، المعادل العسكري لما يسميه المدنيون «إدارة»).

في القوات المسلحة، تحدد المهمة عادة من جانب السلطة العليا، وحين يؤثر القائد في الأفراد ويوجههم، فهو يلهم عن طريق الحصول على رغبة رجاله في العمل، وطاعتهم، وثقتهم، واحترامهم، وإخلاصهم، وتعاونهم؛ ومن جهة أخرى فإن كلمة (الإدارة) تعدّ علم استخدام الأفراد والأدوات في الإنجاز الاقتصادي الفعال للمهمة، وهي أحد العناصر المكونة للقيادة، ولكنها بصورة متكررة تعطي دلالة أقل حيوية وتميزا بالفاعلية المستمدة من كلمة (القيادة).

فالقائد ينبغي له أن يدير ويلهم، ويتردد البعض في قبول هذا التعريف مصرين على القول بأن الإدارة هي فن يشمل إلهام الأفراد ويستخدم رجال الصناعة هذا التفسير الثاني على نطاق واسع؛ ومهما يكن فمن الضروري أن يكون لدينا إطار عام يتخذ مرجعاً لأغراض البحث، ولأسباب أكاديمية تفسر الإدارة بكونها علماً إلى حد بعيد، أي تطبيقا نظاميا للتقنيات، و(القيادة) في القوات المسلحة هي أوسع مجالاً من التقنيات النظامية.

بينما يتعين على القائد الناجح أن يكون مديراً ماهراً، فإن القيادة تشمل أكثر بكثير من تقنيات الإدارة، والقيادة هي السلطة القانونية التي يمارسها القائد على

مرؤوسيه، بفضل رتبته وتعيينه.

ولذلك، فإن القائد هو الرئيس الرسمي المعين للوحدة، وهذه الرئاسة تشمل عادة متطلب ممارسة القيادة لكن طبيعتها تعتمد على قدرة القائد كفرد أو سلوكه أو مهمته)[١].

والمستفاد مما تقدم اشتراك مفهوم القيادة بالقائد وبتجانسهما في المعنى والدلالة لاسيما في المجال العسكري والحربي، وهو ما يتطابق كذاك بين المفهوم الذي جاء به القرآن والسنة واتحادهما في إلصاق صفة القائد في المواضع التي تتصف بالحرب والقتال والجند على الرغم من وجود بعض المواضع التي تشير فيها (القيادة)، و(القائد) إلى معنى الإمام و(الداعي) إلا أن المرتكز في الفكر الإسلامي في معنى (الإمام) هو المتصف بالشريعة سواء ما كان منها شريعة سماوية أو شريعة إنسانية وهو ما انطوى تحت معنى (إمام هدى) و(إمام ضلال).

كما نص عليه قوله تعالى بصفة الإطلاق المخصوص بالاعتقادات الفكرية لدى الناس جميعاً فقال سبحانه:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٢].

من هنا:

---

(١) تولي القيادة، تأليف: العقيد صامويل هيز، والمقدم وليم توماس: ص١٨ - ١٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

حينما نأتي إلى المرتكزات الفكرية التي أسسها أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام في معنى القيادة نجدها لا تنفك عن معنى القائد فهما ذو دلالة واحدة ومغزى واحد وإنهما متحدان في ظهورهما الخارجي، أي في المجال التصديقي في كونهما يستخدمان في الصنف العسكري بصورة خاصة.

أما في المجال العقدي فيبقى الإمام يقابل القائد، والإمامة تقابل القيادة؛ بمعنى: (القيادة) و(القائد) في عاشوراء قد جمع صفتين في آن واحد وهما (الإمام) و(القائد)، أي: ترتب الفكر العقدي، والفكر العسكري لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فقد تعلق بذمتهم الطاعة لسيد الشهداء بصفته (الإمام) وانعقد في نفوسهم الانقياد له عليه السلام بصفته (القائد) العسكري الذي يلزم طاعته واتباعه وعدم مخالفة أوامره، مما أعطى لهؤلاء الأصحاب عليهم السلام زخماً معنوياً فريداً لا يتماثل نظيره، إلا في تاريخ الرسالات وحياة الأنبياء عليهم السلام؛ ولاسيما ما كان في حياة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء جهاده وقتاله أو ما كان في حياة أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ما سنتناوله في (ثانياً).

ثانياً: سمات القائد

حينما نعود إلى المرتكزات الفكرية التي أسس لها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه الثلاثة في تحديد معنى القائد والقيادة فإننا نجد بينهما، أي بين القيادة والقائد تلاحماً وتطابقاً مما جعله يحدد تلك المرتكزات لهما في قالب واحد، فكانت كما يلي:

قال صلوات الله عليه في عهده إلى مالك بن الأشتر لما ولاه على مصر:

«فولِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف؛ ثم الصق بذوي الأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء، والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من المعروف»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هما واحداً في جهاد العدو؛ فإن عطفك عليهم، يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد؛ وظهور مودة الرعية»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حينما استشاره في الخروج لحرب الروم، وهل يخرج إليهم بنفسه وذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها إلى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته وصعب الأمر على أبي عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من أمراء سرايا الإسلام، فقال عليه السلام لعمر بن الخطاب:

«وقد توكّل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم،

(١) نهج البلاغة، في عهده إلى مالك الأشتر: ج٣، ص٩٢.

(٢) المصدر السابق.

وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حي لا يموت إنك متى تسِرْ إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كأنفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون إليه فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله فذاك ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[1].

وهذه النصوص الثلاثة تظهر مجموعة من السمات التي حددها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتي ينبغي توافرها في القائد كي يضمن الوالي أو الخليفة أو الحاكم للبلاد نجاح قيادته وتحقق أهداف نصره وتحقيق الأمن والأمان لرعيته، فكانت كالآتي:

١ - لابد أن يكون اختيار القائد من أهم واجبات رأس الهرم في السلطة وذلك أن جميع النتائج التي ستتمخض عن هذه القيادة ستكون في ربقة رأس الهرم في السلطة، ولذا قال عليه السلام:

«فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك».

وهذا هو الذي جعله عليه السلام يولي مالك الأشتر قائداً ووالياً على مصر فكانت جميع هذه الصفات التي ورد ذكرها في عهده عليه السلام إلى مالك متجسدة فيه.

أي: تكون السمة الأولى في القائد «النصيحة»، بل أنصح القادة أو الجند لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولإمامه، بمعنى: يلزم توفر عنصر الإيمان بالله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج٣، ص١٦١.

واليوم الآخر لما يترتب على هذه القيادة من المسؤولية العظيمة فأرواح الجند بيده فضلاً عن أرواح خصمه وما يلحق به من الغنائم والأسر والتعامل مع الجرحى والنساء وغير ذلك.

٢ - «أنقاهم جيباً».

لما يتعلق من أموال في ذمته سواء ما كان من نفقات الجند واحتياجات الحرب، أو الغنائم على صعيد الأموال والأنفس.

٣ - «وأفضلهم حلماً».

إذ قد يكون غضبه سبباً في إزهاق كثير من الأرواح فضلاً عن جر الهزيمة للجيش أو البطش بالخصم.

٤ - «ممن يبطئ الغضب».

٥ - «ويستريح إلى العذر».

٦ - «ويرأف بالضعفاء».

٧ - «وينبو على الأقوياء»، أي «يشتد عليهم ويمنعهم عن ظلم الضعفاء».

٨ - «وممن لا يثيره العنف».

٩ - «لا يقعد به الضعف».

١٠ - «أن يكون من ذوي الأحساب»، أي: من الأسر التي توارثت المكارم.

١١ - «أن يكون من أهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة»، أي: المعروفة بالصلاح والإيمان.

والصفة المثلى المطلوبة في الشخصية العسكرية كما يذكر (ملجرام) عن دراسة أجراها (ستروفرت) (Streufert)، أواخر الثمانينيات من القرن العشرين أن هذه الصفة المثلى هي ركوب المخاطر المحسوب.

كما تشير هذه الدراسة إلى الصلة بين ركوب المخاطر المحسوب وبين نموذج الشخصية (أ) – وهذا النموذج يتميز بالحماس والرغبة في استغلال الوقت والحدة والطموح والمنافسة وهو نموذج يأخذ أصحابه الحياة هولا لا هونا ويسابقون الزمن ويرغبون في النجاح ويعدّون الفشل خبرة كارثية.

J z º A (*Locus of Control*) J z º A B¶ j ¾

وهو مفهوم أشار إليه عالم النفس الأمريكي (جوليان روتر) (Rotter) – ويقسم مركز الضبط على وجهتين:

أ. الوجهة الداخلية (**Internal**) للضبط أو مركز الضبط الداخلي

ويتصور الفرد الذي يصنّف على هذا النحو أنه قادر على الوصول إلى أهدافه بنفسه أو بمجهوده الخاص، وأنه مسؤول عن مجريات حياته اليومية أو وقائع هذه الحياة أي إنه شخص يتصور أنه سيد مصيره.

ب. الوجهة الخارجية (**External**) للضبط أو مركز الضبط الخارجي

ويتصور الفرد الذي يصنّف على هذا النحو أن المواقف الخارجية هي المؤدية إلى حصوله على أهدافه وأن دوره في ذلك لا يعتد به.

أي إنه شخص يتصور أنه خاضع لقوى خارجية عنه، ويبدو أن النموذج

(الداخلي الضبط) هو الأنجح في الحياة العسكرية بوجه عام.

ما سمات الشخصية للقائد العسكري الناجح؟ تلك مسألة غاية في الصعوبة ذلك أن القادة العسكريين في التاريخ عددهم كبير وهم مع ذلك شخصيات متباينة.

ولكن رغم ذلك فإن (ملجرام) يشير إلى دراسة نشرها (هنتفورد) (Huntfork) أوائل الثمانينيات من القرن العشرين عن بعض قادة الحروب.

ومن الصعب عرض نتائج هذه الدراسة بالتفصيل ولكن من أهم السمات التي تتوفر في القائد العسكري الناجح هي الواقعية والعملية والتصرف بعقلانية والبعد عن الادعاء الزائف للبطولة أو حسبما نقول نحن العرب، البعد عن العنتريات)[١].

لكن هذه الدراسات في علم النفس العسكري لم ترشد إلى الآلية التي تزرع الثقة بالنفس وكيفية أن يكون القائد أو المقاتل واثقاً بنفسه في حين كانت عاشوراء أول من أرشد إلى دور الثقة بالنفس في المعركة إلاّ إنها لم تغفل عن الآلية في زرع هذه الثقة في النفس كما ورد في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من المحرم حينما صكت الحرب أسنانها على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحاطت به الجيوش من كل جانب فقال عليه السلام:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدّة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة...»[٢].

---

(١) علم النفس العسكري للأستاذ الدكتور محمد شحاته ربيع: ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) للمزيد من الاطلاع ينظر كتاب دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي للمؤلف: ج١، ص١١٣ - ١٢٢.

إلى آخر دعائه عليه السلام.

فالثقة في مدرسة العترة النبوية لها آلية ترسخها في النفس وتجعلها مطمئنة وثابتة وهي الثقة بالله والاعتداد به سبحانه وتعالى.

أما ما ذكرته الدراسة في الصفة الثانية (المخاطرة) والصفة الثالثة (مركز الضبط) فقد أرشد إليهما أمير المؤمنين عليه السلام من قبل في قوله عليه الصلاة والسلام:

«ممن يبطئ الغضب، ويستريح إلى العذر، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف، وأن يكون شجاعاً وسخياً وسمحاً، ومحرباً».

ومن ثم: فنحن أمام إستراتيجية حياتية في معركة الحياة التي شهدتها أرض الطف في يوم عاشوراء وهو ما سنحاول الوقوف عند جزئياته من خلال هذه الدراسة – إنشاء الله تعالى –.

المسألة الثانية: إستراتيجية الروح المعنوية لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام والإعداد النفسي للمعركة

اهتمت القيادات بمستواها الحاكم وبمستواها القيادي الفردي في الممالك أو الامبراطوريات أو الحكومات وغيرها بالروح المعنوية للجيش بكل صنوفه وتشكيلاته ورتبه كما اهتمت النخب المفكرة من الحكماء والفلاسفة والقادة العسكريين بهذه المسألة اهتماماً بالغاً يفوق اهتمامها بالسلاح وخطة الحرب وصنوف الجيش.

(ويشير تاريخ الحرب إلى حالات عديدة فلبث فيها فئة قليلة وفئة كبيرة؛ بمعنى أن انتصرت قوات صغيرة العدد والعدة على قوات كبيرة العدد والعدة، وقد انشغل علماء النفس العسكري بدراسة هذا العامل الغائب الحاضر والضالع في أسباب النصر والهزيمة - وهذا العامل هو الروح المعنوية (Morale) أو ما يسمى أحياناً (أكس) كما يسميه الأديب الروسي الأشهر (تولستوي) في رواية الحرب والسلام.

وقد اهتم عالم النفس الأمريكي الكولونل (فردريك مانح) (Manning)، بدراسة موضوع الروح المعنوية للجنود أو العامل (أكس).

هذا العامل الذي يدفع الجنود إلى ركوب المخاطر ومواجهة العدو وجهاً لوجه - ودور الروح المعنوية في الحرب دور معروف منذ العصور القديمة ومثال ذلك أن الفيلسوف اليوناني القديم اكسانوفن (Xenpohen) (٤٢٨ - ٣٥٤ ق.م) كان يرى أن عدد الجنود أو عدتهم ليس هو العامل الحاسم في كسب الحرب ولكن الذي يكسب في الحرب هو الروح المعنوية التي يتحلى بها الجنود.

ولعل هذا الرأي لا يزال يتردد في التاريخ العسكري إذ ينسب إلى القائد الفرنسي الأشهر (نابليون بونابرت) عبارة تقول (سوف ينهزم السيف في مواجهة الروح) - وتسود نفس الفكرة عند معظم المؤرخين العسكريين وعلماء النفس العسكري فإنه مهما كانت القيادة جيدة والقوات مجهزة فإن ثقة الجندي بنفسه وبقائده وبالهدف الذي يحارب من أجله أمر له أهميته البالغة في تحقيق النصر)[1].

---

(١) علم النفس العسكري للأستاذ الدكتور محمد شحاته ربيع: ص٣٥١.

فضلاً عن ذلك فإن الرجوع إلى سيرة الأنبياء والرسالات لاسيما القرآن الكريم والسنة المشرفة سيجد الباحث حشداً من الآيات والأحاديث التي تأسس لخلق روح معنوية قوية لدى المقاتل وذلك مما يرتكز عليها من شريان للنصر أو الفشل كحالة من قطع منه الوتين فلا قدرة له على الحياة.

من هنا:

لابد لنا من الوقوف عند هذه الأسس في الفكر الإسلامي وما توصلت إليه الدراسات المعاصرة حول دور الروح المعنوية في قيام الجيش وما يثمره من نتائج في أثناء دخوله ساحة المعركة.

أولاً: تعريف الروح المعنوية

للوقوف على تعريف الروح المعنوية لابد من الرجوع إلى المصادر التي اهتمت بالعلوم العسكرية لاسيما ما تم بحثه ودراسته في علم النفس العسكري وذلك لكونه من صميم المسألة وهي نفسية المقاتل وكيفية الارتقاء بها.

ولذا: فقد ذهبت بعض الدراسات في علم النفس العسكري إلى مجموعة من التعريفات للروح المعنوية وإن هذه (التعريفات تختلف باختلاف التطبيقات ففي مجال علم النفس الرياضي نعرف الروح المعنوية للفريق بأنها الدافعية العالية لهذا الفريق والتعاون التام بين أفراده من أجل تسجيل أكبر عدد ممكن من الأهداف في مرمى الخصم.

ومما يقوي الروح المعنوية للفريق الرياضي جمهور المشجعين الذين يرددون الهتافات الحماسية والأغاني الشعبية ويرفعون الأعلام ذات الألوان الزاهية

وفي مجال علم النفس الصناعي تعرف الروح المعنوية بأنها شعور متنام لدى أفراد جماعة العمل بقصد تحقيق أهداف المؤسسة الصناعية التي ينتمون إليها، والتي عادة ما تتمثل في محاور ثلاثة هي:

١ - أكبر قدر ممكن من الإنتاج.

٢ - أرقى قدر ممكن من الجودة.

٣ - أقل قدر ممكن من الكلفة بحيث تحقق المؤسسة الصناعية أكبر قدر ممكن من الربح.

في مجال علم النفس العسكري تعرّف الروح المعنوية بأنها حالة نفسية يكون عليها الجنود بحيث يتميزون بعلو الهمة والدافعية للقتال وحسن القيام بما يكلفون به من مهام مع وجود الثقة بالذات والثقة بالقيادة؛ ولمزيد من توضيح مفهوم الروح المعنوية في المجال العسكري نورد ما يلي من علامات:

١. تتميز الجماعة العسكرية ذات الروح المعنوية العالية بالشعور بـ(النحن) وأنهم جميعاً على قلب رجل واحد.

٢. كما تتميز بالجاهزية النفسية لمواجهة المهام الصعبة التي يكلف بها أفراد الجماعة العسكرية.

٣. انتفاء أسباب الصراع أو التنازع بين أفراد الجماعة العسكرية بحيث يتحقق أكبر قدر ممكن من التماسك والانضباط.

٤. التنافس الشريف بين أفراد الجماعة العسكرية في سبيل تحقيق الأهداف

المناطة بها مع توفر القناعة الذاتية بهذه الأهداف لدى كل فرد من أفراد الجماعة العسكرية.

٥. القدرة على مواجهة الأحوال الطارئة التي تزخر بها الحياة العسكرية وخاصة في المواقف القتالية الصعبة.

٦. تناسي أفراد الجماعة العسكرية ما قد يكون بينهم من (حزازات شخصية) في سبيل تحقيق الهدف الأسمى للجماعة العسكرية وهو تحقيق النصر.

٧. وجود اتجاهات إيجابية من أفراد الجماعة العسكرية تجاه القائد بحيث يطيعون أوامره عن قناعة لا عن إجبار.

٨. أن يكون النقد المتبادل - إن وجد - بين أفراد الجماعة العسكرية على هيأة نقد بناء يتسم بالموضوعية وأن يعلم هؤلاء الأفراد أن هدف النقد تصحيح الأخطاء لا تصيدها.

٩. كون قائد الجماعة العسكرية محل حب وثقة الأفراد بحيث تكون طاعته عن قناعة لا عن إجبار)[١].

وهذه العلامات التي توصلت إليها الدراسات في علم النفس العسكري نجدها متجذرة في الروح المعنوية لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وفضلاً عما توصلت إليه هذه الدراسات من علامات فإن القرآن والعترة النبوية عليهم السلام أوجدا من الأسس والمقومات لبناء الروح المعنوية ما تعجز عنه جميع الدراسات في المجال النفسي والعسكري؛ وذلك أن الله تعالى هو اللطيف الخبير

(١) علم النفس العسكري للأستاذ الدكتور محمد شحاته ربيع: ص٣٥٢ - ٣٥٣.

بعباده وهو أتقن كل شيء خلقه.

ومن ثم فإن القرآن والعترة النبوية يقدمان الأسس الحقيقة التي يتم بها بناء الروح المعنوية لدى المقاتل كما سيمر بيانه.

ثانياً: أسس الروح المعنوية والقتالية في القرآن

يتناول القرآن الكريم الروح المعنوية والقتالية ضمن مجموعة من الآيات المباركة التي يمكن استخلاص بعض الأسس منها لبناء الروح المعنوية والقتالية لدى المسلم، وهي كالآتي:

º @ L ° · ? Ï ¸ £B · Ay É g X L

يحث القرآن الكريم في خطابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تهيئة المسلمين للقتال ضمن محور التحريض واستنهاض الهمم مذكراً إياهم بما وعد الله تعالى المسلمين من الغلبة إن هم تمسكوا ببعض الشروط والتي جاءت ضمن سياق قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[1].

والآية الكريمة تضمنت بعض شروط تحقيق الغلبة في القتال مبتدئة بالتحريض ثم تليها بعض الشروط التي تكون من أساسيات التحريض، وهي:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

١. الإيمان. فالمنافقون لا يستجيبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنصت الآية على تحريض المؤمنين.

٢. الصبر. وهو سنام الروح القتالية.

فضلاً عن بيانها لشرطين من شروط الخسران، وهما:

ألف: الكفر.

باء: لا يفقهون.

فإذا تمت الاستفادة من نقاط ضعف العدو وتجنبها حصلت الغلبة في ساحة المعركة بمعنى: من كان مؤمناً وصابراً ومتفقها تجمعت لديه شرائط الروح المعنوية والقتالية.

¹K@ ° š ? @ @ À É N @ ¯ @Ñº @Ø LGj ?

بعد التحريض على القتال بلحاظ ما عليه الطبيعة الذكورية للرجال وإظهار الفحولة ممثلاً في مقارعة الصعاب وصناديد الرجال فضلاً عن الشغف في الفروسية التي تمايز بها الرجال المقاتلون.

ولذلك، كانت الغلبة هي الشعور النفسي الذي يطغى على الرجال في الحروب فقدمت الآية السابقة التحريض مستنداً فيه إلى الغلبة دون النظر في العواقب الأخرى كالموت أو الإعاقة أو المنفعة المادية عند التسليب أو ما عبر عنه القرآن بمصطلح جديد وهو الغنيمة.

وهذا يكشف عن منهجية القرآن وحكمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التدرج في بناء الروح المعنوية والقتالية لدى المسلمين؛ فمن المعطيات

النفسية في الذكورية ودوافعها إلى المعطيات الإيمانية المرتكزة على جملة من المفاهيم الجديدة في التحريض.

وهي ما جاءت به الآية المباركة في قوله تعالى:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

فالآية المباركة تطرح معطيات جديدة للتحريض على القتال، وهي:

١ - إن جوهر القتال وروحه مرتكز على الإيمان بالله تعالى فيكون في سبيله لا في سبيل إظهار الرجولة ومقتضياتها؛ ولا في الغلبة والانتصار وهزيمة الخصم، ولا الحصول على الغنيمة؛ وإنما الهدف لله تعالى.

٢ - إن القتال في سبيل الله هو الآخر يرتكز على محور جديد وهو الآخرة.

٣ - إن المقاتل تظل نفسه تتوق للغلبة والغنمية وهذان المكونان النفسيان استعاض القرآن عنهما بمكوّن إيماني أو تمت الاستفادة من المكون النفسي إلى المكون الإيماني، فكانت الغلبة يقابلها حالة الأجر العظيم كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿...وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وكانت الغنيمة يقابلها الآخرة وذلك من خلال بيع الدنيا لأجل شراء الآخرة فقال سبحانه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ...﴾(١).

ويشرون بمعنى: يبيعون الدنيا لأجل الحصول على الآخرة.

٤ – من الاستحقاقات التي جاء بها القرآن الكريم وأعدها لمن يقاتل في سبيل الله، الحياة بعد الموت فقال عزّ وجل:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٢).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾(٣).

وهذه الرتبة العالية لها من البناء النفسي والمعنوي ما يجعل المقاتل يتسابق إلى الموت في سبيل الله كي ينال السعادة الأخروية فضلاً عن إبداء الجلادة والثبات في المعركة وكلها من أساسيات النصر.

Â @ í Ê o · ? Ñ @ Ê · Ç ½ ÊÁS» Å ؛

وهذا الاستحقاق يكسب الحرب والقتال صفة جديدة وهي القداسة وممارسة دور الشعور بالعضوية والشأنية وأن هذه الحرب حربه، وأنه مسؤول عن أداء وظيفته.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

بمعنى:

تدعيم عامل الغضب والبغض مما يرفع الروح القتالية إلى مستويات عالية؛ فالخصم الذي وقف لقتاله هو ولي الشيطان ولذا يجب أن يغضب لله ويبغض لله وينتصر لله تعالى.

فقال سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

Î ³ g ¤ ¼ ¸ · Ë I§8? bb ? c «

إن من أهم العوامل التي يحرص عليها القادة هي تأمين خطوط الإمداد وحمايتها، فكم من المعارك خسرت بسبب ضرب خطوط الإمداد وشل حركة الجيش الخصم من خلالها، ولعل جوهر الهدف في محاصرة المدن والحصون والقلاع هو نفاد المؤن وقطع الإمداد مما يدفع الخصم للتنازل وقبول شروط المهاجم.

وعليه:

حرص القرآن ومن خلال التوجيه النفسي والعملي على ضمان خطوط الإمداد بعناصر ووسائل تفوق قدرات أي جيش في الدنيا، مما يعطي زخماً معنوياً منقطع النظير لجميع مراتب الجيش وصفوفه وتشكيلاته.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

وهو ما تم على الواقع النظري والعملي في معركة بدر حينما أمد الله تعالى رسوله والذين آمنوا به بالملائكة يقاتلون إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال سبحانه وتعالى في هذه الحقيقة:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[2].

? gsÀÉ Áš ßs@ÀÃ @ G

ويبقى خاتمة الحرب وغايتها وهو النصر الذي دأب على استحصاله جميع القادة وأفراد الجيوش مما شكل أساساً لبناء الروح المعنوية والقتالية لدى المسلم، وذلك من خلال بيان أن حقيقة النصر والوصول إليه إنما يكون بالله تعالى ومن الله وما على المؤمن الذي يقاتل في سبيله سوى الصبر والإيمان بربه وإتقان فنون القتال، فقال في خصوص النصر وإحرازه:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣ - ١٢٥.

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١).

٢- ﴿...وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾(٢).

وغيرها من الآيات الكريمة التي أسست لبناء الروح المعنوية والقتالية لدى المسلم والتي ترافقت مع جملة من الأحاديث والسنن التي أدخلها أهل البيت عليهم السلام في القتال ابتداءً من غزواته صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم قتال علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام، وأخيراً ما سنعرض له من خلال مأساة عاشوراء.

ثالثاً: أسس الروح المعنوية والقتالية لدى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وانعكاساتها التطبيقية في الإستراتيجية العسكرية في يوم عاشوراء

إن من البداهة أن يكون المنهج الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بناء الروح المعنوية والقتالية لدى المقاتل مطابقة لما جاء به القرآن من أسس لهذا البناء النفسي والإيماني الذي خلق لدى المسلمين الذين يقاتلون في سبيل الله تعالى أنموذجا من الروح المعنوية والقتالية.

ويمكن لنا الوقوف عند بعض هذه الأسس التي وردت في منهجه عليه الصلاة والسلام في بناء الروح المعنوية.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

Î Ê @ ¼ L S Ø ? Ç Î Ê?sÈ ¤ · ? ¥Ê ?Ç Ï¸ ·£? ¢Ù·ÆÇ ¹S

وهذه الحالة من الإيمانية كاشفة عن تجلي التوحيد في عقيدة المقاتل التي بها يحرز النصر بإذن الله تعالى، فقال عليه السلام:

«ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ونقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا وأعمامنا؛ ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم(١)؛ وصبرا على مضض الألم، وجدا في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتطاولان تطاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيا جرأته، ومتبوء أوطانه ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود وأيم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنّها ندما»(٢).

وكانت هذه الخطبة بعد إصابة محمد بن أبي بكر بمصر؛ ولذا يختم كلامه في بيان سنة ظلم الطواغيت وأهل الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان في قتله لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحربه لآل محمد وعترته أهل بيته عليهم السلام.

والذي نحن في صدده بيانه صلوات الله عليه لمجموعة من الأسس التي تعمل على بناء الروح المعنوية والقتالية لدى المسلم لاسيما تلك الروح والعقيدة التي كان يقاتل بهما المؤمنون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان

---

(١) اللقم: جادة الطريق.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٢٤٨؛ الإرشاد للمفيد: ج١، ص٢٦٨؛ شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج٢، ص١٤٦.

الأساس الأول لهذه العقيدة والروح القتالية: تقديم الله جلّ وعلا على جميع العوالق والروابط الشخصية والاجتماعية وذلك من خلال قتال الآباء والأبناء والإخوان والأعمام.

هذه الروح الإيمانية والقتالية أثمرت خصالاً وصفات جديدة لدى المقاتل، وهي:

١ - الارتقاء في سلم الإيمان بالله تعالى.

٢ - التسليم لله تعالى.

٣ - الإصرار على المضي والوصول إلى الهدف.

٤ - الصبر على مضض الألم؛ أي: تحمل حرقة الألم.

٥ - الجد في جهاد العدو، أي: الإصرار في الجهاد.

وهذه الخصال قدمت أنموذجاً للروح المعنوية فريداً لكل القادة العسكريين والجند ولمن أراد خوض غمار الحروب والتأسي بتقنية الروح المعنوية والقتالية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

²cs·₧̃@G

وهو سنام الصفات السابقة، أي: من كان صادقاً مع الله وصادقاً مع نفسه، وصادقاً مع قضيته؛ فهو قد بلغ رتبة استحقاق نزول النصر من الله تعالى على العدو.

ولذا قال عليه السلام:

«فلما رأى الله صدقنا، أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام، ملقيا جرأته، ومبتوء أوطانه».

’ @ ¤ K ? c À £ ½ Æ Ê › S g s À

لا يخفى أن الهدف المنشود لكل قيادة عسكرية أو مدنية وفي مختلف المجالات حتى في حرب الإنسان مع نفسه وهواه، هو النصر.

والإسلام ابتداءً من القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام يقدمون مفهوماً خاصاً للنصر وهو: اقترانه بالله عزّ وجل على الرغم من أن الإنسان ملزم باتخاذ الوسائل والتدابير والسبل للوصول إلى هذا الهدف ولكن ليس كل من سعى وصل أو تمكن من تحقيق هدفه.

ولعل اختصاص النصر بشكل خاص بالحروب والقتال يرتكز على المعطيات المادية فيتم الاعتماد عليها بشكل كبير جداً مما يدفع الجيش من قياداته إلى جميع أفراده للتمسك بهذه السبل المادية.

ومن ثم ينحرف المسار العقائدي والروحي عن الله تعالى.

أي: فقدان أسس قيام الروح المعنوية والعقيدة القتالية فيصبح الأساس في تشكيل الجيش الارتزاق وأن هؤلاء الجند هم مرتزقة لا هم لهم سوى القتل والغنيمة.

في حين لا قياس بين قيام الروح المعنوية والقتالية على مفهوم الجهاد والإيمان بالله تعالى وقداسة الحرب وبين الاتجار الذي يرتكز على معطيات قيام الربح والخسارة.

من هنا:

تكون الروح المعنوية عالية جدّاً ليقينها بأن النصر الذي هو الهدف المنشود

لدى المقاتل غالباً إنما هو بيد الله تعالى؛ وأمّا القتل أو الخسران فهو منوط بالأجر العظيم الذي يضمن له السعادة الأبدية.

أي تصبح الآخرة والفوز بها ورضا الله تعالى هو أساس الروح المعنوية وهو ما ثبت عند القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام، فكانت كربلاء الأنموذج الأوحد في هذه الروح المعنوية وذلك أنهم جميعاً علموا قبل بدء المعركة بأنهم شهداء فتسابقوا للشهادة في حين كان الأمر حتى في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتكزاً على إحدى الحسنيين، إما النصر، وإما الشهادة؛ والشهيد لم يكن ليدرك أنه سينال هذه الشهادة والكرامة في حين كان أنصار سيد الشهداء عليه السلام متيقنين من شهادتهم فكانوا أنموذجا فريداً في الروح المعنوية والقتالية.

رابعاً: أسس الروح المعنوية في الدراسات العسكرية والحربية

تشير كثير من الدراسات المعاصرة في العلوم العسكرية والحربية إلى مجموعة من الأسس لبناء الروح المعنوية لدى الإنسان الذي لبس لامة الحرب وحمل السلاح لغرض الدخول في معركة يقاتل خصماً اقتضت الضرورة القتالية أن يكون عدواً، وإلا فلا مجال لوقوع قتال بين اثنين ما لم يكن هناك شعور بالغضب والمقت والعداء وكلما كبر العداء واشتد أثره في النفس كلما كان القتال ضارياً وطويلاً حتى يتمكن أحد المقاتلين من إزهاق روح خصمه والانتصار عليه.

من هنا: كانت تلك الدراسات قد رصدت مجموعة من الأسس لبناء هذه الروح المعنوية للمقاتل فكانت كما يلي:

@ Ä ´ j @ ” Ç Î £8@A¼ ƒ ?

لا يمكن النظر إلى الجيش بأنه مجموعة من العناصر قد اجتمعت لكي تحمل السلاح وتحسن استخدامه لتقاتل به عناصر آخرين تقابلها ضمن هيئات وتشكيلات قد لا تختلف عنها كثيراً من العدة والعدد والمسميات الحربية.

إنّ نظرة كهذه لا يمكن أن تقدم تصوراً ذهنياً عن مفهوم الجيش ومصداقه الخارجي؛ بل هو مجموعة من البشر المقاتلين الذين امتلكتهم غريزة القتل فقط ولعلها تسري فيما بينهم فيقتل أحدهم الآخر.

هكذا حال الجيوش التي ماتت فيها روح الجماعة المرتكزة على بناء هرمي من القائد العام ثم مجموعة من القيادات الأصغر وانتهاءً بالفرد المقاتل.

هذا المكون الهرمي والبنائي في الجيش لا يقوم إلاّ على وجود الثقة المتفشية بين جميع أعضاء الجيش، ابتداءً من ثقة القائد بجنده وانتهاءً بثقتهم بالقائد، لتكون بذلك روح الجماعة وتماسكها.

(وهناك أمثلة عديدة في التاريخ العسكري كانت فيها روح الجماعة هي أحد العوامل الحاسمة في مقارعة الأرجحية الساحقة، وروح الجماعة المبنية في وحدة، هي عنصر هام في قوتها المقاتلة، فبإمكانها أن توفر الحماسة لتحقيق النصر النهائي، أو التصميم على درء الهزيمة المذلة)[١].

---

(١) تولي القيادة، تأليف العقيدة صامويل هيز والمقدم وليم توماس: ص١٨٧.

Î£ @ ¼ f ? @ Ä L ¸ ˜ · ? Î Ê w Ñ · @ Ĝ Ê j

إنّ أعلى درجات سلم الروح المعنوية والقتالية حينما تكون الجماعة متضامنة حول قضية مقدسة جمعتهم على الانتصار لها والدفاع عنها، فعندها لا تجد في مشاهد المعركة سوى أفراداً يقاتلون بقلب واحد وروح واحدة ويد واحدة؛ ولعل التعبير عن هذه المشاهدة بألفاظ كـ(الملحمة، أو البطولة، أو البسالة، أو الضراوة) لا تقدم صورة مطابقة للواقع عما يجري في ساحة المعركة.

وقد أشار علماء النفس العسكري إلى: (أن هذه الحروب المقدسة تؤججها المشاعر الدينية والوطنية الملتهبة ويحيط بها الحماس والحدة والشعور بالعصبية، ويبدو أن المحاربين يحتاجون إلى مثل هذه الشحنة المعنوية عندما يقومون بالمهام القتالية الخطرة أو الاستشهادية)[١].

فكيف إذا كان هؤلاء المحاربون قد شهدوا منازلهم في الجنة قبل وقوع المعركة كما حدث ليلة العاشر من المحرم حينما جمعهم قائدهم وإمامهم الحسين بن علي صلوات الله عليهما بعد أن عرض عليهم الرحيل والرجوع حرصاً منه على سلامتهم فأبدوا أعلى درجات الاستعداد والتصميم والثبات من أجل الدفاع عن قضيتهم المقدسة التي تمثلت فيه كرمز لهذه القضية المقدسة.

فجمعوا بذلك أهم الأسس التي جعلت فيهم روحا معنوية فريدة على مر التاريخ فمن روح الجماعة والثقة المتبادلة إلى قداسة القضية وتجسدها في شخصه إلى التفاني من أجل قضيتهم ورمزها.

---

(١) علم النفس العسكري للدكتور محمد شحاتة: ص٣٥٢.

@ Ä K Ç f d Î É È À ¤ š ? g^ Ç gÂ È ´ M ½ Ë Ê ç @ G ¼ ¢ À º Ê

قد يلحظ المرء وهو لا يعي ما يراه من تعدد ملابس صنوف الجيش وتشكيلاته، وقد يتصور أن الأمر يرجع في ذلك إلى التخصص مثلاً كـ: (صنف القوة البحرية، أو الجوية، أو البرية، أو من في صنوف القوة البرية فهذا زي القوات الخاصة، وذاك زي القوات المدرعة، وهذا زي المشاة فكل هذه الأزياء والملابس قد تعني للناظر أنها تخصيصية وتعريفية.

وبالطبع لا ينحصر الأمر لدى المعسكر وإنما حتى في الحياة المدنية فقد أصبحت الأزياء والملابس تختص بالكثير من صنوف العمل كالمهندسين والأطباء، ورجال الإطفاء، والمرور، وطلاب المدارس، وغير ذلك.

لكن السؤال المطروح لماذا هذا التخصص في الزي أو الشارات أو الشعارات؟

إنها لخلق روح الجماعة الواحدة الذين تجمعهم قضية محددة، فالأطباء حينما يرتدون (الصدرية) أو البزة البيضاء اللون إنما يريدون بذلك خلق روح الجماعة التي مهمتها معالجة المريض وإسعاف الجريح، فكانت البزة هي الرمز الذي اختزن تحته روح الجماعة وقضيتها في إسعاف المريض وعلاجه.

ولذلك أصبحت (الرموز وسيلة هامة لإقناع الجنود الأفراد بالاندماج بالتنظيم الرسمي، وفي كثير من الأحيان تتبنى الجماعات رموزاً على مسؤوليتها الخاصة، حين لا يوجد غيرها من الرموز)[١].

---

(١) تولي القيادة، فن القيادة العسكرية وعلمها: ص١٩٧.

إلاّ أن عملية الاندماج في الجماعة وخلق روح الجماعة لم يكن موكلاً بحد ذاته إلى الرمز لكونه رمزاً ينضوي تحته الجماعة وإنما حينما يكون الرمز يمثل القضية التي تؤمن بها الجماعة، وحينما تكون القضية مجتمعة في القائد، وحينما يكون القائد يمثل روح الجماعة والقيمة والرمز فعندها تكون الجماعة قلباً واحداً، ويداً واحدة.

وهذا ما تفردت به عاشوراء فقد كان الحسين عليه السلام هو القضية وهو الجماعة وهو الرمز وهو القداسة وهو القائد؛ وهذا ما لم يجمع لجيش على مر التاريخ حتى لدى تحرك الأنبياء عليهم السلام وتوفر عناصر الروح المعنوية لديهم، إلا أن روح التضامن بين الجماعة ورتبة الإيمان لدى الجماعة بالقضية المتجسدة في الرمز وهو القائد لم يتحقق في حياة الأنبياء عليهم السلام وذلك لوجود عددٍ من المنافقين بين أتباع الأنبياء عليهم السلام؛ في حين توحد الجماعة وتضامنها وإيمانها بقداسة القضية وتجسدها بالرمز وإنه القائد، كل ذلك كان مجتمعا في عاشوراء حتى أصبحت على مدى الأيام رمزاً للتضحية والمبادئ والقيادة والقداسة وجميع مفردات الحياة.

ففيها من القيم الأخلاقية التي تجلت في صراع الإنسان مع الموت والحياة ما لم يظهر في غيرها حتى أضحت مشاهد جمالية لكل صاحب حس إنساني وحياتي(١).

---

(١) للمزيد من الاطلاع، ينظر: الجمال في عاشوراء للمؤلف.

خامساً: مكونات الروح المعنوية لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

بعد هذا العرض في معنى الروح المعنوية ومفهومها ومرتكزاتها وعوامل بنائها وقيامها لدى المقاتل من خلال القرآن والسنة والدراسات المعاصرة لابد من بيان عوامل ومكونات الروح المعنوية لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فكانت كالآتي:

’ @ ¤ K ? ¹ Ê H8Ç Úe? ºÂ@ÈL´ š·?

إن قتالهم كان في سبيل الله تعالى، ومن كان يقاتل في سبيل الله فقد ارتكز على الإيمان به وعلى الصبر.

½ Ê ¤ · ? g Ä Ú ? Î HËÃ¿ ?@ÃRcE? Â È

إن مفهوم الغلبة لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كان الأجر العظيم عند الله تعالى.

Í g _ Ü ? Ë Ã Q¼@ÊR ¨ ?? ÂÃÈE

إن الغنيمة يتحقق إحرازها في الآخرة، أي: الجنة فهي الغنيمة التي ليس لها نظير وهي أنفس ما يسعى له المقاتل.

Íb@]Ê°·? œÎ]c¼]¢Àš]¯ ÇÎ É c G Ú ? Í @ Ê X ¸ · ¥Gg?j?Ç ÂÃÈÈ šE?
-í·? {fA Ï¸ £

إن الموت هو وسيلة للحياة الأبدية وليس انعداماً للحياة، وقد استلهم الأصحاب في يوم عاشوراء هذه الروح من القائد الذي اصطفوا تحت رايته فخاطبهم قائلاً:

«إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

وإن كان التاريخ العسكري والقيادي يشهد للقائد القرطاجي هانيبال أو هنيبعل بأنه (أعظم القادة العسكريين في الجيوش القديمة بسبب تفهمه الكبير لأهمية معنويات الجنود في المعركة، سواء أكانت معنويات جيشه أم جيش العدو، وقد برهن عن هذا الجانب من عظمته في مختلف المعارك والحملات، لم يكن جنوده أفضل من الرومان، وكان عددهم أقل بنسبة النصف.

لكنه كان دائماً يحقق الانتصارات، لأنه فهم قيمة المعنويات، وكان مطلق الثقة بجنوده؛ علاوة على ذلك كان يملك فن تأمين الروح المعنوية العالية كميزة إضافية لجيشه يتفوق بها على جيش العدو)[١].

ولعل مثالاً واحداً من قيادته لأهم المعارك التي خاضها مع الروم وانتصر فيها عليهم هو فهمه لقيمة الروح المعنوية وخلقها في نفوس الجند، إلاّ أن الفارق بين هذه الروح المعنوية التي فجرها هنيبعل في نفوس جنوده وبين الروح المعنوية التي زرعها الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه هو أن سيد الشهداء كان هو مكمن هذه الروح ووجودها عند أصحابه وهو مثال القيم والمبادئ التي كانت ترى منه صورة عملية على الأرض؛ فالفرق بين أن تحفز الروح المعنوية في الجند وبين أن تكون أنت الروح لهؤلاء الجند فرق لا يمكن إحصاؤه ومقارنته وذلك أن جنود هنيبعل وجدوا القتال عنصراً لكسب الحياة والنصر؛ والحسين وأصحابه

---

(١) روبرت غرين، ٣٣ إستراتيجية للحرب: ص١٥٦.

عليهم السلام وجدوا الموت مادة وعنصراً للحياة.

ولعل الرجوع إلى كيفية خلق الروح المعنوية لدى القرطاجيين يعطي تصوراً واضحاً لمن أراد أن يعي حقيقة الروح المعنوية التي كانت عند أصحاب الحسين عليه السلام في معركة الطف.

إذ كان على هنيبعل (عشية أول معركة سيخوضها جيشه مع الكتائب الرومانية المرعبة، كان على هنيبعل أن يجد طريقة ليبعث الحياة في جنوده المتعبين – بعد تلك الرحلة التي قادهم فيها من تونس إلى روما عبر جبال الألب مما كلفه أن يخسر اثنين وسبعين ألفاً من جيشه البالغ (١٠٢) ألف، فلم يبقَ معه سوى (٢٦) ألفاً.

فقرر أن يقدم عرضاً: جمع جيشه، ثم جلب مجموعة من السجناء وقال لهم إنه إذا تقاتلوا في مسابقة مصارعة، فإن المنتصرين سيفوزون بالحرية، ويصبحون جزءاً من الجيش القرطاجي.

وافق السجناء، وعاش الجنود ساعات من الترفيه الدموي، وشكّل ذلك إلهاء كبيراً عما يشغل بالهم.

حين انتهى القتال، خاطب هنيبعل رجاله، كانت المباراة ممتعة جدّاً، قال لهم، لأن السجناء قاتلوا بضراوة.

كان هذا جزئياً لأنه حتى أضعف الرجال يصير ضارياً حين تعني الخسارة الموت، لكن هناك سبباً آخر: لقد منحوا الفرصة للانضمام إلى الجيش القرطاجي، أن يتحولوا من سجناء بائسين إلى جنود أحرار يقاتلون من أجل قضية عظيمة،

وهي هزم الرومان المرذولين.

أنتم أيها الجنود، قال هنيبعل، في هذا الوضع تماماً، أنتم تواجهون عدوّاً أقوى بكثير، إنكم تبعدون أميالاً عن الوطن، وعلى أرض معادية، وليس لديكم مكان تذهبون إليه - أنتم بطريقة ما سجناء أيضاً، الخيار أمامكم هو إما العبودية وإما النصر أو الموت، لكن قاتلوا مثلما قاتل أولئك الرجال اليوم وستنتصرون.

أثّرت المباراة والخطاب بجنود هنيبعل، وفي اليوم التالي حاربوا بضراوة وهزموا الرومان، ثم تبع ذلك انتصارات أخرى على كتائب رومانية أكبر حجماً)[١].

وعليه: فشتان بين أن يخير الجند في قتالهم الخصم من أجل البقاء والحياة وبين أن يقاتلوا ليموتوا فتحيا القضية والهدف، بين أن يرى القائد الموت سعادة والحياة مع الظالمين برما وبين أن يندفع الجند للقتال كي لا يموتوا، فضلاً عن أن كينونية القتال والقائد والهدف والقضية والموت جميعها عناصر مقدسة في ملحمة عاشوراء.

Î É È À ¤ š ? ^ Ķ¸g · J @Ñk@L À9Ó@?óéÊÊÑ¿@B¹nÇÀ B› @Ê È.¸ K @Â ÈÉ š¹

إن من الركائز التي تكونت منها الروح المعنوية لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هو انتسابهم للسماء في العقيدة وأن خصمهم جند الشيطان وأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أي: إن مكونات القتال والحرب كانت مقدسة.

---

(١) ٣٣ إستراتيجية للحرب تأليف روبرت غرين: ص١٥٦.

Í Çf· ? ’E N@ÉÈÀ¤š? º@ ss8ÉbE@de· ?c ÀÂTÈ¸´·š

ليس هناك أدنى شك في حصول المدد الإلهي لدى أصحاب الحسين عليه السلام في معركة الطف لاسيما وقد شاهدوا أنواعاً من هذا المدد الإلهي مما جعل يقينهم في قضيتهم ورمزهم وقائدهم إلى مرتبة عين اليقين وهي أعلى درجات اليقين كما لا يخفى على أهل المعرفة(١).

وذلك حينما شاهدوا منازلهم في الجنة بعد أن صدقوا الله في نفوسهم فبان على ألسنتهم وأفعالهم ولذا نالوا نزول المدد الإلهي لهم فكيف لا يتسارعون إلى الشهادة يوم العاشر؟!

فضلاً عن مشاهدتهم سيد الشهداء قبل ذلك من تفجيره عيناً من الماء خلف مخيمه فحملوا وشربوا ثم أمر بإخفائها(٢).

أما ما حدث في يوم العاشر من الآثار الغيبية في دعائه عليه السلام على ابن حوزة، ودعائه على ابن الأشعث واستجابة دعائه في الحال(٣)؛ وغيرها من الآثار الغيبية(٤) التي كانت مشاهد حيّة على نزول المدد الإلهي فكيف لا تكون معنويات أصحاب الحسين عليه السلام فريدة على مر التاريخ.

---

(١) وقد حدد القرآن مراتب اليقين في سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾، سورة التكاثر، الآيات: ١ – ٨.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢١٥.

(٣) الأمالي للصدوق: ص٢٢٠.

(٤) لمزيد من الاطلاع على هذه الآثار الغيبية وتأثيرها، أنظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي للمؤلف.

Ë ¼ Ê ° · ? Ç Ì g ´ ¬ · ? g s À · ? Î Ê T Ê K ? j [illegible] @ k œ ? ² Ã [illegible]

في أرض الطف كانت العقيدة والإيمان بالنصر في المعركة مع العدو لا تحسمها المبارزة بين الرجال وتقاتلهم وإنما في انتصار قيمهم ومبادئهم التي يقاتلون من أجلها فكان النصر عقائديّاً وقيميّاً وفكريّاً فغير ميزان الصراع لتغيير القوى والوسائل القتالية مما أدى إلى انقلاب الحكم والقضاء على الطاغوت ومحاربته في كل زمان ومكان.

فكانت عاشوراء الانتصار على الظلم رمزاً وشعاراً وإيديولوجية فكرية وعقدية للبشرية التي آمنت بها.

فهذه الركائز وغيرها مما مرّ ذكره لاسيما فيما ورد عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام من:

١ - تقديم الله سبحانه على جميع العوالق والروابط الشخصية والاجتماعية فلم يروا في قتالهم تحت راية الإمام الحسين عليه السلام سوى الله تعالى.

٢ - التسليم لأمر الله تعالى وأمره.

٣ - الإصرار على المضي في القتال حتى الوصول إلى الهدف.

٤ - الصبر على مضض الألم وتحمل حرقة الجراح.

٥ - الجد والمثابرة في حرب الخصم.

٦ - الصدق في القتال والجهاد.

فهذه الركائز مع تلك التي مرّ ذكرها كلها تجسدت في هذه النفوس المقاتلة حتى أصبحت أنموذجاً فريداً في التاريخ الإنساني بكل ثقافاته ومبتنياته

حتى لدى الأعداء كما سيمر من خلال صرخات بعض قادة الجيش وهو يشد من عزيمة جنده البالغ عددهم أكثر من ثلاثين ألفا يقاتلون رجالاً لا يتجاوزون التسعين نفراً: (أتدرون من تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرزن لهم منكم أحد)[(١)].

هكذا كانت استغاثة قادة جيش يزيد بن معاوية في يوم عاشوراء.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣١؛ تجارب الأمم لابن مسكويه: ج٢، ص٧٧؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٧.

المبحث الثالث

الإستراتيجية العسكرية والإستراتيجية العليا عند الإمام الحسين عليه السلام

إنّ لكل معركة بين جيشين توجد مجموعة مقومات يتم جمعها مسبقا وآنيا لغرض الوصول إلى هدف الجيش المقاتل، وهذه المقومات الموصلة إلى هدف الجيش تسمى بالإستراتيجية العسكرية؛ أما التي ينجزها الجيش من خلال المعركة فتحقق ما أرادته السلطة الحاكمة فهو الإستراتيجية العليا.

بمعنى: تسعى السلطة أو الدولة إلى تهيئة جميع الظروف والعوامل من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو النصر الذي يحقق السلم والأمان والاستقرار وهذا الهدف تسخر السلطة من أجله كل الإمكانيات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ولذلك:

(فإن على الإستراتيجية العليا أن تقدر وتضاعف الإمكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة، علاوة على دعم القوى المعنوية، لأن أهمية تقوية إرادة الرجال وشخصيتهم تعادل أهمية الحصول على القدرة المالية.

والإستراتيجية العليا تتولى أيضا تنظيم وتوزيع الأدوار والقوى بين مختلف

المرافق والصناعة، وعلينا أن ندرك علاوة على ذلك أن القدرة الحربية عامل واحد من عوامل الإستراتيجية العليا التي يدخل في حسابها قوة الضغط المالي أو السياسي أو الدبلوماسي أو التجاري أو المعنوي، وكلها عوامل هامة لإضعاف إرادة الخصم.

إن مدى الإستراتيجية محدود بالحرب ولكن الإستراتيجية العليا تنظر إلى ما وراء الحرب ونحو السلم الذي سيعقبها، وليس عليها أن تكتفي بتحقيق التوافق بين مختلف وسائط الحرب فحسب، إنما عليها أن تنظم استخدامها بغية تلافي ما يؤذي السلم المقبل الذي يجب أن يكون ثابتاً ويحقق حياة أفضل)[1].

وعلى مر التاريخ لم تكن هناك إستراتيجية عليا سخرت جميع إمكانياتها لتحقيق هدفها في خلق حياة أفضل ونجحت مثلما نجحت الإستراتيجية العليا عند الإمام الحسين عليه السلام والتي كانت كربلاء أول منصة لعرضها أمام الفكر الإنساني.

ولو نظر الإنسان إلى قضية واحدة في العالم الإسلامي لفهم هذا النجاح الذي حققته الإستراتيجية العليا عند سيد الشهداء عليه السلام، ألا وهي بناء الحسينيات والهيئات التي تشرف على إقامة مجالس الإرشاد والتوعية الفكرية فضلاً عن دور عاشوراء في خلق الروح المعنوية للتغيير في النفس والمجتمع بمراتب عالية عجز كثير من التيارات الفكرية والمدارس الثقافية والدينية عن إيجاد بديل لها أو أنها حققت الهدف الأعلى وهو (الإصلاح) مثلما حققته

---

(١) الإستراتيجية وتاريخها في العالم، تأليف: ج.ل. ليدل هارت: ص٢٧٦.

الإستراتيجية العليا لعاشوراء.

وهذه ميزة فريدة اختصت بهذه المعركة فكانت كما هي عاشوراء فريدة في كل جزئياتها بما فيها الإستراتيجية العسكرية وما تضمنته من تكتيك وهجوم ودفاع، فضلاً عن استخدام الحرب النفسية والإعلامية والعقدية فكانت أنموذجاً فريداً.

وهو ما نحاول الوقوف عنده ودراسته وتحليله وبيانه كي يلمس القارئ هذه الحقائق العلمية والدروس والأفكار والوسائل التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف لتحقيق هدفه الذي أعلن عنه قبل البدء في المعركة، فقال عليه السلام:

«إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».

إذن:

الإستراتيجية العليا عند الإمام الحسين عليه السلام إصلاح الأمة الإسلامية؛ وذلك لتفشي الفساد فيها وانحسار المعروف وتولي المنكر في جميع مرافق الحياة مما تطلب منه إعداداً خاصاً لتحقيق هذا الهدف الذي شمل مجموعة من الوسائل والآليات فكانت من بينها الحرب العسكرية التي تجلت فيها كذاك الحرب العقدية والفكرية والنفسية والاجتماعية والإعلامية وذلك من خلال مجموعة من الأدوات وهي:

١ - إظهاره عليه السلام للأسباب والعوامل التي أدت بتراجع الأمة وانحراف

مسارها من خط الرسالة المحمدية وذلك من خلال الخطبتين الاحتجاجيتين اللتين حاجج بهما الإمام الحسين عليه السلام جيش العدو فأرشد كل باحث ومفكر وقارئ إلى عوامل تغير المجتمع الإسلامي الذي أخرج هذه المجاميع من الجند الذين زحفوا لقتاله.

وأظهر عليه السلام أن هذه العوامل الأنثروبولوجية فيما لو طبقت على بيئة أخرى لأنجبت مثل هذه المجاميع الفاسدة والهدامة ولعاثت في الأرض الفساد.

فكانت المعركة قد حققت انكشاف عوامل التردي الاجتماعي والفكري وسبل معالجة هذه الانحرافات الفكرية والنشوئية في الأسرة والمجتمع، فنجحت المعركة في حربها الفكرية والاجتماعية[(١)].

٢ - انكشاف انحراف السلطة الحاكمة التي تولت السلطة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن نقطة الانحراف إنما بدأت من السقيفة وإن يزيد ابن معاوية ثمرة من ثمرات سقيفة بني ساعدة، وهذه الحقيقة أثبتتها الإستراتيجية العليا للإمام الحسين عليه السلام حينما أخرج عياله إلى كربلاء.

٣ - إن صلاح الإنسان مرهون بصلاح التوحيد لله تعالى؛ وإن أي تردٍّ في الحياة إنما سببه انحراف الفكر من نواة التوحيد، ومن ثم فالحرب مرتكزة على عقيدة التوحيد وهذا ما تكشّف من خلال مكونات عناصر جيش الإمام الحسين عليه السلام في مرحلة القتال الثانية، وهي معركة التوحيد التي قادتها العقيلة

---

(١) لمزيد من الاطلاع، ينظر كتاب: الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام للمؤلف.

زينب عليها السلام وما صاحب رحلتها مع أخواتها والأطفال من كربلاء إلى المدينة[١].

٤ - في الجانب العسكري كشفت المعركة أعقد التكتيكات والمفاجآت والهجوم غير المباشر في حربها ضد الخصم فكانت على المستوى العسكري - كما كانت على مستوى الإستراتيجية العليا - أنموذجاً فريداً في الحرب - كما سيمر بيانه -.

المسألة الأولى: إستراتيجية الترصيص (بناء القوة المحاربة فكرياً، ونفسياً، وبدنيا)

إنّ مما اختصت به السلطات الحاكمة بناء جيوشها بناءً عسكرياً من خلال التدريب على فنون القتال واستخدام الأسلحة وتجهيز هذه الجيوش بأحدث ما تتوصل إليه عقول الحرب والمعارك فضلاً عن البناء النفسي للمقاتلين.

وغالباً ما تتوقف قوة الجيش على هذه المرتكزات إلاّ أنها تكون مكشوفة لإظهار قوتها وضعفها في ساحة المعركة فهي الفيصل في إظهار ميزان القوى ومواطن الضعف.

ولقد أرشد القرآن الكريم قبل الدراسات العسكرية في أهمية البناء الحربي للجيش فقال عزّ وجل:

---

(١) لمزيد من الاطلاع على معرفة الآثار التي حققها خروج النساء إلى كربلاء، ينظر كتاب سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمؤلف.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾(١).

وبناء القوة يستلزم بناء العقل والنفس والجسد، وتهيئة الوسائل التي يتم بها هذا البناء كي يتكون لدينا البيان المرصوص كما عرفته الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(٢).

وهذا البنيان المرصوص أظهرته معركة الطف كإستراتيجية قتالية فريدة في ظهورها وممارستها حتى أعجزت الخصم الذي يفوقها عدداً وعدّة بمئات المرات كنسبة فريدة وأوحدية في تاريخ الحروب من أن تحقق نصراً عسكرياً سريعاً وفي دقائق معدودات.

إلاّ أن واقع المعركة يكشف عن أن هذه الألوف المجتمعة والمقاتلة اضطرت للمواصلة في القتال ساعات عديدة حتى أعيت القادة قبل الجند في تحقق نصر عسكري.

والسؤال الذي يفرضه البحث: كيف بنى الإمام الحسين عليه السلام قوته في حربه وقتاله الأعداء؟

وجوابه فيما يلي:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

أولاً: بناء القلب على التوحيد

ما من شيء يجعل الإنسان ذا قوة خارقة مثلما يجعله التوحيد الصحيح بالله عزّ وجل، فالأنبياء والمرسلون والأوصياء عليهم السلام لم تكن قواهم مرتكزة على المدد الغيبي واللطف الإلهي فقط، وإنما هم في الأساس أناس بلغوا المراتب العليا من التوحيد لله تعالى فكان الله معهم في قولهم وفعلهم فهو عزّ وجل يدهم التي يضربون بها وسمعهم الذي يسمعون به ونظرهم الذي ينظرون به فكانوا لله وإلى الله تعالى.

ولذا: لم تبنَ قواهم على جودة الغذاء ولا على نوع السلاح ولا على فنون القتال، وإنما بنيت هذه القوى على التوحيد فكان هو الأساس ثم على ما يحتاج إليه المحارب من وسائل قتالية كالسيف والرمح والتدريب عليها تدريباً واسعاً.

وعليه:

فإن هذه المجموعة التي وقفت يوم العاشر تقاتل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام كانوا قد تأسسوا على التوحيد الصحيح بالله تعالى، فأصبحوا في قتالهم العدو:

﴿...كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

وهذه الصفة، أي إنهم (بنيان مرصوص) كانت نتيجة لمقدمة ذكرتها الآية الكريمة، ألا وهي:

﴿...يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم...﴾.

ولا يقاتلون في سبيله إلا حينما يكونون موحدين له، وكلما كان اعتقادهم بالتوحيد أصدق كلما كان بنيانهم أرص.

وهذه الحقيقة يمكن ملاحظتها من خلال ليلة عاشوراء حينما جمعهم الإمام الحسين عليه السلام وخاطبهم قائلاً:

«أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت ابر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خير الجزاء ألا واني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء ألا وقد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»(١) .

فقال أخوته وأبناؤهم وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك اليوم أبدا بدأهم بهذا القول العباس بن علي – عليه السلام – واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه، فقال الحسين عليه السلام:

«يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم»(٢) .

قالوا: سبحان الله ما نقول للناس؟ نقول إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا بهم لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلنا أو

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص٩١.

(٢) المصدر نفسه.

نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقال مسلم بن عوسجة: والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي من دونك وكيف لا افعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا.

وقام زهير بن القين رحمه الله: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا ألف مرة وان الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك لفعلت وتكلم بعض أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد فجزاهم الحسين عليه السلام خيرا وانصرف إلى مضربه)[1].

وهذه المواقف تنطق بصدق الاعتقاد بالله عزّ وجل والإخلاص له في توحيده ولولا هذه العقيدة لما كانت لهم تلك المواقف في يوم عاشوراء وهم يجدون أن الإمامة شرط من شروط التوحيد؛ فالدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام دفاع عن عقيدة التوحيد والنبوة.

ثانياً: آثار تهجد الإمام الحسين عليه السلام في بناء الروح القتالية وانعكاسها على الأعداء وسير المعركة

في الوقت الذي يلمس فيه الإنسان المؤمن بالله تعالى والذي عقد النية والعزم في الجهاد في سبيله خطورة الحرب وثقلها إلا أنه يلمس في الآن نفسه

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص٩١؛ إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي: ج١، ص٤٥٦؛ روضة الواعظين للفتال: ص١٨٤؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩٤.

آثار العبادة والتهجد على بناء الروح وتقوية القلب حتى يصبح كزبر الحديد.

هذه الآثار لم تكن محصورة بالمؤمن بالله تعالى بلى كذا سرى أثرها في الذين لم يؤمنوا بالله تعالى وتجهزوا لقتال أوليائه.

(لقد أثر تهجد الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء تأثيراً بالغاً ومن عدة جوانب:

Ë · @ j g -8? Ag O Ú ?

فقد كشف هذا الوقوف بين يدي الله ومناجاته أن لهؤلاء القوم قضية ربانية مرتبطة بالرسالات السماوية، وأنهم ليسوا طلاب سلطة ولا دعاة ملك أو رئاسة وإنما هم امتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته؛ فهذه الفعال هي فعال الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

Ë k ¬ À · Ñ @ G Ú ?

في الجانب النفسي نجد أن للمناجاة تأثيرا معاكساً على الأعداء، بمعنى: كل ما يدخله الدعاء والمناجاة والعبادة من ارتياح وانبساط نفسي على المؤمن، يكون على عكسه حال الظالم، وبخاصة حينما يرى أمام عينيه وقوف المظلوم ومناجاته لله رب العالمين.

والسبب في ذلك؛ أن الظالم يتملكه شعور نفسي خاص يتكون من مجموعة إدراكات ذهنية مختلفة وهي كالآتي:

١. إدراكه بأنه متلبس بالظلم.

٢. أنه من صنف أهل الشر.

٣. أن عاقبته سيئة.

٤. أن مصيره إلى النار والعذاب.

٥. أنه وضيع.

٦. أنه أداة تستهلك بيد غيره.

٧. أنه يدمر نفسه كي يتنعم بالدنيا غيره.

٨. أنه عار على أبنائه وعشيرته.

٩. أنه موضع لعنة الله على مر الأجيال.

وغيرها من الادراكات التي تدور في الذهن فتستشعرها النفس بمرارة وحسرة فتكون هذه الأحاسيس أشد ألماً على النفس من آلام الجراح.

ولذلك نجد الكثير من الظالمين حينما يعيش هذه الحالة النفسية تأخذه العزة بالإثم كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

فلا يجد من الناحية النفسية غير المضي بهذا الظلم، إلاّ في حالة واحدة وهي تغليب العقل على النفس فيأخذ من هذه المشاهد التي يراها من أهل الخير والصالحين فيشد النفس إلى اللحاق بهم بعد التوبة والمغفرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

Ì g ´ k ¤ · ? ‰gÊOSÚ ?

في الجانب العسكري أوجد تهجد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام رعباً في نفوس الأعداء بمستوى كبير جداً.

(فقد بدا هذا الوقوف وهذا التهجد وكأنه وقعة حرب شرسة تدور رحاها على مقربة من الناظر، فهؤلاء الذين انتصبوا وقوفا فبدوا للناظر رماحا يزهر من أسنّتها النور، هم في يوم غد تتصدع من قارعة سيوفهم القلوب المتحجرة.

وهذا الدّوي الآتي من هذه الشفاه التي رطبها الاستغفار، بدا للسامع قرقعة امتزج فيها صوت الأتراس حينما تصطك فوق أكتاف الفرسان وهم يجولون بخيولهم فيعلو صوت السنابك وهي تدق الصخور.

إنه مشهد تداخلت فيه الصور فاحتار الرائي والسامع بأيهما يعقل؟!

ولذلك: (انحاز من معسكر عمر بن سعد في هذه الليلة إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون رجلاً لما رأوا منهم هذا التهجد)[1])[2].

المسألة الثانية: (الإستراتيجية الدفاعية) تهيئة الخطوط الدفاعية قبل البدء بالمعركة

حينما يكون القائد محاطاً بجيوش جرارة تفوقه بالعدد والعدة بمئات المرات فإنه يجد الاستسلام - بحسب الموازين العسكرية - أمراً لا مفر منه، إلا أننا نشهد في معركة الطف بشكل خاص حالة مختلفة؛ إذ يختار القائد الذي لا

---

(١) البحار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٩٤؛ اللهوف للسيد ابن طاووس: ص٥٧؛ المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين: ص٢٤٠؛ العوالم - الإمام الحسين عليه السلام -:ص٢٤٥؛ لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص١٢١؛ أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠١.

(٢) دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء للمؤلف: ج١، ص١٠٢ - ١٠٣.

يملك سوى سبعين رجلاً من أنصاره - على المشهور - وسبعة عشر نفراً من أهل بيته وأرحامه وهم بين الأخوة وأبناء العمومة؛ أن يقاتل هذه الجيوش بهذه القلة من العدد والعدة وهو ضامن أنه سيلحق بخصمه خسائر فادحة في المعركة.

في حين اقتضت الحالة من الناحية العسكرية أن يتمكن الخصم وهو بهذا الجيش أن يقضي على هذه المجموعة الصغيرة في دقائق معدودات قد لا تتجاوز الساعة الواحدة، إذ لو يكتفي هذا الجيش الجرار بآلة واحدة للقتال وهي السهام لاستطاع أن يحقق الإبادة الجماعية لخصمه لكنه عجز عن حسم المعركة إلاّ بعد مرور ساعات عديدة استنزفت منه جميع الطاقات ودفعته لاستخدام مختلف الأسلحة والاضطرار إلى تغير متكرر لأسلوب الحرب حتى أعياه الجهد وأضناه القتال.

وعليه:

ماذا أعد سيد الشهداء عليه السلام من الإستراتيجية الدفاعية لمواجهة هذه الجيوش التي زحفت لقتاله مع أهل بيته وأصحابه، وكيف استطاع الصمود كل هذا الوقت، وكيف حقق النصر على مستوى الإستراتيجية العليا فضلاً عن تحقيق مكاسب كبيرة في الإستراتيجية العسكرية.

أولاً: دراسة أرض المعركة

إن أول أمر قام به الإمام الحسين عليه السلام في الإستراتيجية العسكرية هو دراسة أرض المعركة والاستفادة من طبيعتها الجغرافية في الدفاع والهجوم، وهو في ذاك يكون قد أظهر هذا الفن العسكري الذي وضع أسسه أبوه الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام، إذ يقول لجنده وقادة جيشه:

«فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف[١]، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مرداً؛ ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء في صياصي[٢] الجبال، وبأعلى الأشراف وبمناكب[٣] الهضاب، يرينون لكم لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن؛ وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون القدمة طلائعهم، وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فأنزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتمْ فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّةً[٤]، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة[٥]»[٦].

وهذه الإستراتيجية في نزول الجيش ودراسة الأرض التي سيقاتل عليها، نجدها قد طبقت في أرض كربلاء حينما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء فوجد أن هذه الأرض تمتاز بما يلي:

١ - أرض زراعية يخترقها نهر سمي بالعلقمي وقد أحاطت: النهر مجموعة من النخيل.

---

(١) الأشراف: جمع شرف، أي: العلو، وقيل الأشراف: أي قدام الجبال.

(٢) الصياصي: الأعالي.

(٣) المناكب: المرتفعات.

(٤) اجعلوا الرماح كِفة: أي اجعلوها مستديرة حولكم كأنها كفة الميزان.

(٥) الغرار: النوم الخفيف؛ والمضمضة: أن ينام ثم يستيقظ تشبيها بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه.

(٦) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص١٩٣.

٢ - فيها هضبة مرتفعة عرفت فيما بعد بـ(التل الزينبي).

٣ - فيها وادٍ أو منخفض يحاذي هذه الهضبة أو التلة.

٤ - انبساط الأرض مقابل التل ومن حوله.

وعليه:

أ: فقد اختار الإمام الحسين عليه السلام النزول والتعسكر بجانب التل الزينبي فجعل الخيام ظهرها إلى الغرب ووجهها باتجاه الشرق فكانت ميسرته بمحاذاة التل الزينبي.

ب: تحديد مساحة المعركة بين التل الزينبي ونهر العلقمي.

ج: جعل القبلة على يمينه وشروق الشمس أمامه ويقابل بذلك تمركز خصمه.

د: أصبح وادي الطف على يسار المخيم، فكانت ساحة القتال ما بين المعسكرين ما يعرف اليوم بشارع باب القبلة وشارع السدرة وفيه موضع ذبح الطفل الرضيع.

ثانياً: حفر الخندق

بعد دراسة أرض المعركة واختيار محل النزول وتحديد ساحة المعركة حسبما توفر من صفات جغرافية - كما مرّ ذكرها - فإن المرحلة الثانية من الإستراتيجية العسكرية في تهيئة خطوط الدفاع والمواجهة فقد قام الإمام الحسين عليه السلام بحفر خندق خلف المخيم الذي جمع فيه أهل بيته وأصحابه متوسطاً المخيم.

قال الطبري: (وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل فجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب)[١].

وقد سعى الإمام الحسين عليه السلام في ذلك إلى حفظ مؤخرة المعسكر كي يأمن من المباغتة والالتفاف من الخلف وهو تكتيك دفاعي مهم لإجبار العدو على المواجهة حسبما أراده الإمام الحسين عليه السلام.

ثالثا: جمع الخيام مع بعضها[٢]

من التكتيك العسكري الذي ظهر في الإستراتيجية الدفاعية لدى الإمام الحسين عليه السلام أن جعل الخيام متقاربة ثم شابك بين أطنابها كي لا تستطيع الخيالة اختراق هذه الخيام والتعرض للنساء والأطفال فكانت ضمن خطوط ثلاثة، وهو تكتيك دفاعي جديد في أثناء القتال مما يؤدي إلى اضطراب العسكر.

فضلاً عن قطع الطريق عليهم من إحداث ثغرة يمكن من خلالها إحداث الإرباك؛ ومن ثم كسب المعركة في وقت أقصر؛ فكان هذا التشابك حاجزاً عن تحقيق هذا الهدف.

وقد قام الإمام الحسين عليه السلام في جعل هذه الخيام ضمن خطين دفاعيين في ظهر مخيمه الذي أنزل فيه النساء والأطفال فجعل المجموعة الأولى من الخيام فارغة وقد شابك بين أطنابها - أي الحبال - ومن خلفها الخط الدفاعي

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣١٩.

الثاني وهو مجموعة من الخيام ووضع فيها المتاع من الفرش والأواني وغيرها.

أما المجموعة الثالثة من الخيام فهي التي أنزل فيها النساء والأطفال وجعل الجند من أصحابه وأهل بيته أمام مخيم النساء حرصاً منه على صون بنات الرسالة في أثناء المعركة فضلاً عن جعل العدو يقاتل لجهة واحدة مع وجود هذه التحصينات في ظهر المخيم الحسيني الذي حقق حفظ التوازن في المعركة وقطع طريق الالتفاف والمباغتة وفتح الثغرات في أثناء المعركة كما سيمر بيانه بمزيد من التفصيل.

رابعاً: إضرام النار في الخندق

يعد حفر الخندق الخط الدفاعي الأول إلاّ أن الإمام الحسين عليه السلام رفع من تجهيز هذا الخط الدفاعي إلى مستوى كبير بحيث يستحيل على العدو اختراق هذا الخط الدفاعي وذلك حينما جمع فيه القصب والحطب ثم أضرم النار فيه قبل البدء في المعركة مما أعطى زخماً قتالياً عالياً، فقد آمن معسكر الإمام الحسين عليه السلام من مباغتة العدو من الخلف.

مما دفع شمر بن ذي الجوشن إلى الاستياء بشكل كبير حينما وجد هذا الخط الدفاعي وأنه سيضطر لا محالة إلى مواجهة معسكر الإمام الحسين عليه السلام من جهة واحدة.

ولذا:

يروي المؤرخون هذه المفاجأة لكسر اندفاع العدو في المواجهة، فقالوا:

(وأقبلوا يجولون حول البيوت فيرون النار تضطرم في الخندق، فنادى شمر

بأعلى صوته: يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة، فقال الحسين عليه السلام:

«من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن».

قيل: نعم، فقال عليه السلام:

«يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً»[1].

خامساً: جعل القتال في جهة واحدة وأثره في مركز تفكير الجيش وتوازنه

إن من أهم مراحل الإستراتيجية العسكرية في تأمين خطوط الدفاع والهجوم المزدوج في آن واحد هو جعل القتال في جهة واحدة.

بمعنى: في الحالات التي يتقدم فيها الجيش للدفاع فإنه يحرص على إفشال عنصر المباغتة لدى الخصم ومشاغلته بنحو وضعية الاستدارة كي يحمي المقاتل ظهره أو الالتجاء إلى إمكانيات تمنع العدو من المهاجمة من الخلف كوضع مجاميع مشاغلة للعدو أو تحصينات دفاعية.

ولكن في عاشوراء كانت المعركة دفاعية هجومية مما تطلب تعدد خطوط الدفاع كي ينجر العدو إلى القتال في جهة واحدة لغرض حفظ توازن الجيش ومنحه قدراً كبيراً من التفكير في القتال وضرب العدو.

وهذه الحقيقة العلمية التفت إليها كثير من الخبراء والقادة والدارسين للفنون العسكرية، وفي ذلك يقول ليدل هارت:

(الجيش كالرجل لا يستطيع الدفاع بصورة فعالة ضد ضربة تأتيه من

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٢؛ الإرشاد للمفيد: ج٢، ص٩٦.

الخلف، دون أن يستدير ليستخدم أسلحته ضد هذا المهاجم.

وعملية الاستدارة تجعل الجيش يفقد توازنه وتضعه في وضع قلق بعض الوقت، وهكذا فالمخ يكون أكثر تأثراً بكل خطر قادم من وراء الظهر، وعلى العكس يؤدي السير بصورة مباشرة نحو العدو إلى تقوية توازنه المادي والمعنوي وزيادة قدرته على المقاومة)[١].

وهذه الحقيقة العلمية التي توصل إليها ليدل هارت: كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد استخدمها في معركة أُحد حينما جعل مجموعة من الرماة لحفظ مؤخرت جيش المسلمين من المباغته إلا ان معصيته صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة أمره في ترك المواقع مكن خالد بن الوليد وكتيبته من ضرب المسلمين من الخلف فخسروا المعركة.

ومن هنا: كان الإمام الحسين عليه السلام حريصاً على جعل المعركة والقتال في جهة واحدة.

المسألة الثالثة: تعبئة الجند

لم يكن عرب الجزيرة قبل الإسلام يتقنون فن تعبئة الجند ونظام تشكيلات الجيش وتصنيفه (باستثناء المناذرة والغساسنة الذين استطاعوا بحكم تحالف أولئك مع الفرس وهؤلاء مع البيزنطينيين، التعرف إلى شيء من النظم العسكرية، فكان المناذرة يقسمون الجند فرقاً من خمس كتائب، وهي: الرهائن، والصنائع، والأشاهب، والدوسر، أما الغساسنة فلم يكن لديهم جيش منظم، وإنما كانوا

(١) الإستراتيجية وتاريخها في العالم، تأليف: ليدل هارت: ص٢٨٠.

يعبئون رجالهم للقتال في أوقات الحرب، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها، أعاد الرجال أسلحتهم إلى مستودعاتها في كل من بصرة، أو دمشق، وعادوا يمارسون أعمالهم اليومية المعتادة)[١].

ولذا:

لم يشهد العرب في الحروب تنظيماً وقيادة وتكتيكاً إلاّ بعد أن بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبدء مرحلة الجهاد بقتال المشركين بعد الهجرة النبوية في المدينة وقيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل الآيات الكريمة التي بدأت تحث على القتال في سبيل الله ضمن منظومة من المعارف العسكرية فضلاً عما قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قتاله للمشركين من فنون عسكرية لم تشهدها العرب من قبل (فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرّف العرفاء، وينقب النقباء، ويؤمر على الجيوش الأمراء، ويجعل على كل عشرة جنود عريفاً، وعلى كل عشرة عرفاء نقيباً، أما أمير الجيش فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يختاره من أهل السابقة في الإسلام والتجربة في القتال، وكثيراً ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقود الجيوش بنفسه)[٢].

ثم أضاف عمر بن الخطاب بعض الشؤون الأخرى كديوان الجند، والخدمة الإلزامية وتخميس الجيش؛ إلاّ أن النظام الذي اعتمده المسلمون في تعبئة الجيش وتنظيمه هو:

---

(١) الفن العسكري الإسلامي، تأليف: ياسين سويد: ص٢٢.

(٢) الفن العسكري الإسلامي، تأليف: ياسين سويد: ص٦٥.

ألف: القلب، ويسمونه الجمهور.

باء: الميمنة والميسرة، ويسمونهما الجنبين.

جيم: الأجنحة، وهما طرفا الميمنة والميسرة، ويسمى كل منهما جناحا.

ثم يتطور تنظيم الجيش وتعبئة الجند وتسمى بتعبئة (الزحف الأعظم) كما يسميها الهرثمي في كتابه مختصر سياسة الحروب.

وتتألف هذه التعبئة من خمسة أحيان، الحين الأول: القلب والميمنة والميسرة، والثاني: وراء الأول، وهو أيضا ثلاثة أجزاء وراء القلب والميمنة والميسرة ويسمى (ردء القلب)، ويأتي الحين الثالث: وهو الأثقال، ووراء الثاني، ويأتي الرابع ويعين من يوضع من أصناف الجند في مواقعهم من الأحيان الخمسة مشاة وفرساناً وأصحاب أعلام وحرسا وخدما وأصحاب الطبول والخراج والقاضي والشرط والبريد، ثم الطلائع والجواسيس والأطباء والفعلة والتجار والحريم، ثم الأشراف أبناء القواد.

وكذلك خيل التوافض والطلائع والخيل المانعة (كراديس في الميمنة والميسرة)، والخيل الممدة (أي الأخياط أو المدد) والكمائن، والخيل المترخية (قرب ظهر الميمنة ومهمتها أخذ عسكر العدو المنهزم)[(١)].

كما تنظم الجيوش في سرايا (تخرج في الليل) وسوارب (تخرج في النهار)، ويراوح عدد كل منها بين ٣٠٠ و ٥٠٠ مقاتل، ومباشر (بين ٥٠٠ و ٨٠٠ مقاتل) ثم الجيش الحسحاس (بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ مقاتل)، والجيش الأزلم (ألف

(١) الفن العسكري الإسلامي، تأليف: ياسين سويد: ص١٦١ – ١٦٢.

مقاتل)، والجيش الجحفل (أربعة آلاف مقاتل)، والجيش الجرار (١٢ ألف مقاتل)[1].

وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن له من المقاتلين ما يشكلون سرية واحدة فقد كانوا اثنين وسبعين من عامة الناس وسبعة عشر رجلاً من بني هاشم أي لم يبلغ عددهم المائة مقاتل يقابلون جيوشاً جرارة فقد بلغ عدد المقاتلين الذين خرجوا لقتاله عليه السلام أكثر من ثلاثين ألف مقاتل كما نص على ذلك الإمام الحسن عليه السلام حينما حضرته الوفاة وكان عنده أخوه الإمام الحسين عليه السلام وقد أخذ بالبكاء على ما نزل بأخيه الحسن من السم الذي سقته إياه جعدة بنت الأشعث بأمر من معاوية بن أبي سفيان، فلما نظر إليه الإمام الحسن وهو يبكي، قال:

«ما يبكيك يا أبا عبد الله؟».

قال:

«أبكي لما صنع بك».

فقال الحسن عليه السلام:

«إنّ الذي أوتي إليّ سم أقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها

(١) المصدر نفسه.

تحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودما ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار»[(١)].

وتفيد الروايات التاريخية أن هذه الجيوش خرجت بحسب الأعداد والقيادات الآتية:

١ - خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف مقاتل.

٢ - وخرج يزيد بن الركاب في ألفي مقاتل.

٣ - الحصين بن نمير التميمي في أربعة آلاف مقاتل.

٤ - شبث بن ربعي في ألف مقاتل.

٥ - كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف مقاتل.

٦ - حجار بن أبجر في ألف مقاتل.

٧ - مضاير بن رهينة المازني في ثلاثة آلاف مقاتل.

٨ - نصر بن حرشة في ألفين مقاتل.

فتكامل عند ابن سعد لست خلون من المحرم عشرون ألفاً، ولم يزل ابن زياد يرسل العساكر إلى ابن سعد حتى تكامل عنده في يوم التاسع من المحرم ثلاثون ألفاً[(٢)]؛ وكان أول من وصل إلى الحسين عليه السلام الحر بن يزيد الرياحي في ألف مقاتل وهو الذي اعترض الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة وجعجع به حتى ألجأه إلى النزول في أرض كربلاء، ثم أكرمه الله تعالى فانحاز إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام وقاتل بين يديه فاستشهد يوم عاشوراء.

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٧٧ - ١٧٨.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٠٧.

إستراتيجية في التعبئة العامة وحشد الناس لتكوين هذه الجيوش فضلاً عن تنظيم هذه الجنود مع صنوفها المختلفة.

وهذا التنظيم كان مشتركاً بين التنظيم العسكري والنظام القبائلي، بمعنى أن الجيش الذي خرج لقتال سيد الشهداء عليه السلام كان ضمن نظام عشائري ونظام عسكري وتترأسه القيادات الآتية.

أولاً: أمير الجيش، وهو عمر بن سعد بن أبي وقاص.

وهو الوحيد من قريش ومن التابعيين في تلك الجيوش التي خرجت لقتال الحسين عليه السلام.

ثانيا: رؤساء أرباع الكوفة.

وهذا تابع من كون الكوفة هي في أساس نشأتها وتكوينها كانت حاضنة للجند وثكنة عسكرية أو محطة تنظيم وتزويد للجيوش الإسلامية التي كانت تنطلق باتجاه الشرق من أجل التوسع في رقعة الدولة الإسلامية.

ومن ثم فقد كانت في عام ٦٠ للهجرة مقسمة إلى أربعة أقسام بحسب أبناء المدن والعشائر التي انخرطت في الفتوحات الإسلامية، فكانت رؤساء الأرباع هم:

١ . عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي على ربع أهل المدينة.

٢ . عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي على ربع مذحج وأسد.

٣ . قيس بن الأشعث على ربع ربيعة وكندة.

(ولا تدعوا في ربيعة ومضر ولا حلفائها أحداً من أهل النجدة ولا فارسا إلاّ جلبتموه فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه)[١].

ثم أعادها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن سرعان ما تغير الحال في زمن معاوية إذ (أخذت عملية التجنيد تشغل الحيز الأكبر من سياسة الأمويين، وقد أولى معاوية ابن أبي سفيان هذه العملية اهتماماً خاصاً.

وقد أعانته قابليته السياسية وخبرته في المكر في اختيار الولاة لإدارة الأمصار الإسلامية كعمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، والمغيرة بن شعبة؛ ولكسب رجال القبائل العربية الذين هم العمود الفقري للجيش، فقد استخدم مقدرته في فهم عقليات هؤلاء الرجال ثم نفذ من خلال ذلك وبما ملكه من مال إلى التحكم فيهم والسيطرة عليهم.

فأغراهم بالأموال والمناصب وقرب رؤساءهم سواء من القبائل اليمنية أو القيسية واستطاع أن يجند منهم أعداداً كبيرة في الحملات البرية والبحرية.

وقد أظهرت هذه السياسة أن عملية تجنيد المقاتلين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الولاة وكفاءة تدابيرهم الإدارية والعسكرية.

فعندما تولى المغيرة بن شعبة الكوفة سنة ٤١هـ ورأى تهاوناً في حرب الناس الخوارج وتثاقلهم في الخروج لقتالهم جهز جيشا قوامه ثلاثة آلاف رجل، وأمر أن يعلن في الكوفة بأن كل من وجد من أفراد هذا الجيش في المدينة بعد

---

(١) الاكتفاء للكلاعي: ج٢، ص٤٣٠.

يوم واحد تعرض لأشد العقوبة.

ويمكن اعتبار ولاية زياد بن أبيه على البصرة سنة ٤٥هـ هي البداية الحقيقية للتشديد في عملية التجنيد واستنفار المقاتلين ومعاقبة المتخلفين لأن سياسته القائمة على الحزم وعدم التهاون مع المخالفين، لم تدع أحداً من الجند يجرؤ على الإخلال بمكانه أو الهرب من الجيش لأن ذلك كان يعرضه لأشد العقوبات.

وقد أظهرت خطبته التي استهل بها ولايته على البصرة مدى تصميمه على تنفيذ ذلك، ويبدو أنه نجح فيما صمم عليه؛ وفي ذلك يقول الطبري (وكان زياد أول من شد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية وألزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وجرد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً.

وكان من نتيجة هذه السياسة أن ازداد عدد المقاتلة في العراق خلال مدة ولايته فقد كان عدد المقاتلة في البصرة حين قدم زياد أربعين ألفا فأصبح عددهم ثمانين ألفاً كما أصبح مقاتلة الكوفة ستين ألفاً.

وقد شعر زياد بن أبيه إنه لا يمكنه السيطرة على الجند وليس باستطاعته تهيئة قوات كبيرة قادرة على إنجاز مهام القتال، إلاّ بإعادة تنظيم القبائل في البصرة والكوفة ليضمن السيطرة عليها من الناحية العسكرية فقسم قبائل البصرة إلى أخماس، على كل خمس رجل وقسم قبائل الكوفة إلى أرباع بعد أن كانت مقسمة على أسباع)[1].

---

(١) الجيش والسلاح: ج٣، ص٧٤ – ٧٥.

وعليه: فقد اتبع يزيد بن معاوية وواليه على العراق التجنيد الإلزامي في قتالهم للإمام الحسين عليه السلام مع تقديم العشائر والاستفادة منها.

ويكشف هذا التنظيم عن حجم القوات المقاتلة من جهة، ومن جهة أخرى أنهم يدركون أن الحسين وأهل بيته وأصحابه كانوا من الناحية العسكرية يحتاجون إلى هذا العدد من المقاتلين والعدة وذلك للأسباب الآتية:

جيم: أسباب إعلان التعبئة العامة لجيش السلطة في قتالها للحسين وأصحابه وهم لم يتجاوزوا المئة وقد اقتضت هذه التدابير السياسية التي أسس لها معاوية واعتمدها في التعبئة العامة والتجنيد الإلزامي إلى دراسة مكونات الخصم الذي عزم يزيد بن معاوية وأمير العراق على قتله هو وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام فكانت هناك مجموعة من الأسباب دفعتهم لهذه التعبئة وهي:

١ - أن السياسة التي اتبعها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في الشام بلحاظ كونه رأس الهرم في الدولة الأموية آنذاك مع مستشاريه وكذا أمير الكوفة والبصرة أو أمير العراق عبيد الله بن زياد كانوا يدركون أنهم يقاتلون رجلاً مرتبطاً بالسماء وأنه مؤيّد بالملائكة فهو مستجاب الدعوة فضلا عن يقينهم بأنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثالث أئمة العترة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذه العناوين تستدعي أن يجهز يزيد بن معاوية وأمير العراق جيشاً جراراً حالهم في ذاك حال أسلافهم في الأحزاب حينما قادها جده أبو سفيان بن حرب في قتاله وحربه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو يدرك آنذاك أنه يقاتل رجلاً مرتبطاً بالسماء ولذا أعد له ما استطاع من الجند.

وكذا اليوم يزيد وعبيد الله كانوا يدركون من يقاتلون ومن ثم أرادوا الموازنة في القوى العسكرية بين أن يكون الحسين عليه السلام مؤيّداً بالملائكة كما كان جده صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وغيرها، وأن يمده الله كما أمد جده من قبل بجنود من الملائكة مسومين، وبين إمكانية أن تخضع لأمره القوى الطبيعية كما كان حال موسى الكليم عليه السلام أو سليمان النبي عليه السلام، فهؤلاء كانوا مرتبطين بالله وقد أخضع الله لهم الطبيعة وغير مستبعد أن يستخدم الإمام الحسين عليه السلام هذه القوى مما آتاه الله تعالى من فضله ومن ثم فهم لا يقاتلون بهذه الجيوش الجرارة سبعين رجلاً ونيفاً فقط؛ وإنما كان الأمر يتطلب تهيئة كل الإمكانيات لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام المؤيد بالسماء.

وقد أشار كثير من الروايات إلى نزول الملائكة لكنها لم تحصل على الإذن من حجة الله ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أبيه علي بن أبي طالب وأخيه الحسن المجتبى عليهم أفضل الصلاة والسلام في القتال فهي الآن عند قبره عليه السلام.

٢ - إن القيادة العليا في الشام والعراق كانوا يدركون أن الرجل الواحد من أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته يحتاج إلى ألف رجل لما يتحلى به من شجاعة وبأس وفروسية فلو برز هؤلاء الألف بنظام المبارزة الفردية، أي: واحداً تلو الآخر لما استطاعوا أن يقتلوا خصمهم.

وذلك أن نظام الحرب عند العرب كان يعتمد على المبارزة الفردية وغالباً

ما كانت تضطر العرب في الالتحام والاقتحام؛ ولذا: كان أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته يحتاجون إلى توازن عسكري يفي بتحقيق النصر.

٣ - خوفاً من عنصر المفاجأة إلا على المنظور الطبيعي وذلك من خلال التحاق مجاميع كبيرة من المسلمين بمعسكر الحسين عليه السلام أو قطع المدد الذي يحتمل أن يلحق بسيد الشهداء عليه السلام سواء كانوا من المدينة أو مكة أو اليمن وغيرها، ولذا: كانوا يحذرون من وصول المدد لمعسكر الحسين عليه السلام، فجمعوا كل هذه الجيوش.

المسألة الرابعة: التجهيزات العسكرية لجيش الكوفة وأنواع الأسلحة المستخدمة في معركة الطف

إن الرجوع إلى المصادر التاريخية لمعرفة أنواع الأسلحة والتجهيزات العسكرية لدى جيش الكوفة يفيد بأن هذا الجيش وبحكم التنوع العشائري والعرقي من أبناء القبائل العربية وأبناء الأعاجم الذين ملئت بهم الكوفة والذين كانوا يسمون بـ(الحمران والديلم) وما انتقل من غنائم من خلال التوسع في فتح البلاد في جهة الشرق كل ذلك عمل على تنوع الأسلحة والتجهيزات العسكرية لدى المقاتلين الذين جمعتهم الكوفة فضلاً عن أن هذا الجيش هو على أرض عرفت منذ آلاف السنين بحضاراتها العريقة كالآشورية والسومرية والبابلية مما أعطاها زخماً ثقافيا في فنون القتال وتنوع الأسلحة واستخداماتها.

والمثال على ذلك: إن العرب لم تكن تعرف سلاح المقلاع الذي ظهر في

التجهيزات العسكرية في الحضارة الآشورية والسومرية، فكان هذا السلاح حاضراً وبشكل كبير في معركة الطف في مواجهتهم وقتالهم للحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

فضلاً: عن نوع السهام كالسهم المثلث الذي رماه حرملة بن كاهل فأصاب قلب الحسين صلوات الله عليه.

وعليه: فإن التجهيزات العسكرية والآلات الحربية التي حملها جيش الكوفة كانت متنوعة ومتعددة وجديدة لم يعرفها العرب قبل الإسلام مما أعطى صورة عن حجم المعركة وما وقع فيها من قتال عنيف ورعب وخوف على قلوب الأطفال والنساء الذين خرج بهم الإمام الحسين عليه السلام ليقوموا بمرحلة جديدة ومكملة لجهاده وحربه ضد الفساد.

أولاً: صنوف الجيش

لا شك أن تلك الأعداد الكبيرة من المقاتلين كانت خاضعة لأصناف متعددة من الآلات الحربية والمهام القتالية التي صنفت هذه المجاميع من المقاتلين تبعاً لها فكانت كالآتي:

Î · @ Ê … ? ؼ A Â @ j

وهم الذين يقاتلون بواسطة الخيل ويتقنون المبارزة والرماية والمطاعنة وهم على خيولهم فضلاً عن إتقان فنون المناورة وخفة الحركة والسرعة في القتال؛ وعادة يقف الفرسان على أطراف الجيش وعند القلب كي يؤمنوا للجيش الحماية من المباغتات والمناورات المعادية فضلاً عن تقدم الدعم للرجالة والرماة.

وكانوا صنفين:

الأول: وهم المجففة، وهي الخيل التي تكون قد ألبست الدروع كي تقيها من السهام والرماح، كما يكون الفرسان الذين على هذه الخيول مدرعين أيضاً ويستخدمون كنظام المدرعات العسكرية في الوقت الحاضر لنقل الجند وتوفير الحماية لهم عند التقدم.

والثاني: المجردة، وهي التي ليس عليها درع ومجردة منه لتكون لها حرية الحركة، وسنعرض استخدام عمر بن سعد لفرقة المجففة في المعركة.

Î · @ SÑg@ ?G

وهؤلاء مركز اعتماد الجيش، إذ يكونون في المقدمة وعلى الجوانب ويحملون السيوف والرماح ويقاتلون بها الخصم.

Í @ »ßgÊ ?S

وهؤلاء مختصون برمي السهام ويكونون خلف الرجالة.

Â È Ê £%ß? °bš ?

وهؤلاء يكونون خلف الرماة ويستخدمون المقلاع لرمي الحجارة والحصى المدورة، ويستخدمون في مهاجمة التحصينات الدفاعية للخصم وعند التحام الجيشين وهي من الأسلحة التي كانت تستخدم عند الآشوريين والسومريين، وظهرت في يوم العاشر من المحرم كما سيمر بيانه.

ثانياً: أنواع الأسلحة المستخدمة في معركة الطف

إن طبيعة المعركة التي جرت في يوم عاشوراء على أرض كربلاء كانت تستلزم استخدام أسلحة خفيفة حيث لا يوجد هناك حصون التجأ إليها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته؛ ولذا لم يكن في تجهيز جيش الكوفة أسلحة ثقيلة كالمنجنيق(١)، والعرادة(٢)، والكبش(٣).

وإنما انحصر أمر التسليح لهذا الجيش بالأسلحة الخفيفة التي يحملها المقاتلون في المعارك، وهي كالآتي:

- Ê k -8? A

لا شك إن أهم الأسلحة التي كان يحملها الإنسان العربي هي السيف، وقد أحب العرب السيف وقدسوه ونظموا فيه أشعارهم، وتزينوا به وزينوه وأبدعوا في صناعته وأنواعه وصفاته فتعددت أسماء السيف بحسب صنعته ومادة صنعه ومحل صناعته.

(وأول هذه الأصناف تلك التي عرفت بقطعها ومضائها وتأتي (الصمصامة) في مقدمة هذه السيوف ثم الحسام، والجراز، والصارم، والهزام، والعضب،

---

(١) المنجنيق: من الأسلحة الهجومية، يستعمل في رمي الحصون وتجمعات الجنود، وترمى به الحجارة والقذائف النارية.

(٢) آلة حربية من آلات الحصار، وهو نوع صغير من المنجنيقات، تلقى بها الأحجار والسهام إلى مسافات بعيدة كما يرمى بها النفط المشتعل في اتجاه الأعداء.

(٣) آلة تتخذ في هدم الحصون فيها عمود أفقي من الخشب يركب فيه رأس من حديد يشبه رأس الكبش تماماً بقرونه وجبهته، ويتدلى هذا العمود بواسطة حبال قوية أو سلاسل حديد مثبتة في سقف الكبش تربطها من موضعين.

والقاضب، والمخضل، والمهزم، والمطبق، والهذام، والسقاط، والصليت، والخشيف، والتلوع، والقاصل، والهبار، والهذم، والخصم، والباتر، والرسوب، والقرصوب، والباتك، والسراط، والغرب، والهذهاذ، والنهيك، والخذم، والحذم، وذو الكريهة، والأبيض.

والملاحظ أن هذه السيوف تلتقي في صفة الصلابة والقوة، فوصفوها بالقاطع مرة، والماضي والصارم والحاد مرة أخرى)[1].

ويستخدم السيف كسلاح هجومي ودفاعي ينفذ المقاتل به عملية القطع أو الطعن أو الاثنين معاً ولهذا الغرض فقد ظهرت السيوف لدى الإنسان العراقي في وادي الرافدين منذ آلاف السنين كما ظهرت السيوف لدى الحضارات الإغريقية والرومانية والفارسية مما أعطى هذا السلاح أهمية كبيرة التصقت بالآلهة لدى تلك الحضارات.

وبما أن المعركة قد جرت في كربلاء وعلى أرض العراق وبقرب أرض بابل وحضاراتها فقد ظهر نوعان من السيوف في المعركة.

Ă ³ N A ° Í½ Ê Á Ý A © Ë Ã º A

(وهو النوع السائد في الاستعمال لدى شعوب الشرق القديم في أول الأمر، ومن ثم بدأ يطرأ تقوس خفيف على نصال السيوف.

والسيف المستقيم على نوعين:

الأول: ذو حد واحد.

---

(١) الجيش والسلاح، تأليف: مجموعة من الأساتذة: ج٤، ص١٢٣ - ١٢٤.

والثاني: ذو حدين.

والثاني أكثر انتشاراً من الأول لأنه يصلح للطعن والقطع معاً)[١].

(وتفيد المصادر التاريخية عن شيوع السيوف الكوفية، ويطلق عليها البيض وهي التي طبعت في الكوفة عند نشأتها، وهي المسماة (الزيدية) طبعها زيد فنسبت إليه وهي سيوف قصار أعرض ما يكون منها ثلاثة أصابع إلا أن يكون قد وقع في صدها وطولها ثلاثة أشبار وأربع أصابع، وسيلاناتها رقاق أعاليها أرق قليلاً، وتمتاز بما في سيلانها من ثقوب.

وتدل بعض الرسوم على بعض القطع الأثرية أن السيف العراقي أو الكوفي كان مستقيما ومثالاً لذلك: سيفاً مستقيماً به واقية اليد من الحديد، ومقبضه مذهب، وعلى النصل اسم الخليفة المعتصم بالله الذي حكم بين عامي ٦٤٠ - ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م، والسيف المذكور معروض الآن في متحف (طابقسراي) أي في استانبول)[٢].

pË³•A ÎÂmBºRºA ©ËÃºA

إلى جانب السيف المستقيم ظهر السيف المقوس، وتفيد الدراسات بأن أول ظهور للسيف المقوس، أي: ظهور تقوس خفيف على نصال السيف في العراق (كان في النصف الثاني للألف الثاني قبل الميلاد؛ إذا استثنينا من ذلك السيف المنجل الذي كان ظهوره قبل هذه الفترة.

---

(١) الجيش والسلاح لمجموعة من الأساتذة: ج٢، ص١٢٦.

(٢) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٢٦ - ١٢٧.

إن الفائدة من ابتكار التقوس هو الحصول على قوة أعظم للقطع، ويحدد وظيفة السيف شكل نصله، سواء كان للطعن أو للقطع، إذ إن لكل منهما مزايا خاصة؛ ويلاحظ أن الشعوب التي كانت تفضل أسلوب القتال من على ظهور الجياد استعملت السيوف المقوسة، لأن السيف المستقيم الذي عادة يستعمل للطعن ليس من السهولة استعماله بصورة فعالة في حالة عدو الجياد السريع، في حين أن السيف المقوس شبيه بالفأس أو البلطة؛ إذ إنه يقطع الجسم الذي يصطدم به، ولاسيما في النقطة الواقعة في نهاية التقوس؛ فضلاً عن سحب السيف المقوس بعد الضرب أسهل من السيف المستقيم)[1].

Z » gÑ @ G

تأخذنا الدراسة في أنواع الأسلحة المستخدمة في معركة الطف بالرجوع إلى تاريخ العراق وما ظهر في حضاراته القديمة من أسلحة لاسيما تلك التي تستخدم في الهجوم والدفاع، ومن ثم فإن هذه الأسلحة تنوعت بين كونها عراقية يرجع تاريخها إلى حضارات ما قبل الميلاد كالآشورية والسومرية والبابلية؛ ومنها ما عرف لدى المسلمين العرب في أثناء حروبهم في الفتوحات الإسلامية فضلاً عن دخول الأسلحة الفارسية والرومانية إلى الثقافة الحربية والعسكرية للاستفادة من معرفة نقاط ضعفها وقوتها ومواجهة هذه النقاط.

ولذا: اختلف الرمح المصنوع في وادي الرافدين عنه في الجزيرة العربية أو بلاد الشام؛ وذلك لاختلاف المواد المصنعة منها هذه الرماح، ففي العراق

(١) الجيش والسلاح: ج٢، ص٣٤ – ٣٥.

يوجد القصب والبردي في حين لا يوجد هذا النوع من النبات في مكة والمدينة أو بلاد الشام، ومن ثم اختلف الرمح من حيث الطول والقصر والرأس المصنوع للطعن أو للدفاع أو الهجوم، ولذلك عدّ الرمح من الأسلحة المهمة في الاشتباك القريب.

(وقد استخدمه المشاة في بلاد وادي الرافدين منذ عهود مبكرة وأصبح في زمن الآشوريين أكثر شيوعاً وأهمية من الأسلحة الأخرى لهذا النوع من القتال، أي: الاشتباك القريب)[١].

ويمكن الوقوف على أنواع الرماح العراقية واختلافها عن الأخرى التي كانت في الحجاز من خلال الصفات التي امتاز بها الرمح العراقي في طوله وقصره وشكل رأسه الذي يسمى بالسنان.

Î ² i Ë º A ÊĝÅ B¾Ã j1ºAA

ويعد هذا الشكل من أقدم الأشكال لدى وادي الرافدين لاسيما في العهود الآشورية المبكرة (وفي وسطه ضلع بارز ممتد طويل الوجهين وأحيانا بدون ذلك الضلع؛ وللسنان تجويف وأنبوب لتثبيته بالقناة، وهي مستقيمة ذات قاعدة بصلية الشكل معمولة من الخشب أو القصب، أي: القناة التي يمسكها المقاتل من الوسط أو من طرفها الأخير.

وتنتهي القناة بسيلان قصير نوعاً ما يدخل في تجويف السنان، وتكون الأسنة أحيانا رفيعة لها كتفان أو من دونهما.

(١) الجيش والسلاح لمجموعة من الأساتذة: ج٢، ص١٢.

Í § • A ÅÊgB VÃ¾nj º2AA

وظهر في الدراسات التاريخية لوادي الرافدين صنف آخر من الرماح ظهر في زمن الملك آشور ناصر بال الثاني وما بعده، وكان هذا الرمح (ذا شكل معيني، له كتفان حادان، وفي وسطه ضلع بارز وقد زاد الكتفان والضلع في قوة الفتك لهذا النوع من الرماح، وهذه الرماح مزودة أحياناً بحلقات عند مكان اتصالها بالقناة)[(١)].

¼ · r º A S »ÊgR • \ ¾ j3ÅAB Ã n º A

ومن أنواع الرماح التي عرفها العراقيون واستخدموها في قتالهم وحروبهم رمح كان له سنان مثلث الشكل وقاعدة هلالية الشكل تقريباً (وهذا النوع كان قليل الاستخدام، بسبب صعوبة سحبه عند الطعن، وكذلك الحال بالنسبة للسنان ذي الزعانف الذي يظن أن استخدامها كان في الصيد لا في القتال.

ومن الجدير بالذكر أن استخدام هذه الأسنة كان أكثر شيوعا من النبال ولم تزود أسنة الرماح بالزعانف أو الشوكة وربما يعود سبب ذلك إلى أن النبال كانت ترمى ولا توجد حاجة إلى سحبها في حين أن الرمح يكون ثابتاً في يد المقاتل)[(٢)].

± Ë A ÅÊgB Ã ¾ j4ºAA

أما النوع الرابع من الرماح العراقية فكان له سنان مجوف تدخل القناة في أنبوبه (فهو تطور عن السنان الصلد الذي له سيلان يدخل في القناة، لأن هذا النوع الأخير كان كثيراً ما يؤدي إلى تشقق وكسر قناة الرمح، إذ الطعن بقوة واستمرار

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجيش والسلاح: ج٢، ص١٣.

يسبب اندفاع السنان أكثر في داخل القناة، وخاصة عندما يصطدم الرمح بشيء صلب عند الطعن في حين أن السنان ذو تجويف يكون ثباته أكثر عند الطعن ولا تنفصل عنه القناة عند السحب)[١].

(ولقد فضل الآشوريون استخدام الرماح الطويلة، في عهودهم المتأخرة لحاجتهم إليها في القتال فهي تؤمن لهم مسافة بعيدة أبعد، وحماية أوفر من أسلحة خصوصهم لدى الاشتباك، ولاسيما عند محاولتهم اقتحام القلاع.

وأن استخدام الرمح الطويل، عند الاشتباك القريب، يحدد أو يبطل استخدام السيف هنا، أي إن الرماح الطويلة ضاعفت من فاعلية القتال من على ظهور الجياد لطعن الأعداء المترجلين)[٢].

أما ما توصلت إليه الدراسات التاريخية في أنواع الرماح بعد الإسلام فقد أشارت إلى أن الرمح (كان يصنع من الخشب الزان ونحوه، وتسمى الدوابل، ودعيت بهذا الاسم ليبسها ولصوق قشرها، كما صنعت الرماح من الوشيج، وكان الصانع يعرض رمحه على النار عند التثقيف حتى يصبح رمحاً مسنناً لينا، واتخذ من قرون الظباء والبقر والوخص أسنة للرمح.

ووضعوا للرماح أوصافاً وأسماء بالنسبة لطولها وقصرها، فإن كان الرمح طويلاً فهو (مطرح وسلب)، وهو من الأنواع المفضلة لدى الفرسان، لأنه ينوش خصومهم ويطال أجسادهم على بعد، كما أنها تسعفهم في حالة الضيق، وتنقذهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

وقت الأزمات، وإن كان متوسط الطول فهو: مطرد.

واستعمل العرب رماحاً صغيرة مثل (النيزك)، وهو أصغر الرماح ويستخدم في حالة إدبار الخصم، ومثله في هذه الصفة (المزراق)، و(المزج)، و(الخرص)، من الرماح القصيرة، يتخذ من خشب منحوت، أما الرمح القوي المنتصب الغليظ والذي يصرع به فيسمى رمح (متل)، و(حادر).

كما وضعوا للرماح أوصافاً بالنسبة لاضطرابها ولدونها، فإذا كان الرمح مضطرباً فهو (عاثر) و(عاسل)، وإن كان شديد الاضطراب فهو (العراض) و(الرعاش) و(الخطل). وعرف نوع آخر بالزاغبي وهو إذا اهتز تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمته، أو هو الذي إذا هز اضطرب من أوله إلى آخره وإذا ما تقصد وتكسر فهو قصير ورمح رفيض)[1].

½ Ä k · ? Ç½ ÊmSÈ ° · ?

إن من الأسلحة التي اعتمد عليها المقاتلون العرب قبل الإسلام وبعده هو القوس والسهم وهذا السلاح لم يكن وجوده محصوراً لدى العرب بل قد شهدت الحضارات القديمة بمختلفها هذا النوع من السلاح إلا أن التمايز بينها ظل عنواناً لشهرتها وغلاء ثمنها.

(وكانت العرب تتخذ القوس من شجر الضال، والنبع، والشوط، والدر، والسريان، والنشم، والرود، والقان، وتستعمل القوس والسهام في حالتي الهجوم والدفاع، ولها أهمية في رمي تجمعات الجند والحصون ذات المدى البعيد والفعال.

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٢٩ – ١٣٠.

أما السهم، والنبل، والنشاب، أسماء لشيء واحد، وهي خشبة تعمل فيها حزوز يركب فيها الريش بأحد طرفيه، وفي الطرف الآخر يركب نصل من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم.

أما الريش فيعد من متممات السهم، وكانوا يختارون أفضل الريش وأحسنه ويركب على جانبي السهم ويسمى أيضاً (النطاس)، والغرض من إضافة الريش إلى السهم هو حفظ توازن السهم وعدم اضطرابه في سيره عند رميه إلى الهدف.

والريش عادة يؤخذ من النسر ويلزق بالشريحة وهي العقبة التي يلزق بها الريش، وكانوا يستخدمون للزق الريش نوعا من الفراء يسمونه الروقة والدمام وقد ذكر المؤرخون للسهام طائفة من الأسماء، فالقدم هو السهم قبل أن ينصل ويراش، فإذا ريش وركب نصلة فيه صار نصلا، فإذا لم يكن كذلك فهو النضي، وهو الذي له ريش ولا نصل ويسمى كذلك المنجاب.

ومن أنواع النصال:

١ - المعبلة وهو العرمضي.

٢ - الهقوباة نصل كالمعبلة عريض.

٣ - المشقص وهي النصال الطويلة القليلة العرض، ومثلها نوع يعرف بالسيجف.

٤ - ومنها السرية والسردة، وهو النصل المدور المدلك ولا عرض له.

٥ - القترة، وهو الصغيرة منها.

٦ - الخطورة، وهو الذي قدره ذراع.

٧ - المشقم، فهو سهم عريض النصل.

٨ - المحراس، فهو سهم طويل القزذ.

٩ - الاهزاع، فهو خيار الأسهام وأجودها يؤخره الرامي فلا يرمي به إلا عند الحاجة القصوى لاعتزازه به، أو لادخاره إلى وقت عصيب جداً.

١٠ - المرمي، وهو الذي ترمي به عدوك، ثم يرميك به، وكان الرجل إذا رمى العدو بسهم فأصاب ثم رماه به العدو، وعليه دم جعله في كنانته بتركابه ويقال للمرمي السهم الذي يتعاوره الرماة بينهم.

١١ - والحسبان سهام صغار تنماز بشدة تأثيرها فيها، وهي لا تمر بشيء إلا عقرته.

١٢ - الرهب، وهو السهم الرقيق.

١٣ - الغريق، وهو السهم الذي يكون تأثيره كبيرا ويحدث جرحا عميقاً مفتوحاً وواسعاً.

١٤ - والمريخ، سهم طويل له أربعة قذذ ويمتاز بقوته ومضاء تأثيره ويصنع في البصرة في جنوب العراق)[١].

وهذه الأنواع من السهام كانت تستخدم في حالة الهجوم والدفاع عند القتال وقد عرف العرب بقوة الرماة ودقة إصابتهم للهدف فضلاً عن جودة سهامهم وأقواسهم.

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٣٥ - ١٣٦.

(فقد روى البلاذري عن أبي رجاء الفارسي قوله: حضرت وقعة القادسية وأنا مجوسي، فلما رمتنا العرب بالنبل جعلنا نقول دوك دوك، نعني مغازل، فما زالت تلك المغازل حتى أزالت أمرنا، لقد كان الرجل منا يرمي القوس (الناوكية) فما يزيد على أن يتعلق بثوب أحدهم، ولقد كانت النبلة من نبالهم تهتك الدرع الحصنة والجوش المضاعف مما علينا)[١].

ولقد كشفت مجريات معركة الطف الأثر الكبير الذي أحدثته النبالة في سير المعركة منذ اللحظات الأولى لابتداء المعركة وإلى اللحظات الأخيرة لسقوط سيد الشهداء عليه السلام حتى أصبح هذا السلاح هو الوحيد الذي أصاب جميع أفراد معسكر الإمام الحسين عليه السلام بما فيهم النساء والأطفال كما سيمر بيانه من خلال الدراسة.

فضلاً عن ذلك: فقد كشفت الروايات التاريخية عن استخدام نوع جديد من السهام خلال هذه المعركة لم تعهده العرب وهو السهم ذو ثلاث شعب والظاهر أنه صنع في الكوفة قبل المعركة لغرض أهداف محدودة، إذ لم يستخدم هذا السهم إلا عند خروج سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

فقد (رماه رجل بسهم محدد مسموم له ثلاث شعب) مما أحدث جرحاً واسعاً ومفتوحاً ومدوراً حتى وصفه المؤرخون بقولهم: (ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب)[٢].

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ج٢، ص٣١٩.

(٢) البحار للمجلسي: ج٤٥، ص٥٣؛ المقتل للمقرم: ص٢٩٢، نقلاً عن: نفس المهموم: ص١٨٩؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٣٤.

¦ Ù ° $? b

هذا السلاح من الأسلحة العراقية، وقد عرف منذ عهد قديم في حضارة وادي الرافدين لاسيما لدى الجيش الآشوري، وقد ظهر هذا السلاح في معركة الطف في مواضع عدة إلا أنّ استخدامه لدى الجيوش الإسلامية لم يظهر بشكل أساس؛ إذ حل القوس والسهم محل المقلاع في الجيوش العربية بشكل فعال.

(ويعتبر المقلاع سلاحاً سانداً ومساعداً، مثل القوس أثناء التقدم حيث يقوم المقلاعيون بإسناد القطعات المتقدمة المؤلفة من المركبات والخيالة أثناء الهجوم، أو للقيام بمناوشات مستمرة مع الأعداء لتوفير نار إزعاج مستمرة للقطعات المعادية.

ويرتدي المقلاعيون ثياباً مدرعة كافية لتوفير الحماية اللازمة، أو أنهم يحتمون برماة النبال الذين يتقدمونهم عادة، وبما أنهم خلفهم، فإن مكانهم يكون خارج مجال مدى رماية الأعداء مما يوفر حماية أكثر وهو الأرجح، إضافة إلى أن المقلاعيين من المحتمل أنهم كانوا لا يشتركون في الاشتباك القريب مع الأعداء، بل يكتفون بالضرب من خلف المواقع الأمامية لقواتهم، ولذا يكون تأثيرهم قوياً في حروب الحصار.

وكان المقلاع يتألف من قطعة صغيرة من الجلد أو القماش الخشن يكون شكلها أما معينيا أو بيضويا ومن شرطين يثبتان على جانبي القطعة الجلدية المذكورة (حبلين)، وأحد هذين الشريطين أقصر قليلاً من الآخر.

وتكمن أهمية المقلاع بأن المقلاعيين يستطيعون قذف الحجارة إلى مدى أبعد من رماة النبال.

كما أن المدى البعيد لا يقلل كثيراً من القوة الضاربة وتسديد الهدف لدى المقاتل الذي يستخدم المقلاع ويتطلب من المقاتل عند الرمي بالمقلاع الحرص الشديد على رفاقه كي لا يصابوا بأذى إذا ما أخطأ في استخدامه، إذ إن تأثيره قوي وقاتل إذا ما ارتكب الخطأ من مسافة قصيرة.

وكان المقلاعيون يحملون معهم من القذائف الحجارة المدورة أو الحصى الكروي أو من المعدن، وقد يصل عددها لخمس عشرة قذيفة أو أكثر)[١].

ويعد المقلاعيون كفرقة من فرق الجيش الكوفي في معركة الطف حالها في ذاك حال الرماة أو النبالة، وهؤلاء أي المقلاعيون يكونون عادة خلف الرماة، وقد أشارت النصوص إلى وجودهم في معركة الطف كالآتي:

١ - حينما أكثر أصحاب الحسين عليه السلام القتل في أهل الكوفة عند المبارزة، فما خرج إليهم أحد إلا قتلوه، فصاح عمرو بن الحجاج - قائد ميمنة جيش الكوفة - بأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم!)[٢].

٢ - حينما خرج نافع بن هلال الجملي المذحجي يقاتل جيش الكوفة (فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنصال حتى كسروا عضديه وأخذوه أسيراً....)[٣].

---

(١) الجيش والسلاح: ج٢، ص٢٣ - ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣١؛ أنساب الأشراف للبلاذري: ج٤، ص٣٣١؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٧؛ مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص١٣٦.

(٣) إبصار العين للسماوي: ص١٤٩؛ مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٥٩.

٣ - حينما خرج من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عابس بن شبيب الشاكري لقتال أهل الكوفة ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه وبه ضربة على جبينه فنادى: (ألا رجل فاحجموا عنه فأنهم عرفوه أشجع الناس، فصاح عمر بن سعد: (أرضخوه بالحجارة) فرمي بالحجارة من كل جانب؛ فلما رأى ذلك ألقى درعه ومقفره وشد على الناس وإنه ليطرد أكثر من مائتين....)(١).

٤ - لما خرج الإمام الحسين عليه السلام يقاتل أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، (ولما ضعف عن القتال وقف يستريح فرماه رجل بحجر على جبهته فسال الدم على وجهه....)(٢).

b È ¼Ã‘¤@?Ã

من الأسلحة الخفيفة التي يحملها المقاتل معه وقد ظهر هذا السلاح في معركة الطف حينما خرج أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى نهر العلقمي لجلب الماء، فكان مما أصابه في أثناء القتال أن ضربه أحد أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالعمود على رأسه وقد جاءه من الخلف.

(والعمود عصا قصيرة لها رأس ولا يكون إلا من حديد، والنكاية به أقوى من نكاية الدبوس يعلقه المحارب في سرجه عند ركبته اليمنى، ولهذا النوع من الأسلحة أصناف متعددة من حيث شكلها وطرق تحضيرها والمواد التي تدخل في صناعتها)(٣).

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٨؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٠٠؛ نهاية الأرب للنويري: ج٢٠، ص٤٥٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٩٢.

(٣) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٤٢.

m È G8c ? Ç

وهـذا الـسلاح مـن الأسـلحة التـي كـان يحملهـا المقاتـل وقـد عـرف لـدى العراقيين وغيرهـم، (وهو كالعمود، إلاّ أن رأسه من الحديد ونـصابه مـن الخـشب، والنكاية به أقل من نكاية العمود)[١].

NåÈÀ ?8? h

من الأسلحة الخفيفة التي يحملها المقاتل وتستخدم للهجوم والـدفاع، وهـو (عصا غليظـة مرقعـة مـن طـرف وثقيلـة مـن الطـرف الآخـر، يجعلـون فـي رأسـها المسامير الحادة لتصبح أكثر تأثيراً)[٢].

m B ÑÑ· @ W

يعد الفأس من الأسلحة التي ظهرت في حضارة وادي الرافدين، وكـان مـن أسلحة المقاتل العراقي الأساسية واستمرت أهميتها إلى أن حل القوس محلها فيما بعد، حيث أخذ استعمال الفـأس كـسلاح يقـل تـدريجياً، وكانـت الفـأس الـسلاح الأساسي للمشاة حملة الأتـراس والرمـاح وكـذلك جنـود المركبـات فـي العـصور السومرية والعهد الأكدي.

وظهر الفأس كسلاح حربي كذلك في الجيوش الإسـلامية، وهـو (آلـة مـن آلات الحديد لها مقبض من خشب، ولهـا نـصاب يـضرب بـه وفيهـا ثقـب يـسمى (الخرت) ووسطها يسمى (الفيقب)[٣].

---

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٤٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

g T À Ñ.@ |

يستخدم الخنجر في الدفاع أكثر مما يستخدم في الهجوم وذلك عندما يفقد المقاتل سلاحه الأساس في المعركة كالسيف أو الرمح أو القوس والسهام، (فهو: من الأسلحة الصغيرة التي كان العرب يعرفونها ويستعملونها وربما حمله في حزامه، أو تحت ثيابه، والخنجر هو السكين والبرهرة سكينة بيضاء حديدة صافية)[(١)].

Î G g ,Ñ?@ É

وهي سلاح صغير من ملحقات الخنجر إلاّ أن شكلها فيها استقامة فهذا السلاح يشبه بشكل كبير السكين والخنجر، الذي يمتاز عن الحربة بالاعوجاج وهو الشكل المؤلف للخنجر.

وتضع الحرية من الحديد وتكون قوية وفيها ثقوب في وسطها ويعد استخدامها كاستخدام الخنجر والسكين.

فجميع هذه الأسلة هي من الأسلحة الحربية الخفيفة التي استخدمها الجند في قتالهم لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة في معركة الطف على أرض كربلاء.

m · ® @ ³

يعد الترس من أهم الأسلحة العسكرية الدفاعية التي يحملها المقاتل بيده بواسطة مقبض (وكان الفارس يتوقّى بها رميات الأعداء وطعنات الرماح ووقع السيوف، كما كانت تستخدم عند التقدم نحو العدو، وكان العرب يفاخرون

---

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٤٢.

بصلابتها وجودة صنعها وإحكام الصنعة.

تصنع التروس من مواد مختلفة كاللباد والجلود وبعضها الآخر مصنوع من الخشب، وقد صنع العربي ترسه من خشب الجوز وهو الموصوف عندهم بالصلابة والقوة كما صنعه من اللباد، واللباد سمكة في البحر تتخذ من جلودها الترسة فلا يحبك فيها شيء، أو تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولا عقب تسمى حجفة ودرقة، والحجف تروس من جلود الإبل مقورة أو تتخذ من جلود ثور؛ ويسمى هذا النوع من التروس بـ(رماحل).

ويقال للتروس المصنوعة من جلود البقر ذو بقر، والمجن: الترس لأنه يستجن به؛ ويقال للترس أيضاً الغرض كما عرف لديهم نوع يقال له المخبأ، وهو ترس يتخذونه من جلود الإبل)[١].

ثالثاً: الملابس العسكرية في معركة الطف

اهتم العرب بشكل عام والعراقيون بشكل خاص بالملابس العسكرية كثيراً وهو ما ظهر في النصوص التاريخية لحضارة وادي الرافدين، وقد شملت الملابس العسكرية لدى المقاتلين العرب كافة أجزاء جسم المقاتل ابتداءً من الرأس وانتهاءً بالقدم، وهي على النحو الآتي:

Î É g ´ k ¤ · ? m A8gA ? I G

اهتم المقاتل بحماية رأسه من تلقي الأسلحة في أثناء المعركة فكانت الألبسة المصنوعة لحماية الرأس تشمل:

---

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص١٤٠ – ١٤١.

Ñ ¾ B ¿1§ º A

وهي من ألبسة الرأس المعروفة، وعرفها صاحب المخصص: بأنها اللباس الذي يلاث على الرأس تكويراً؛ وقد بلغ من أهمية العمامة وشيوع استعمالها أن تعددت أسماؤها وأنواعها وألوانها ومناسبات لبسها.

Ð Ë n Ã ²-³ º A

وهي شبيهة بالعمامة وقيل هي أصغر، وعرفها ابن سيدة فقال:

(القلنسوة، والعمامة ما يلاث على الرأس تكويراً، وقد تعمم بها واعتم)[١].

(وكانت القلنسوة تلبس غطاء للرأس، إما وحدها أو تلف حولها العمائم، وكانت القلانس من جملة ملابس القواد والأمراء، ويذكر المسعودي أن القواد والأمراء كانوا يلبسون قلانس مرصعة بالجوهر واللآلئ.

وتصنع القلنسوة العسكرية من قماش سميك كالصوف أو الكتان ومبطنة من الداخل، وقد اختلفت أشكال القلانس في الحقبة الأموية عنها في الحقبة العباسية كذاك اختلفت أشكالها في بلاد فارس والشرق وفي شمال الجزيرة كبلاد الشام.

Ñ z Í J º3A

وهي من الألبسة العسكرية المصنوعة من الحديد لغرض حماية الرأس (وسميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام وربما أن التسمية تعود إلى اللون أيضاً.

---

(١) المخصص لابن سيدة: ج١، ق٤، ص٨٢.

فمن المعروف أن الحديد أو الفولاذ الذي تصنع منه البيضة يعطي بعد صقله لمعاناً وبياضاً، ويكون شكلها مستديراً لها مقدم يقال له (القونس) وقيل أعلاها، والقونس في البيضة سنبكتها الذي فوق جمجمتها وهي الحديدة الطويلة في أعلاها والجمجمة ظهر البيضة.

قال حسيل بن سجيح الضبّي:

وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا ... كما ذُدِّتُ يوم الورد هيما خوامسا

بمطردٍ لدنٍ صحاحٍ كعوبُةُ ... وذي رونق عضبٍ يقد القوانسا

ويبدو أن فائدة القونس في البيضة هي لصد السيف عن الرأس إذا أصابها؛ وتشير النصوص التاريخية إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد كان عليه درعان ومغفر وبيضة.

وذكر الواقدي: أن أمية بن حذيفة بن المغيرة قد أقبل يوم أحد وهو مدرع مقنع بالحديد لا يرى منه إلا عيناه... قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: **«صمدت له فضربته بالسيف على هامته وعليه بيضة وتحت البيضة مغفر فنبا سيفي»**(١).

وهذه النصوص تكشف عن قدم هذا النوع من الألبسة العسكرية المستخدمة لحماية رأس المقاتل في أثناء الحرب؛ كما تلبس البيضة لمفردها ومع العمامة، ولعل فائدة العمامة هنا هو تثبيت البيضة على الرأس مخافة سقوطها وبخاصة في أثناء المعارك.

---

(١) الجيش والسلاح: ج٢، ص٢٠٦.

KÍ º A4-

وهو من ألبسة الرأس أيضاً ومن أنواع البيضة، وهو مصنوع من الجلد (واليلب عند ابن سيدة: الدرق، ويقال: هي جلود تلبس بمنزلة الدروع الواحدة يلبة، وقيل اليلب: جلود تخرز إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة، وقيل: هي جلود تعمل منها دروع فتلبس. أما ابن منظور فاليلب عنده الدرع وقيل: هي البيض تصنع من جنود الإبل)[١].

Ð g Ë ˆ5A

تعد الخوذة من أشهر أنواع الألبسة العسكرية الخاصة بالرأس في الوقت الحاضر، أما في صدر الإسلام وما بعده فلم يكن هناك فرق بينها وبين البيضة حتى اشتهر بأنها هي البيضة.

ولذلك: (فإن المصادر التاريخية لم تحدد لنا مواصفات الخوذة كما أنها لم تحدد الفرق بينها وبين البيضة، إلاّ أنها تتفق جميعاً على أن الخوذة هي غطاء للرأس يتخذ في الحروب يتوقى الفارس بها، أو المحارب ضربات خصمه، أي إنها تؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها البيضة)[٢].

j ¯ « • Â-

وهو من الألبسة العسكرية التي يتخذها المقاتل لتغطية رأسه ورقبته، (وهذه التسمية تطلق على زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجيش والسلاح: ج٤، ص٢١٠.

وقيل حلق يتقنع به المتسلح، وقيل: المغفر حلق مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلبسها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها فذلك المغفر يرتل على العاتقين وربما جعل المغفر من ديباج وخز أسفل البيضة.

وتشير الروايات التاريخية إلى أن المغفر كان من الملابس الحربية المهمة وقد استخدم بأشكال متعددة، فبالإضافة إلى غرضه الرئيس في حماية رأس المقاتل فقد اتخذه العرب وسيلة من وسائل التقنع والتستر وحماية وجه المقاتل)[١].

o Â º Ᾱ-

وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعه كان أو جُبّةً أو ممطرا فهو برنس[٢].

وقد ذكر الطبري: ارتداء الإمام الحسين عليه السلام البرنس في لباسه العسكري، فقال: (ومكث الحسين عليه السلام طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله وعظيم إثمه عليه قال: وإن رجلاً من كندة يقال له مالك بن النسر من بني بداء أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فامتلأ البرنس دماً فقال له الحسين عليه السلام:

«لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين».

قال: فألقى ذلك البرنس، ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم...)[٣].

---

(١) الجيش والسلاح: ج٤، ص٢١٦.

(٢) معجم المصطلحات الفقهية: ج١، ص٣٧٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٢.

Î É g ´ k ¤ · ? Â ÑÕH@ ?G I G

اهتم العرب بالملابس العسكرية الواقية للبدن والتي أطلق عليها الدروع مما أكسبها في نفس الوقت صنعة السلاح لما تحققه من غرض الدفاع عن النفس فضلاً عن تحقيق الحماية للمقاتل في تلقي الضربات في أثناء الهجوم.

(وتتخذ الدروع من مواد مختلفة منها زرد الحديد وتكون على شكل حلقات صغيرة كثيرة العدد متداخلة بعضها في بعض لتكون ما يشبه النسيج أو تصنع من صفائح معدنية وقد تتخذ الدروع من القماش السميك مثل الكتان أو الجلد أو اللباد.

وبلغ من أهمية الدروع عند العرب أنهم كانوا يتوارثون الدروع ويحتفظون بها وتأتي في مقدمة أنواع الدروع أهمية، الدروع المعدنية وهي تقع في عدة أنواع حسب أشكالها وطولها وقصرها وسعتها وأماكن صنعها)[1]، وهي كالآتي:

Ñ § m A Ë ½Æ Ý©Ê i¢ºËÃ º A

وتضم ثلاثة أسماء، وهي:

١ - السابغة

وهذا النوع من الدروع يكون مفضضاً بحيث تغطي البدن بأكمامها الطويلة وحاشيتها التي تصل إلى الكعبين طولاً، وهذا النوع من الدروع يوفر حماية كافية للمقاتلين الذين يرتدونها إلاّ أنها في الوقت نفسه لا تسمح لهم إلا بحركة محدودة لذلك كان استخدامها من قبل الفرسان أكثر من غيرهم ولذلك جرت

---

(١) المصدر نفسه.

عادة صاحبها أن يلبس في وسطه نطاقاً من جلد ليجمع ذيلها وفضولها فيغرزها عنه عند العمل.

٢ - النشرة أو النثلة

فهي دروع واسعة ومثلها الربوض التي عرفت بسعتها أيضاً.

٣ - المسرودة

وهي فضفاضة وواسعة وقد تميزت بكونها مثقوبة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

Ð v ³ º A Ê C Ô ÂÂ Â ƁRAº A© Ê©iË ºÃAº A

أما البتراء وهي التي تضع بلا أكمام وتصل في طولها إلى أسفل الركبة وفوقها بقليل، وهذا النوع من الدروع لا توفر للمقاتل الحماية التي توفرها الدروع السابغة إلاّ أنها توفر له بدلاً من ذلك حرية الحركة أكثر من السابغة.

Ñ ¿ ¦ B Ã ºSAº B© RÊ ¹ fAº A© Ë Ã º

وتتصف هذه الدروع بطبيعة ملمسها فعرفت لدى المؤرخين باسم الدروع اللينة، وعرفها بعضهم بالسهلة، ومن أمثالها:

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٠ - ١١.

١ – الدلاص.

٢ – الماذية.

٣ – الجازينة.

٤ – الزغيف.

´ » ‡ A P A:̈g A©jAÊ©fË Ã º A

وأخذت هذه الدروع تسميتها من

أيضاً؛ وذلك لارتكازها على معطيات عقدية.

وعليه:

فإن أولى الاستراتيجيات الحربية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف هي الحرب العقائدية التي أظهر فيها ومن خلال المحاورة مع جيش الكوفة بطلان عقيدة جيش السلطة وفسادها وسوء عاقبة من يعتقد بها في الدنيا والآخرة، فكانت هذه الإستراتيجية قد حققت بلوغ الهدف فضلاً عن تحقيق جملة من الأمور:

١ - أداء وظيفته الشرعية في إمامته للمسلمين، وهذا يقتضي البيان منه؛ وحاله في ذاك حال جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فكان يتأسّى به في هداية الناس وبيان ما اختلط عليهم من الأفكار وإظهار السليم منها والسقيم منطلقاً في ذاك من الإمامة التي هي تبع لوظيفة النبوة في هداية الناس، فقال سبحانه:

3 ...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ 2 (١).

فكان العمل الأول أن بيّن للناس بأنه إمام مفترض الطاعة.

٢ - قطع الطريق على المتعذر بعدم معرفته بشخص الحسين عليه السلام وصلة قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن حرمته من حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة الله تعالى وأن حربه حرب لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لمن لا يعتقد بإمامته.

#17 #Ô-ï â D¼# Ð¿#]ØEk Î o

٣ - إن عقيدتهم فاسدة وعاقبتها سيئة في الدنيا والآخرة وأنهم بعزمهم على قتله فهم من أهل النار وقد استحقوا العذاب واللعن.

وهذه العقيدة والمعطيات الفكرية وعملية إيصالها إلى الخصم وتأثره بها تسمى اليوم بإستراتيجية التضاد.

وهي إحدى استراتيجيات الحرب وواحدة من وسائل الهجوم غير المباشر في أرض المعركة.

لكن الإمام الحسين عليه السلام قبل دخوله الحرب العسكرية وما تحتاج إليه من استراتيجيات لتحقيق هدفه من المعركة وهو الإصلاح في أمة جده، فقد بدأ بتنفيذ أولى استراتيجياته في المواجهة العسكرية، وهي إستراتيجية الهجوم المضاد، فما هي هذه الإستراتيجية، وما فرقها عن إستراتيجية التضاد التي سبق وأشرنا إليها؟

المسألة الأولى: إستراتيجية الهجوم المضاد قبل الاشتباك مع العدو «أكره أن أبدأهم بقتال»

يشير النص التاريخي لمعركة الطف، أن عمر بن سعد بعد أن عبّأ الجيش على نظام القلب والجناحين وعين القادة لذلك، فإنه أعطى الأمر بتنفيذ الهجوم.

(فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟

فقال الحسين عليه السلام:

«من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن».

فقالوا: نعم، فقال له:

«يا بن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً».

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك، فقال: دعني حتى أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه.

فقال له الحسين عليه السلام:

«لا ترمِهِ، فإني أكره أن ابدأهم بقتال»[أ].

وهذا الموقف من الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن استخدامه إستراتيجية الهجوم المضاد، أي إنه عليه السلام تجنب التعرض بالمبادرة إلى الهجوم وذلك أنها تقود في أغلب الأحيان إلى الضرر، فضلاً عن ذلك فإن البدء بالقتال يؤدي إلى كشف إستراتيجيته المعتمدة في القتال ومن ثم إعطاء الفرصة للعدو في تحديد نقاط الضعف واستغلال عنصر المفاجأة.

وهنا: استفاد الإمام الحسين عليه السلام من معرفة إستراتيجية عدوه في القتال أولاً؛ وذلك لأنهم بدأوا بالقتال، فضلاً عن الجنبة الشرعية في تحميل القوم جريمة الاعتداء عليه وما يتبع ذلك من عقوبة إلهية قبل العقوبة الدنيوية.

[illegible]

[illegible]

ولذا:

تفيد الدراسات بأن هذه الإستراتيجية، إستراتيجية الهجوم المضاد، أي ترك العدو ليبدأ القتال تؤدي إلى (منح المرونة لكي تقوم بهجوم مضاد من أي زاوية)[1].

المسألة الثانية: إستراتيجية التضاد ودورها في تحديد معالم الحرب (انقلاب الأمة على الذات فاختصمت في التوحيد)

تمتاز معركة الطف في يوم عاشوراء عن غيرها من المعارك بأنها معركة انقلاب الأمة على الذات، فهذه الأمة هي الأمة الوحيدة من بين الأمم التي آمنت بنبيها ثم انقلبت عليه فقتلت أهل بيته وهذا خلاف سير الأمم إذ الثابت في حركة النبوة منذ آدم عليه السلام وإلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن يواجه الأنبياء الأذى والحروب من الذين لم يؤمنوا بهم وكفروا بدعوتهم فتسير المواجهة على أساس الاختلاف العقائدي، بين عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك والوثنية.

أما هذه المعركة فهي معركة التوحيد الصادق مع التوحيد الكاذب، وهي حقيقة كشف عنها الإمام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً.

فأما قولاً فقد سئل عليه السلام عن معنى قوله تعالى:

3 هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ

#1z##Ç Ï l - # S/1Ð Í¼ G P # / O l] %6/2#4ÔÞ 1 Y Ð P D

مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ2 (١).

فقال عليه السلام:

«نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عزّ وجل قلنا صدق الله وقالوا كذب الله، فنحن وهم الخصمان يوم القيامة»(٢).

إذن:

التخاصم في التوحيد كما نصت الآية3 ...اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ..2 ، ولذا فهي من أعقد المعارك العقائدية، بل تتفرد في ذلك من حيث مكوناتها ورموزها ومجرياتها مما تطلب جهداً خاصاً وحكمة بالغة في إظهار فساد عقيدة الخصم كي يأمن الناس من الوقوع في هذه العقيدة فيخسروا الدنيا والآخرة.

ولذا:

يقوم الإمام الحسين عليه السلام، ومن خلال خطبته في جيش الكوفة بدفع العدو إلى الإقرار بعدوانيته والهدف الأساس في حربه له.

وعرفت هذه الطريقة في الدراسات الإستراتيجية بـ(إستراتيجية التضاد)(٣).

وتتحدد فائدة هذه الإستراتيجية فيما يلي:

١ - إخراج العدو من مخبئه.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

٢ - القتال بفعالية، بفعل تحديد العدو فلا يبقى مجال للشك يدفع المقاتلين إلى التهاون أو خوض الحرب على أمل حصول السلم أو المصالحة فكشف عدوانية الخصم وإصراره على القتل تقطع الشك وترفع حال اليقين بضرورة القتال بضراوة إذ الأمر إما موت أو حياة.

٣ - إن العدو هو أول من يشحنك بالهدف والاتجاه، حاله في ذاك حال قطبي المغناطيس.

وهذا ما تم كشفه من خلال مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام لهم مع بعض أصحابه كبرير بن خضير، وزهير بن القين، والحر بن يزيد الرياحي بعد انكشاف الحقائق له وتمييزه بين الحق والباطل فكانت عملية انسحابه من جيش الكوفة والتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام أولى ثمار هذه الحرب الفكرية والعقدية في يوم عاشوراء، وأولى ثمار تحقق هدف الإمام الحسين عليه السلام وهو الإصلاح.

وعليه:

لم تشهد معركة من المعارك في الإسلام كل هذا العدد من الخطب العقدية والفكرية قبل اشتباك الجند مما جعلها المعركة الوحيدة التي سلكت إستراتيجية تجنيد الفكر قبل الاشتباك في المعركة العسكرية وذلك من خلال هذه المعطيات الفكرية والعقدية التي حملتها الخطب.

فكانت كالآتي:

ï ?í B?î,C S ÷ Ì ÍîMKWM ÅM ?í AîCYí'[ôMbâ$

(قال عليه السلام:

«أيّها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين».

فلما سمعت النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس وابنه علياً الأكبر – عليهما السلام – وقال لهما:

«سكتاهن فلعمري ليكثرنّ بكاؤهن».

ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه، ثم قال:

«عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل تلعة والدار قلعة فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

أيّها الناس إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نقمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنت بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنكم زحفتم على ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون إنا لله وإنا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

أيها الناس أنسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيّه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار عمي، أولم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي وأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول!

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك! ثم قال الحسين عليه السلام:

«فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أني ابن بنت نبيكم فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة، فأخذوا لا يكلمونه!».

فنادى:

«يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجنّدة؟».

فقالوا: لم نفعل، قال – عليه السلام –:

«سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم».

ثم قال:

«أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض».

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال الحسين عليه السلام:

«أنت أخو أخيك؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد عباد الله إني

عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها)[١].

B ? î † , C † S ÷ Ìôî††TKG Mü ?M A \ † ? í J T @ + Å : ?îT ©Aî ÎC Y í
ô C W í ï \ 8 G í

(ثم إنّ الحسين عليه السلام ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال:

«يا قوم إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولامته وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله قالوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام:

«تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات! تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها فسحقاً يا

Ç ¢ ¢ ¢ L 6 P 5 z 6 Ã 7 [@ G ¢ ¢ ¢ Æ ö Ÿ ½ 4 Ð z # # ë Ï ¢ ¢ Æ Þ Þ Ñ ¢ ¢ ¢ L à # Ä ß p ¢ ¢ ¢ ½
#5 6#@5 6z9#Ä l ¶ Ÿ ñ Ð p ¾ ½ # Ä ß p ½ #Ð 6 z Ë # 8 [¾ © m # Î ˆ p ‰ D # ¿

عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الاثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن! ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون! أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب!

ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر»[أ] **.**

P†@+ M †,?í í † ç Eî†Tñ ÌJîK@M+MÍî, ÷ Ñí ESíNñ ô ò:$ü ?îû
B@ M J?áM JT@+ Ñí P@ Ñí =N ôC

(واستأذن الحسين – عليه السلام – برير بن خضير – رضي الله عنه – في أن يكلم القوم فأذن له وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة وله في الهمدانيين شرف وقدر.

فوقف قريباً منهم ونادى: (يا معشر الناس إن الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله أفجزاء محمد هذا؟).

فقالوا: يا برير قد أكثرت الكلام فاكفف عنا فو الله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله، قال:

N ¢ ¢ ½ [illegible] # Ô ¢ ¢ ¢ Ð Å ® Í h Â ¾ z Ð 4 # [illegible] j € þ Q ¢ ½ © D # Ç > ¢ ¢ L Þ # · t ¢ ¢ Á
[illegible] 7 # 0 5 7 z 6 # Ä ‑ I ¶ Â ¾ ½ # Ä ß p ½ [illegible] ‰ D # Ç L Q P ¶

(يا قوم إن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم).

فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى فيهم رأيه، قال:

(أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها وعليكم؟ أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات بئسما خلفتم نبيكم في ذريته! ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم!).

فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول! قال:

(الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم اللهم ألق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان).

فجعل القوم يرمونه بالسهام فتقهقر)[1].

ó †T8+ Eî†Tñ Ì î†K†M@M+ Íî†,÷ Ñí EíÅ†8?í Fñ ÂK ôò$î , ñ í
FS < , ? í

(وخرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاكٍ في السلاح فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة إن الله ابتلانا

#1 #65 7z5#Ä l ¶ Ÿ D # h Ð p ¾ ½ # Ä ß¾1⅔3D8[#Ë Ð ¾ © # Ã þ%@Ð # Ç Q ¶ #Á

وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون.

إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منهما إلا سوء عمل سلطانهما يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه، فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبكم ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال زهير: عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

فرماه الشمر بسهم وقال: اسكت أسكت الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا ابن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أفبالموت تخوفني؟ فو الله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم، ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال:

عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه فو الله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه إن أبا عبد الله يقول لك:

أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء
فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ [أ].

Ì î†K M MJ†T@+ Íî†,÷ Ñí EíNR†î†S ?í †S S F†ñ ?í:ôîò$C î

J†øTñ >Kã ôC ñ îLC \÷M B@ M J?áM JT@+ Ñí P@

A\ ?í BLT@+

ولما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلامه واستغاثته أقبل على عمر بن سعد وقال له: (أمقاتل أنت هذا الرجل؟) – أي الحسين بن علي عليهما السلام – قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: (ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟) فقال عمر بن سعد: لو كان الأمر إليّ لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك، فتركه ووقف مع الناس.

وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة: هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟ فظن قرة من ذلك أنه يريد الاعتزال ويكره أن يشاهده فتركه فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته الرعدة فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له: لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟ فقال الحر: إني أخيِّر نفسي بين الجنة والنار والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت، ثم ضرب جواده نحو الحسين – عليه السلام – منكساً رمحه قالباً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى

¿ ¢#615z@¶[ÁÒ ¢ ¢ ¢ ó ¼ 5z3#e#¹k¢¢¢Æ P##Ñ ¢ ¢ ¢ L à # Ä ß p#(¢) ¢ ¢ ½ D

15 7#55 7z4#Ä I ¶ Â ¾ ½ # – p ‰ D

إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلأ رافعاً صوته:

(اللهم إليك أنيب فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولياء نبيك! يا أبا عبد الله إني تائب فهل لي من توبة).

فقال الحسين عليه السلام:

«نعم يتوب الله عليك».

فسره قوله، وتيقن الحياة الأبدية والنعيم الدائم ووضح له قول الهاتف لما خرج من الكوفة فحدّث الحسين عليه السلام بحديث قال فيه: لما خرجت من الكوفة نوديت أبشر يا حر بالجنة، فقلت ويل للحر يبشر بالجنة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله.

فقال له الحسين عليه السلام:

«لقد أصبت خيراً وأجراً».

ثم استأذن الحسين – عليه السلام – في أن يكلّم القوم فأذن له فنادى بأعلى صوته:

(يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن وأهل بيته وأصبح كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وحلأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه! وها هم قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمداً في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ).

فحملت عليه رجالـة ترميـه بالنبـل، فتقهقـر حتـى وقـف أمـام الحـسين عليـه السلام)[(١)] [(٢)].

وهـذه الخطـب التـي ألقيـت مـن الإمـام الحـسين (عليـه الـصلاة الـسلام) وأصحابه سلام الله عليهم تكشف عن جملة من الأمور:

١ – لم يرد في تاريخ المعارك أن يكون هناك هذا الكـم مـن الخطـب قبـل البدء في المعركة مما يؤكـد أن الحـرب كانـت عقائديـة، ولـذا بـدأت أولاً ببيـان حقيقة هذه العقيدة وفسادها من خلال مخاطبة العقل فإن لم تفلـح هـذه المخاطبـة لزم الدخول في المعركة العسكرية لتكون عسكرة الناس وقتالهم وسيلة للحـرب الأساس، أي حرب التوحيد والوثنية وأداة من أدوات هذه الحرب.

ولذلك: لم يـشهد التـاريخ الإسـلامي هـذا الكـم مـن الخطـاب العقلـي قبـل خطاب الأيدي والأسـنة والرمـاح إلاّ فـي معـارك رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم أو معارك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ – تكشف هذه الخطبـة والخطبـة الثانيـة التـي ألقاهـا الإمـام الحـسين عليـه السلام بأهل الكوفة، بعـد أن أخـذ مـصحفاً ونـشره علـى رأسـه، ثـم خـاطبهم عـن تكـوين عوامـل الأنثروبولوجيـا الاجتماعيـة الثقافيـة لمجتمـع الكوفـة وأن هـذه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المعطيات الفكرية والعوامل الاجتماعية لو طبقت على أي مجتمع آخر لأثمرت لنا مجتمعاً مطابقاً لمجتمع الكوفة الفكري والعقدي فيندفع إلى قتل الآخر ولو بمكانة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[١].

٣ - إنّ هذا المنهج الذي اعتمده الإمام الحسين عليه السلام في حربه مع خصمه أعطى الحسم لهذه الحرب قبل أن تقع المعركة القتالية على أرض كربلاء وذلك أن التاريخ قدم لكل قارئ أو سامع حواراً فكرياً وعقدياً ووجدانياً وإنسانياً في عاشوراء ومن ثم لا يجد الإنسان السوي سوى الانجذاب لعقيدة الإمام الحسين عليه السلام والتمسك بها ونبذ عقيدة الآخر والتبرؤ منها؛ فهي بذاك أصبحت معركة فكرية قبل أن تكون بدنية سفكت على أثرها الدماء.

٤ - قد ينقاد الإنسان بفعل الموروث النشأوي والأسري إلى مجموعة من الرموز الإسلامية ويتمسك بها ولن يستطيع - بفعل هذا الموروث - من إخراجها من الرمزية التي اتخذها لنفسه لكنه حينما يقرأ هذا الحوار وما آلت إليه عقيدة مَن اتخذوا تلك الرموز عنواناً لحركتهم وقتلهم سيد شباب أهل الجنة؛ الحيرة في بقاء تلك الثوابت والرمزية في رسم هويته وانتماءه أيكون في زمرة أولئك القتلة الظالمين أم يقف - على الأقل وأمام ضميره - بجانب أولئك المظلوم، وهذا الشعور بحد ذاته انجاز حققته عاشوراء الحسين عليه السلام.

أي: إن لم تنجح الحرب على المستوى الفكري والعقائدي والأخلاقي فقد كسبتها على المستوى الوجداني والعاطفي والفطري.

######### – p ¢ ‰ D # Ä E ¢ Á ä D ## [illegible]
½ Ý Â ¾ ½ # Ä ß p ½ D

من هنا: حينما وجد عمر بن سعد أمير الجيش، وقادته، ورؤساء الأرباع على أهل الكوفة، وزعماء العشائر، أنهم قد خسروا الحرب عقائدياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً في هذه الحرب، بل وعلى مر العصور حينما تطلع الأجيال على هذه التفاصيل.

ولذا: وجد هؤلاء القادة أنهم الخاسر الأكبر، وذلك أنهم خسروا الدنيا بانكشاف فساد عقيدتهم وفساد ضمائرهم وخسروا الآخرة وذلك أنهم كانوا ينادون بنصرة التوحيد والإسلام فكيف بهم وهم يشاهدون – وقبل البدء بالقتال – الآثار الغيبية والمدد الإلهي لنصرة وليه وحجته على خلقه فقد توالت الكرامات في سرعة استجابة الله تعالى لدعاء الإمام الحسين عليه السلام حينما دعا على بعض عناصر الجيش فأهلكهم الله تعالى في الحال، وهم:

Ë ¼ Ê ¼ L · ? Í HÈ W Á G

وكان قد أقبل مع القوم وهم يزحفون نحو الحسين عليه السلام، فصاح: أفيكم حسين؟ وفي الثالثة، قال أصحاب الحسين عليه السلام: هذا الحسين، فما تريد منه؟

قال: يا حسين أبشر بالنار! قال الحسين عليه السلام:

«كذبت، بل أقدم على رب غفور كريم مطاع شفيع؛ فمن أنت؟».

قال: أنا ابن حوزة. فرفع الحسين يديه حتى بان بياض إبطيه، وقال:

«اللهم حزه إلى النار».

فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس إليه وكان بينهما نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر

معلقاً بالركاب وأخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر، وألقته في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها ومات(١)؛ فخر الحسين عليه السلام ساجداً شاكراً حامداً على إجابة دعائه، ثم أنه رفع صوته يقول:

«اللهم إنّا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب».

قال مسروق بن وائل الحضرمي كنت في أول الخيل التي تقدمت لحرب الحسين لعلّي أصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد فلما رأيت ما صنع بابن حوزة عرفت أن لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله وتركت الناس وقلت: لا أقاتلهم ابدأ فأكون من أهل النار(٢).

[illegible]

ومن الرموز الأخرى التي كانت أداة لظهور نزول غضب الله تعالى على جيش السلطة هو محمد بن الأشعث الذي كان قد سمع دعاء الإمام الحسين عليه السلام على جيش السفلة ومن كان من خلفه ممن ساهم في ظلم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال للإمام الحسين عليه السلام:

أي قرابة بينك وبين محمد؟! فقال الحسين عليه السلام:

«اللهم إن محمد بن الأشعث يقول ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه

[illegible]

في هذا اليوم ذلاً عاجلاً».

فاستجاب الله دعاءه فخرج محمد بن الأشعث من المعسكر ونزل عن فرسه لحاجته وإذا بعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوثاً في ثيابه، ومات بادي العورة)[1].

إذن:

كانت هذه الخطب التي ألقيت في هذه الحرب وقبل البدء في القتال ضمن إستراتيجية التضاد قد حققت أهدافها في إخراج العدو من مخبئه؛ وإن القتال سيكون بفعالية، فقد تم تشخيص العدو؛ ومن ثم فإن هذا العدو هو من يشحنك بالهدف والاتجاه فكان الهدف التوحيد، وكان الاتجاه أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثالثة: الانتقال إلى الإستراتيجية الشاملة (أخسر المعركة لكن أربح الحرب)

وجد عمر بن سعد أن الموازين في الحرب قد تغيّرت فقد خسر الحرب بعد هذه الجولة في ميدان الفكر والعقيدة وظهور المدد الإلهي للإمام الحسين عليه السلام، مما يتطلب المبادرة السريعة وزج الناس في القتال كي لا يتمرد عليه بعض قادة جيشه كما حصل للحر بن يزيد الرياحي فعزم على الإسراع في المعركة والتقاتل وإشغال الناس وإشراكهم في الجريمة.

Ä ß p ¢ ¢ ½ D # Ë ¢ ¢5D7z¾#@[###=pÑ¢Ác%kD#Î Ä ¢Ed¢¾ Á½ä#Ä ß p#¢ ¢ Q½ ¶DÁ#Ë

#Ŀ #z3#Ä=l ¶ Â ¾ ½

بمعنى: إن كان الإمام الحسين عليه السلام قد ربح الحرب فلن يسمح عمر بن سعد أن يخسر المعركة، وهذا التحرك تصفه الدراسات العسكرية والإستراتيجية بـ(الإستراتيجية الشاملة) وهي التي ظهرت في منهج الإمام الحسين عليه السلام في حربه مع خصمه، إذ تقول الدراسات حول هذه الإستراتيجية: (أخسر المعارك ولكن أربح الحرب)؛ وذلك أن الإستراتيجية الشاملة، هي فن النظر أبعد من ساحة المعركة والقيام بالحسابات المسبقة.

وهي تستلزم أن تركّز على هدفك الأساسي وتخطط للوصول إليه، دع الآخرين ينشغلون في تفاصيل المعركة، ويبتهجون بانتصاراتهم الصغيرة، لأن الإستراتيجية الشاملة ستأتي لك بالجائزة الكبرى: أن تكون من يضحك أخيرا)[١].

وهكذا كانت نتيجة معركة الطف، فقد ابتهج يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وقادة الجيش بالانتصارات العسكرية والقتالية، لكنهم سرعان ما ذهبوا قتلاً وسقطت دولتهم وافتضحوا في فسادهم وانكشف كفرهم ونفاقهم وتهاوت عقيدتهم، وكان الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته هم الذين فرحوا أخيراً فلا خوف عليهم بعدئذ ولا هم يحزنون، فقد ربحوا الحرب، حرب التوحيد والإصلاح في أمة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

لم يجد أمير الجيش حينها سوى القتال (فتقدم حتى وقف قبالة الحسين عليه السلام على فرس له، فاستخرج سهما فوضعه في كبد القوس ورمى بسهم،

---

(١) [illegible]

وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم رمى الناس، فلم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلا أصابه من سهامهم، فقال عليه السلام لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم»[١].

وهذه المرحلة من المعركة كشفت عن بعض الأمور، وهي:

١ - أصبح الآن أن الحرب في هدفها الثاني، بعد العقائدي، هو المصالح الشخصية والحصول على المال والتقرب من أمير الكوفة حتى لو تطلب الأمر قتل نفس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لو وقف في طريقهم لتحقيق تلك الأهداف والمصالح الشخصية، وعلى مبدأ (اشهدوا لي عند الأمير بأني أول من رمى).

٢ - تعرية العدو أمام التاريخ والبشرية فلم يبق بعد الآن قناع إلا وقد سقط وظهرت حقيقة السلطة ورموزها.

٣ - في المقابل كذاك عرفت الأضداد، أي: تتجلى شرف المبادئ التي حملها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وعقيدتهم بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنهم يقاتلون في سبيل الله، وفي سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي سبيل الحياة الكريمة للناس جميعاً حينما تسود شريعة الله في الأرض؛

[illegible]

فمن أرحم من الله تعالى بعباده وخلقه وقد كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين.

٤ – ملاقاة الموت بقلوب من حديد فلا يبالي الحسين وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام بهذه الرسل التي جاءتهم من القوم، فقد هبوا لملاقاتها كما قال سيدهم وأميرهم وإمامهم الحسين بن علي عليهما السلام:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم».

فقد كسب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام الحرب ولم يبق سوى الفوز بالشهادة وذلك أن عقيدتهم ومبدأهم في هذا السير عدم المبالاة بالموت. إنها عقيدة ومبدأ تجلى في قول علي الأكبر عليه السلام قبل أن يصل الركب إلى أرض كربلاء حينما سمع أباه الحسين عليه السلام وهم في قصر بني مقاتل يقول:

«إنا لله وإنا إليه راجعون»، و«الحمد لله رب العالمين»، مرتين.

فأقبل: إليه وهو على فرس فقال له: يا أبه جعلت فداك مم استرجعت؟ وعلام حمدت الله؟ قال الإمام الحسين عليه السلام:

«يا بني، إنه عرض لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا».

فقال: يا أبتاه لا أراك الله سوءاً أبداً، ألسنا على الحق؟ قال عليه السلام:

«بلى والذي إليه يرجع العباد».

فقال علي الأكبر عليه السلام: يا أبت فإذاً لا نبالي، فقال عليه السلام:

«جزاك الله خيرما جزى ولد عن والده»[أ].

وهكذا فإن هذه الاستراتيجيات المستخدمة في حرب الإمام الحسين عليه السلام على خصومه في يوم عاشوراء قد حققت بلوغ الهدف، هدف الحرب قبل البدء بالقتال العسكري على أرض الطف؛ إلاّ أن بلوغ الهدف في كسب الحرب وانتصار نهج الإمام الحسين عليه السلام وتحقق الإصلاح في أمة جده لم يكن بمعزل عن الإنجازات العسكرية من خلال مجموعة من التكتيكات القتالية أعجزت جيش الكوفة عن تحقيق نصرهم العسكري في وقت قصير وقد تزايدوا عن ثلاثين ألفاً ولم يبلغوا النصر الحاسم.

بل تفيد النصوص التاريخية عن سير المعركة: أن أمير الجيش وقادة الأجنحة أعياهم القتال لهذه المجموعة الذين لم يتجاوزوا المئة رجل ولم يتحقق لهم ما أرادوا إلا بعد أن تقديم الخسائر الكبيرة في الأرواح واستنزاف الجيش وبعد مرور ساعات عديدة على المعركة؛ أي من شروق شمس يوم العاشر إلى رحيل قرص الشمس من هذا اليوم.

وذلك بفعل فنون الحرب والتكتيكات العسكرية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في قتاله لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم العاشر، وهو ما سنعرض له في المبحث القادم.

[illegible]

المبحث الخامس

فنون معركة الطف العسكرية

والتكتيكات القتالية التي استخدمها الإمام

الحسين عليه السلام

إن دراسة فنون معركة الطف العسكرية والتكتيكات القتالية ترجع الباحث إلى منهجين أساسيين في القتال وهما منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القتالي في غزواته، ومنهج الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في قتاله، تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو في حروبه الثلاثة (الجمل، وصفين، والنهروان)؛ فضلاً عن المنهج الجديد الذي ظهر في أثناء القتال وهو استراتيجية الهجوم والدفاع المشترك.

فأما المنهج القتالي الأول، فكان (نظام الصفوف)، وأما الثاني فهو (نظام المبارزة الفردية)، وكلاهما كان ضمن الفنون القتالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام؛ وقد اعتمد الإمام الحسين عليه السلام على كلا المنهجين في القتال، وتتضح فائدتهما فيما يلي:

=î ø 8 ?í Ì 1N4 ?‘[MAã (G

إن نظام القتال الذي كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، هو: نظام الكر والفر، إذ غالباً ما كان العرب يقاتلون ضمن نطاق الاشتباك الشامل وذلك تفادياً لوقوع الخسائر في أثناء الهجوم والاشتباك مع الخصم.

ولكن حينما جاء الإسلام وبدأ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مرحلة الجهاد بالسيف والقتال تغير الحال وبدأت العرب تشهد أسلوباً جديداً في القتال ألا وهو نظام الصفوف امتثالاً لأمر الله تعالى في تحديد نظام القتال، فقال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١].

فبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوّد المسلمين على لقتال وفق نظام الصفوف، حالهم في ذاك حال الوقوف في صلاة الجماعة.

(وهنا: يظهر التشابه التام بين نظام المقاتلين في الميدان ونظام صلاة الجماعة في المسجد ففي كلتا الحالتين تسوى الصفوف بدقة ويسود الصمت ولا يرتفع الصوت إلا بالتكبير، وتسد ثغرات الصف الأول من الصف الذي يليه ويخضع المصلون لإشارة الإمام، أي: خضوع الجند لأمر القائد؛ ويبدو أن فريضة الصلاة كانت تمريناً يومياً على وقفة الميدان ونظامه.

وكان المسلمون يصفون صفوفهم بشكل منتظم بحيث لا يتقدم أحد عن مركزه أو يتأخر إلاّ بأمر القائد، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسك بيده عصا قصيرة، يسوي بها صفوف أصحابه وكان علي عليه السلام يرتبهم في صفوف كأنما يغرسهم في الأرض غرساً فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص)[٢].

[illegible]

[illegible]

= î ø 8 ? íô Š 4Ô í î ò Î í : Â Ï (G î û

اعتمد العرب قبل الإسلام، وبعده لاسيما خلال حقبة الخلافة والملك الأموي على نظام المبارزة الفردية تارة ونظام الصفوف تارة أخرى؛ ولقد سجل التاريخ مجريات معارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين واليهود على نظام المبارزة الفردية، والتي كان يتجلى فيها دور الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام كما في معركة بدر والخندق والأحزاب وحنين وغيرها من المعارك.

فقد برز أمير المؤمنين عليه السلام لقتل صناديد العرب واليهود كالوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان شجاعاً فتاكاً، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وعمرو ابن ود العامري، ومرحب اليهودي وغيرهم.

أما في حروبه عليه السلام الثلاثة الجمل وصفين والنهروان، فقد كان يخرج بنفسه أولاً للمبارزة، فخرج سلام الله عليه في صفين لمبارزة عروة بن داود الدمشقي فضربه عليه السلام ضربة واحدة (قطعته قطعتين، سقطت إحداهما يمنة والأخرى يسرة)[١].

وغيرها من المشاهد التي سجلتها الرواة.

ولقد استخدم الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف هذين النظامين في القتال نظام الصفوف ونظام المبارزة الفردية، ولقد بدأ أولاً بنظام المبارزة الفردية على الرغم من أن بعض المصادر أشارت إلى أن القتال بدأ بنظام الصفوف[٢].

#1 #z6#h Ï Î o # #g# Ð Ï ½ G P # / Ñ Á ß o ä D # Ò l º p

##Ä l ¢ ¢ ¶ Ÿ D###h Ð p ½ D ¾ # Ë ¢ Ä B 5 ¼ # © 7 # ß ##p # ¢ Ñ ‰ ¢ D # ¾ Ä Ð ¢ # Ô Á ä ¢ Á ß ¿ ª ¾

#5 #z:

كما ذكر المجلسي في البحار وعنه السيد المقرم في المقتل عن محمد بن أبي طالب الحسني وهو مخالف لما ثبت من خلال التحقيق بأن المعركة بدأت بالمبارزة الفردية ولم يكن الإمام عليه السلام غافلاً عن سلبية الهجوم الشامل وهو على هذه القلة من الأنصار فيستشهد منهم خمسون نفراً ليبقى منهم اثنان وعشرون! وهذا مخالف لمجريات المعركة.

وعليه:

فقد بدأ عليه السلام بنظام المبارزة الفردية أو الثنائية كما سيمر في المسألة الأولى.

المسألة الأولى: تقديم نظام المبارزة الفردية والثنائية على نظام الصفوف والعلة في ذلك

لا شك أن الإمام الحسين عليه السلام يدرك أن نظام الحملة الواحدة سيؤدي إلى خسارة كبيرة، وذلك للتفاوت الكبير في العدة والعدد؛ ولذا اعتمد عليه السلام أولاً على نظام المبارزة الفردية للأسباب التالية:

١ - إن المبارزة الفردية تقود إلى خلخلة القوى النفسية للعدو حينما يرون كثرة القتل فيهم وقد أظهرت هذه المبارزة، وهذا النظام في القتال فعاليته على مستوى التأثير النفسي والمعنوي لدى الأعداء من خلال قول عمرو بن الحجاج قائد الميمنة حينما رأى كثرة القتل في جنوده فكل من خرج للمبارزة منهم مع أصحاب الحسين عليه السلام يقتل، ولذا:

نادى فيهم: (أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد:

الرأي ما رأيت، أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم)[1].

وهذه النتيجة هي في غاية الخطورة على المستوى العام للقتال وتكشف عن حكمة الإمام الحسين عليه السلام في قيادة المعركة فهذه المجموعة التي لا تتجاوز المائة مقاتل بقيادة الإمام الحسين عليه السلام تستطيع أن تقضي على أكثر من ثلاثين ألف مقاتل، فضلاً عن أن هذه النتيجة تأتي من فم أمير الجيش وقائد الميمنة.

وعليه: هذا التكتيك في نظام القتال في معركة الطف أعطى ثماره الأولى.

٢ - إن المبارزة الفردية أو الثنائية، وهي: أي المبارزة الثنائية والثلاثية بحد ذاتها جديدة في نظام القتال عند العرب وأول ما ظهرت في معركة بدر هي تعطي مظاهر للشجاعة والجلادة وتترك مساحة واسعة للرواة في تسجيل هذه المواقف وأصحابها.

٣ - إن هذا النظام له من الفعالية الإعلامية والوجدانية على الناس ما يجعله يمسك بالأنفاس والقلوب والعقول ويدفع الرواة أن يحدثوا الناس بقتال أنصار

---

(1) [illegible]

الإمام الحسين عليه السلام في هذه المعركة، حتى أصبح المؤمنون ينادون على مر التاريخ لأهل البيت عليهم السلام حينما يأتون لزيارة قبورهم: (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً).

٤ - إن هذه المبارزة تقدم شحناً معنوياً لأصحاب الحسين عليه السلام في الجلادة والإصرار على بلوغ الهدف والتفاني في نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: عجز الزمان على أن يأتي بمثلهم.

ولعل الرجوع إلى أسلوب المبارزة الذي نقله الرواة يعطي صورة واقعية لبيان هذه الأسباب، فكانت هذه المبارزة كالآتي:

(ô S N H , Î í BMT $?ö÷T T ÷ í)Ã ôçò H ? í = î ø 8 ñ ô ;: '[Ì M ãà í ø ñ

إنّ أولى الاستراتيجيات القتالية في يوم عاشوراء كانت إستراتيجية تحطيم الروح المعنوية للخصم وتعتمد هذه الإستراتيجية العسكرية على إنشاء عناصر من الجيش تدرب أقصى التدريبات العسكرية وتتعلم أدق وأشهر الفنون القتالية وتدعم روحها المعنوية ضمن سياقات نفسية ومعطيات فكرية كي تستطيع أن تنفذ أصعب المهام القتالية وغالباً ما يعتمد على هذه العناصر في تحقيق أهداف إستراتيجية وعسكرية خاصة؛ ولذا تسمى هذه العناصر أو المجموعات بـ(النخبة)، وفي معركة الطف ابتدأت المعركة بقتال النخبة لغرض تنفيذ إستراتيجية تحطيم الروح المعنوية للطرف الخاسر.

كيف كان قتال النخبة في يوم عاشوراء؟

b@Éh ÁG ? cÊH£ 'È» @k·Ç *b@#É h 'È»

روى أبو مخنف الأزدي، وابن جرير الطبري، وابن كثير:

(لما دنا عمر بن سعد ورمى بسهم، ارتمى الناس، فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: من يبارز ليخرج إلينا بعضكم؟

قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير؛ فقال لهما الحسين عليه السلام:

«اجلسا».

فقام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال: أبا عبد الله رحمك الله أئذن لي فلأخرج إليهما فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين عليه السلام:

«إني لأحسبه للأقران قتالاً، أخرج إن شئت».

قال: فخرج إليهما فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما.

فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير، ويسار مستتل أمام سالم؛ فقال له الكلبي:

يا ابن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، ويخرج إليك أحد من الناس إلاّ وهو خير منك، ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم فصاح به قد رهقك العبد، قال:

فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة فاتقاه الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله وأقبل الكلبي مرتجزاً، وهو

يقول، وقد قتلهما جميعاً:

p ¢ ¢ \ # Ã Ð ¢ ¢ ¾ @ ###### ¢ Ð ¢ ¾ M # L Ç # ¢ p ¢ ¢ L D # E ¢ ¢

#N ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ º Æ ½ D # # h # ¢ # N ¢ x ¢ ¢ Æ ¢ © # Í k # D Ó Î Š ¢ ¢ ¢ ¢ Á # ¢ Í

##O I | ¢ ¢ ½ D Í # E Á # ¢ # ¶ Á ¢ # Ã Ê Ð ¢ É Ĺ ± # Ä Ç ª # ó ½ ¢ ¢ ¢

#O # ½ ¢ ¢ L ¢ Ç ¥ # Á # ¢ ¢ # ¢ O ¢ I { ¢ ¢ ¢ ¢

فأخذت أم وهب امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك؛ فنادها الحسين عليه السلام، فقال:

«جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال».

فانصرفت إليهن)[١].

c W ? Ç Â C œ ¾ Ù k · ? Å Ê ¸ £ 0 ' k „ ? J

روى الطبري وغيره أن عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه، وجابر بن الحارث السلماني، ومجمع بن عبد الله العائذي، قد قاتلوا في أول القتال، فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس فلما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس وقطعوهم عن أصحابهم فندب إليهم الحسين عليه السلام أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم، وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع ما بهم

#;/[Í #6 >5z: # 7[#Ò ó ½ D # 4 6z7k # E # P # Ò > g m à D # ³ Æ • # Ñ L à # Ä (١) p ½ D # Ë
14 < 9

من الجراح وقاتلوا حتى استشهدوا في مكان واحد[١].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

غالباً ما يختار قائد الجيش في المبارزة الأولى من المعسكرين الرجال الأشداء والمتمرسين في فنون القتال فضلاً عن شجاعتهم المتميزة، وذلك لما ينعكس من آثار على نتيجة هذه المبارزة على الخصم الخاسر وقد ذكرنا آنفاً: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخرج بنفسه للقتال والمبارزة كما صنع في صفين حين شطر الدمشقي إلى نصفين بضربة واحدة فسقط نصفاه يسرة ويمنة، فضلاً عما كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا النظام من القتال في معاركه التي كانت تمتاز بالتفاوت في العدد بين المسلمين والمشركين، أي: حينما يكون المسلمون أقل عدداً وعدة كما في معركة بدر الكبرى، والخندق، وخيبر، فقد كان المبارز الأول علي بن أبي طالب عليه السلام.

بل إننا لنجد أن معركة الخندق وخيبر قد حسمت نتيجتها بهذه المبارزة فقال صلى الله عليه وآله وسلم لخروج علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الخندق لمبارزة عمرو بن عبد ود العامري:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله»[٢].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة أمتي إلى يوم القيامة»[1].

وذلك لما ترتب عليها من نتائج قيام الإسلام وانتشاره وثبات عقيدة المسلمين واندحار المشركين وتكسير سنام الوثنية وتقويض أساسها.

وفي كربلاء كانت النتائج الأولية لمبارزة عبد الله بن عمر الكلبي وأصحابه الأربعة الذين خرجوا من بعده على المعركة ما يلي:

١ - قتل رمزيّ القيادة الحاكمة للبيت الأموي في الشام والكوفة، إذ كما نلاحظ أن عبد الله بن عمير الكلبي قد قتل يسار مولى خالد بن أبي سفيان، وسالم مولى عبيد الله بن زياد؛ وإن هذين الرجلين كانا مهيئين من حيث التدريب على القتال وفنونه ما يوازي موقعهما من الأسرة الحاكمة، وهو ما يعرف اليوم (برجال النخبة) أو (الحرس الرأسي) أو (الكمندوس).

وهو دلّ عليه قول الإمام الحسين عليه السلام حينما لم يأذن لحبيب بن مظاهر، وبرير بن خضير بالخروج للقتال وأذن لعبد الله بن عمير، فقال عليه السلام:

«إني لأحسبه للأقران قتالاً».

فكان قتله لهما نصراً عسكرياً على مستوى المعركة وروح القتال فيها.

٢ - إن هذا النصر العسكري الذي حققه عبد الله بن عمير وأصحابه الأربعة الذين ساندهم أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قد وجه ضربة قاسية إلى قيادة الجيش وعلى رأسهم عمر بن سعد.

#17 #z5# 4[#È m Í h Æ ¶ ¾ ¼ 4# 9Ó#g5[#ÑÐ #½«ÐŸLÐ#Æ Ë#M x ¼ (1) D # Ç L Þ

ولذا:

وكتدبير عسكري لحفظ توازن المعركة والمحافظة على الروح المعنوية والقتالية لجند الكوفة بادر قائد الميمنة إلى التغيير في أسلوب القتال وهو الهجوم الشامل لجانب الميمنة على ميمنة معسكر الإمام الحسين عليه السلام فما كانت النتيجة؟

المسألة الثانية: تغيير جيش الكوفة نظام القتال من المبارزة إلى هجوم الميمنة فيقابلها الإمام الحسين عليه السلام بنظام الصفوف وتطبيق إستراتيجية الدفاع والهجوم المزدوج

حينما أدرك عمرو بن الحجاج أن زعزعة الروح القتالية لجيش الكوفة قد وقعت لا محالة، بادر إلى الهجوم باتجاه ميمنة الإمام الحسين عليه السلام وكان عليها زهير بن القين عليه السلام، (فحمل عليها فثبتوا له وجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح فلم تقدم الخيل، فلما ذهبت الخيل لترجع رشقهم أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فصرعوا رجالاً وجرحوا آخرين)[1].

وهذا الأسلوب في القتال الذي استخدمه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يستخدم عادة في المعارك عند الهجوم، إلا أننا نجد هنا أن هذا الأسلوب استخدم في إستراتيجية الدفاع والهجوم المزدوج إذ يمتاز هذا الأسلوب في القتال، أي نظام الصفوف (أو ما يعبر عنه بالزحف هو ترتيب المقاتلين بصفوف

---

(1) [illegible]

مستوية متعاقبة، وكان رجال الصف الأول وهم المسلحون بالرماح الطويلة يجثون على ركبهم ويحمون أنفسهم بالتروس من نبال الأعداء ورماحهم ويغرسون رماحهم الطويلة في الأرض موجهين رؤوسها إلى الأعداء ويتمركز النبالون خلف المشاة حاملي الرماح ويرمون العدو من فوق رؤوسهم وهذا الأسلوب في حال الهجوم)[١].

أما ما استخدمه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من القتال بهذا النظام فكان في الدفاع والهجوم لغرض تكبيد العدو عند ذلك أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية؛

إذ (تبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفقد هجوم العدو قوته وشدته عند ذلك تتقدم الصفوف للزحف على العدو.

وكانت ميزة هذا التشكيل القتالي أنه يؤمن العمق كما تكون بيد القائد قوة احتياطية تمكنه من معالجة المواقف الطارئة ولو بشكل محدود كما كان يستثمر الفوز بذلك الاحتياط)[٢].

وبعد هذا الفشل في هجوم الميمنة الذي شنه عمرو بن الحجاج على ميمنة الإمام الحسين عليه السلام ورجوعه إلى مركزه وظهور تأثير هذا الفشل على الروح المعنوية لجيش الكوفة تظهر محاولة من أحد وجوه الكوفة لغرض ترميم الروح المعنوية للجند؛ فماذا صنع؟ جوابه في المسألة القادمة.

#1 5 3#95 3z8# 7[#b=ß p ½ D Í## u Đ ˆ D

#1Ë #p ² Å #(k#)h x Ÿ D

المسألة الثالثة محاولة إنعاش الروح المعنوية لجيش الكوفة وإحباط خضير ابن برير لهذه المحاولة من خلال المباهلة

لا شك أن المحافظة على الروح المعنوية للجند من أهم العوامل التي تحدد الحسم في المعركة، ولذا نجد من خلال دراسة واقعة الطف أن قادة الجيش وبعض رموزه كانوا حريصين على إنعاش هذه الروح عند كل مرحلة من القتال وذلك لما يرونه من تأثير أصحاب الحسين عليه السلام فضلاً عن يقينهم بما يحمله الإمام الحسين عليه السلام من رصيد ضخم من الحصانة والمكانة والالتصاق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يجعل كفتي الميزان للروح المعنوية في المعركة غير متوازنة، مما يدفع قادة جيش الكوفة إلى تلك المحاولات اليائسة لغرض المحافظة على إنعاش هذه الروح بعد تلقيها هذه الضربات من معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

فكانت المحاولة الأولى لذلك بعد أن فشلت الميمنة بتحقيق شيء يذكر وتكبدها تلك الخسائر البشرية فقد تقدم (يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس فقال: يا برير بن خضير كيف ترى صنع الله بك؟ فقال صنع الله بي خيراً، وصنع بك شراً.

فقال يزيد: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً، أتذكر يوم كنت أماشيك في بني لوذان وأنت تقول: كان معاوية ضالاً وإن إمام الهدى علي بن أبي طالب؟

قال برير: بلى، أشهد أن هذا رأيي؛ فقال يزيد: وأنا أشهد أنك من الضالين.

فقال له برير بن خضير: هل لك فلأباهلك، ولندع الله أن يلعن الكـاذب، وأن يقتل المحق المبطل.

فبرز كل واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بن معقـل بريـر ابن خضير ضربة خفيفة لم تضره شيئاً، وضربه برير بن خضير ضربة قـدت المغفـر وبلغت الدماغ فخر كأنما هوى من حالق وأن سيف ابن خضير لثابت في رأسه)[١].

قال أبو الأخنس وكان قد شهد المعركة ويروي عنه الطبري: (فكأني أنظـر إليـه - أي إلى برير ينضض سيفه من رأس يزيد بن معقل - وحمـل عليـه رضـي بـن منقـذ العبـدي واعتنـق بريـراً واعتركـا فـصرعه بريـر وجلـس علـى صـدره فاسـتغاث رضـي بأصحابه، فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل على برير فـصاح بـه عفيـف ابن زهير بن أبي الأخنس: هذا برير بن خـضير القـارئ الـذي كـان يقرئنـا القـرآن فـي جامع الكوفة؛ فلم يلتفت إليه وطعن بريراً في ظهره، فبـرك بريـر علـى رضـيّ، وعـض وجهه وقطع طرف أنفه وألقاه كعب برمحـه عنـه، وضـربه بـسيفه فقتلـه. وقـام العبـدي ينفض التراب عن قبائه وقال: لقد أنعمت علي يا أخا الأزد نعمة لا أنساها أبداً.

ولما رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليـه امرأتـه النـوار وقالـت: أعنـت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً فقال:

¬ k D Î ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ s # b E ¢ # Ô ¢ ¢ Á ¢ ½ Ð Ð Á i þ R ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ # Å Ó

« Å E ¢ ¢ ¢ w # E ¢ ¢ ¢ Å # E ¢ ¢ ¢ ¢ # Á # # R I ¢ ¢ ¢ ¢ ½ É D # Ó E D

Ë ¢ ¢ ¢ Ð ¾ © ## #] ¢ ¢ ¢ ‰ D # à D ¢ Ç ¢ ¢ ¶ Á 5 # 7 ë # è E ¢ ¢ ¢ ¢ ó ½ D D # é ¡ k

#14 5z; #³ Æ • # Ñ L à # Ä ß p ½ D

فرد عليه رضي بن منقذ العبدي بقوله:

وهذه الصورة النقية تكشف عن بعض الحقائق:

١ - إن جيش الكوفة قد استوجب العذاب واستحق اللعن وهذا كله يجري أمام الجيشين وهو كفيل برفع الروح المعنوية لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام وانحطاطها لدى جيش الكوفة، الذين أصبحوا يدركون أكثر فأكثر أنهم قد خسروا الدنيا والآخرة.

٢ - إنّ هذه الحادثة كشفت عن فساد عقيدتهم وأن الموالاة والتشيع لآل أبي سفيان ورموزهم هو ضلال ما بعده ضلال، وإن اتباع علي بن أبي طالب وموالاته والتشيع له حق ما بعده حق وهو الذي ارتضاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك: يعود القتال إلى أسلوب المبارزة بعد هذه الحادثة، فكيف جرى؟

المسألة الرابعة: إرجاع نظام القتال إلى المبارزة الفردية بعد حادثة المباهلة بين بربر بن خضير ويزيد بن معقل

Q î G W í ô' 7 F ñ

لم تزل – وكما سيمر – معركة الطف قوامها العقيدة، فهؤلاء لم يزالوا يحاولون إثبات أنهم على حق وخصمهم، أي الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على باطل على الرغم مما شاهدوه من الكرامات التي أمدّ الله بها حجته على خلقه.

ويروي الطبري في مشاهد آخرى من معركة الطف يظهر فيها ردود الفعل حول المباهلة التي جرت بين برير بن خضير ويزيد بن معقل الذي قتل بسيف برير – كما مر آنفاً – ؛ وهذه المشاهد هي أحد ارتدادات هذه المباهلة التي غرزت اليقين لدى الكثيرين من جند الكوفة بأنهم هالكون في الدنيا والآخرة.

ولذا:

يحاول البعض منهم إلصاق هذه النتيجة في الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه كحالة انفعالية للشعور بالخسران، وهو ما حدث لأحد جند عمر بن سعد وهو علي بن قرظة الذي كان أخوه (عمرو بن قرظة) في معسكر الإمام الحسين عليه السلام يقاتل معه، فخرج عمرو وهو يقول:

[illegible]

[illegible]

فقاتل حتى استشهد؛ فنادى علي بن قرظة - وكان في جيش عمر بن سعد - : يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتلته.

فرد عليه الإمام الحسين عليه السلام، فقال:

«إنّ الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضلك».

فرد قائلا: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل عليه، فاعترضه نافع ابن هلال المرادي فطعنه فصرعه فحمله أصحابه فاستنقذوه فدووي بعد ذلك فبرأ)[١].

والمشهد القتالي يكشف عن حقيقة العسكرين، وما انطوت عليه عقيدة كل منهما حتى في البيت الواحد والأسرة الواحدة من المسلمين؛ فهذا الرجل لم يبال من التجري على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيجاهر أمام الناس بهذه العقيدة الفاسدة الظالمة فيسب الإمام الحسين عليه السلام وأباه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

على الرغم من كثرة النصوص الصريحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن من سب علي بن أبي طالب فقد سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢]؛ ومن سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد سب الله[٣]، ومن سب الله تعالى فقد كفر.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

فضلاً عن أن حبه عنوان الإيمان وبغضه عنوان النفاق؛ وهذه الأحاديث وإن كانت لا ترق إلى حرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هم عليه الآن في كربلاء إلا أن فائدتها لا تقبل التأويل، وذلك أنهم في خروجهم لقتال سيد شباب أهل الجنة كانوا قد أوجدوا بعض العناوين التي تلبس الحق بالباطل كقولهم: إنه لم يبايع وخرج عن الجماعة - كما سيمر لاحقاً - لكن التجاهر بسب علي بن أبي طالب عليه السلام لا يقبل التأويل في نفاقهم وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

i Q î † G W í ô ' 7 F ñ M D + R î Lî S ø ? íí ,Sñ S ? Ŧ ñõò:Ĉ T G î û

= M W í ý M † Q í î ,Ñî † K M, D @ ? ô S N H , Î í M ? í P @ + J ÷ î î

2 $? í ô ; , C Ì J ?

تكشف الرواية التي أخرجها أبو مخنف (المتوفى سنة ١٥٧هـ) عن النضر بن صالح[٢]، عن أن المبارزة الفردية التي جرت بعد استشهاد عمرو بن قرظة الأنصاري كانت للحر بن يزيد الرياحي وهي الحملة الأولى له في هذه المعركة.

وقد أحدثت هذه الحملة والمبارزة أثراً كبيراً في المقاتلة بين المعسكرين لاسيما في الروح المعنوية لجيش الكوفة وذلك لما خلفه الحر من أعداد كبيرة من القتل في حملته وهو على فرسه كما يروي أبو مخنف قائلاً:

#19 4 # 4[#Ã¾ p Á #;_7Ð#]4[#¿M Æ \ # Ç L #(١) h • F # h Æ

##############I¢¦ÅF#/Äßp¢½D#Ë¢Ð¾©#Ñ¢¾©#Ç¢©#»¢½EÁ#Ç¢L#(٢)ÈEÆ¢o#Ç

1-7 : z # ;/[#Ò m D I ¾ ½ # ¿ Ï h ª Q ½ D

(إن الحر بن يزيد لحق بالحسين – عليه السلام – ، قال رجل من بني تميم، يقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان؛ – أي: حين خرج ملتحقاً بالإمام الحسين عليه السلام وقد انسحب من جيش الكوفة – .

قال: فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون، والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً؛ ويتمثل قول عنترة – بن شداد – :

Ä h ¢ ŁLp¢¢ ¢ ¢ ½ E ¢ L P # ¿ Õ # # ¢ # Ì l¢¢¢¢¢¢ Q • # # Ó Ë ¢ ¢ ¢ ¢ ® ¢ U ¢ L

قال: وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه، وإن دماءه لتسيل؛ فقال الحصين بن تميم[1] ليزيد بن سفيان: هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتمنى، قال: نعم، فخرج إليه فقال له:

هل لك يا حر بن يزيد بالمبارزة؟ قال: نعم قد شئت ذلك، فبرز له.

قال النضر بن صالح: سمعت الحصين بن تميم يقول: والله لبرز له فكأنما كانت نفسه في يده، فما لبث الحر حين خرج إليه أن قتله)[2]، ثم كر عائداً إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

وهذه الحالة من المبارزة والصورة التي كان عليها الحر بن يزيد في قتاله لجيش الكوفة فيحمل (على القوم مقدماً، ويتمثل قول عنترة بن شداد) ووصف

############# Ä E ¢ Á ä D # À E ¢ Q µ # — J # g E ¢ Ï m Ã # Ç ™ ¢ L # Ç # L Ë ¢ U ª % L

#1 Ô # © k h Ÿ D # Ò F # / Ô ² ² D # Ô • l t ½ D # Õ ¾ © # h ª o # Ç

###h ¢ Đ ² Â 6 ¾ z ¼ # 7 g # E # Ò s k ¢ ä ó D ¼ # 6 z 5 # # Ï k # E ¢ A E P # Ñ ¢ L à # Ä ß p ¢ ½ D # Ë ¢ Đ ¾ © # – p

#1 4 # 3 z 6 # 5 [

الحصين له حينما خرج لمبارزته يزيد بن سفيان بقوله: (فكأنما كانت نفسه في يده فما لبث الحر أن قتله)؛ كل ذلك يكشف عن شدة قتال الحر للقوم وتكبيدهم خسائر فادحة.

إلاّ أن التاريخ كان قد أخذ عهداً على نفسه بعدم إنصاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أهل بيته وكل من تشيع لهم فكان نصيب معركة الطف من هذا العهد حصة الأسد؛ فأخفى تفاصيل هذه المعركة وما جرى فيها من مآثر وبطولات؛ في حين نجد أن التاريخ قد أسهب في تفاصيل حياة الزير سالم، وعنترة بن شداد وغيرهما؛ وتغافل عن أبطال الإسلام المحمدي؛ وتعاظم في ذكر المنافقين وأشياع بني أمية.

إلاّ أن كل هذا التغافل والتعتيم لم يشأ من إخفاء تلك البطولات الملحمية التي ظهرت في عاشوراء، إذ يكفي باستغاثة عمرو بن الحجاج وقائد الميمنة، بأمير الجيش ومناداته للجند بترك المبارزة والخروج الفردي لقتال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فهذه الاستغاثة من أمير الميمنة خير دليل على تلك الملاحم الفردية التي غيرت مسار التاريخ على رغم أنف الظالمين والمنافقين.

2 † ⅌R÷î†S ?í †S S Fñ ?í ýMR@ñ è\?Kí Fñ *3îG ó îôü© ?î û
ôTCã RHñ < ĦC?Ìí ó T8+ N C F+

يروي ابن جرير الطبري، والشيخ المفيد: أن نافع بن هلال البجلي كان يقاتل يومئذ وهو يقول:

Ñ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢#Ñ© ¢ Ç¢¢¢¢¢¢¢¢¢ ¾ Ý Ü½ ¢ Ðg##

فبرز إليه مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان، فقال له نافع: أنت على دين شيطان، وحمل عليه فقتله)[١].

والرواية تضيف معطى آخر من معطيات البنية العقدية لمعركة الطف؛ إذ تبلور الصراع العقائدي بين العسكرين؛ وذلك:

أن الجند الذين خرجوا لقتال ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على دين عثمان بن عفان، أي دين بني أمية، وأن جند الإمام الحسين عليه السلام كانوا على دين علي بن أبي طالب عليه السلام، أي: على دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما نص عليه الحديث النبوي فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من كنت مولاه فعلي مولاه»[٢].

وفي لفظ آخر:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٣].

بل: إن الرد الذي تلقاه مزاحم بن حريث من نافع بن هلال عليه السلام، قائلاً له: [illegible] يكشف عن أن عقيدة هؤلاء الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام غريبة على الإسلام، فهم حزب الشيطان؛ وأما عثمان بن عفان وغيره من الرموز فقد اتخذها هؤلاء لغرض تحقيق مكاسب شخصية وعقدية في هدم أركان الإسلام.

[illegible]

*3î†GM iR î†S ?í †S S Fñ ?íM iQ î GW'î,ũí 7 Fñ
2$?í ô; ,Î ôS 8,?íM ôS < ,?í Rí@ ò?í =\K

حينما انتقلت المعركة في نظام القتال من المبارزة الفردية إلى نظام هجوم الميمنة ومن ثم ظهور فشله فإن المعركة عادت مرة ثانية إلى نظام المبارزة الفردية وحينها تنكشف مجموعة من النتائج على المستوى العسكري والاستراتيجي من ناحية وعلى المستوى الفكري والعقدي من ناحية أخرى.

Î³g¤š? Á» Î¸Wgš? ÆB-eA ÎÉg

أما النتائج على المستوى العسكري فكانت كالآتي:

١ - ظهور المبارزة الفردية الهجومية عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهو مغاير لنمط المعارك التي تظهر فيها القوى العسكرية مختلفة؛ إذ يعتمد الجيش الأكثر عدداً وعدة نمط الهجوم سواء كان فردياً من خلال المبارزة أو عددياً من خلال تحرك تشكيلات الجيش كهجوم الميمنة كما حدث في معركة الطف - ومر ذكره سابقاً - أو أن يتخذ أمير الجيش الهجوم الشامل ضد خصمه فيحقق النصر الحاسم عسكرياً.

في حين أننا نشاهد أن زمام المبادرة كان بيد الإمام الحسين عليه السلام بكونه القائد لهذه المجموعة فكانت جميع مراحل القتال بيده سواء من خلال المبارزة الفردية أو الجماعية كتحرك الفرسان والميمنة والميسرة.

وهذه الحالة من الإستراتيجية العسكرية حالة خاصة ونمط متفرد بواقعة الطف كان الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام هم الذين يحركون

المعركة في الهجوم على جيش الكوفة الذي لم يظهر فيه إلا حالة واحدة من الابتداء بالخروج لطلب المبارزة وهو ما كان عند ابتداء المعركة حينما خرج سالم ويسار فبرز إليهما عبد الله بن عمير الكلبي فقتلهما وعاد إلى الإمام الحسين عليه السلام، ففي هذا الموقف فقط سجل الرواة خروجاً لفرسان جيش السلطة وهم يطلبون المبارزة ومن ثم لم تشهد المعركة ظهوراً آخر للفرسان، وذلك أن أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام كانوا هم الذين يتقدمون للقتال وهذا النوع من القتال كان هجومياً ودفاعياً في آن واحد.

ولذا نلاحظ مثلاً:

O « ž : قتال الحر بن يزيد الرياحي خلال جولاته في القتال في هذه المرحلة، أي بعد هجوم ميمنة جيش الكوفة وفشلها، ثم ليعاود النزال في جولة جديدة مع زهير بن القين – كما سيمر –.

[Z L : قتال نافع بن هلال البجلي الذي كان ضمن جولات عدة.

k À ® : قتال عبد الله بن عمير الكلبي، ففي الظهور الأول الذي سجله الرواة كان قد قتل سالماً ويساراً، وفي ظهوره الثاني كان قد قتل تسعة عشر رجلاً ثم أخذ أسيراً كما سيمر.

u Y © : قتال علي الأكبر عليه السلام، وآل أبي طالب عليهم السلام، وأبناء علي أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليهم السلام – كما سيمر –.

وهذا النمط من القتال يكشف عن الإستراتيجية العسكرية للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف التي أراد منها، أي من هذه الإستراتيجية إظهار

مكامن ضعف العدو العسكرية والقتالية والعقدية، وإن هذه الألوف المألفة من المقاتلين كانت في معظم الوقت في حالة الدفاع والذعر والتهالك.

Î³g¤š? Á» Î¸Wgš? ÑE@eG ÎÉ

على المستوى العقدي فقد تجلت مكونات عقيدة جيش الكوفة بشكل واضح لكل باحث ومتتبع وذلك لما يلي:

١ - في مبارزة عمرو بن قريظة ينكشف نفاق جيش الكوفة من خلال التجاهر بسب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، وهو أمر لا يقبل التأويل أو التعذير - كما أسلفنا - في حرب هؤلاء لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - في مبارزة الحر بن يزيد الرياحي وهو القائد العسكري المتميز بولائه العسكري للقيادة العليا وموضع ثقتها في إرساله لحبس الإمام الحسين عليه السلام أثناء الطريق والمجيء به إلى كربلاء وانقلابه على قيادة جيش الكوفة حينما اتضح له فساد عقيدة هذه القيادة وجيشها يعد في حد ذاته حجة بالغة على ضرورة تحكيم العقل في تحديد المسار والطريق الذي يسلكه المسلم لدينه وآخرته.

٣ - وفي مبارزة نافع البجلي تتضح الصورة أكثر وينكشف الدين الذي عليه هؤلاء الذين خرجوا لقتال الحسين وأهل بيته عليهم السلام وهو دين بني أمية وليس دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومن ثم فنحن أمام حزبين، حزب الله الذين يقاتلون في سبيله، وحزب الشيطان وأوليائه؛ فكانوا بذلك أمتين مختلفتين في العقيدة.

المسألة الخامسة: إقرار قادة جيش الكوفة بالخسارة العسكرية والعقدية فسارعوا إلى تغيير نظام القتال من المبارزة الفردية إلى هجوم الميمنة والميسرة على معسكر الإمام الحسين عليه السلام

بعد هذه الخسائر على المستوى العسكري والعقدي الذي ذكرناه آنفاً فقد سارع قادة جيش الكوفة إلى تغيير نظام القتال محاولين في ذلك سد هذا النقص والخلل والانكسار وتعويض تلك الخسائر الفادحة، فكانت هذه المبادرة من خلال قائد الميمنة عمرو بن الحجاج فقد أيقن بتلك الخسائر التي تكبدها جيش الكوفة بعد تلك الجولات لقتال أصحاب الحسين عليه السلام فنادى في الجيش:

(يا حمقى أتدرون من تقاتلون؟ إنما تقاتلون فرسان أهل المصر، وتقاتلون قوماً مستميتين!! فلا يبرز لهم منكم أحد فإنهم قليل، وقلما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر بن سعد: صدقت، هذا هو الرأي، ونادى ألا يبارزن منكم رجل من أصحاب الحسين[1].

وفي لفظ آخر: وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم)[2].

[illegible]

[illegible]

وهذا النداء لتدارك الخسائر تبعه تغيير في نظام القتال من المبارزة إلى الهجوم بتحرك مع ميمنة جيش الكوفة من جهة الفرات على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بقيادة عمرو بن الحجاج ثم يليه هجوم الميسرة بقيادة شمر بن ذي الجوش.

A\ ?í JT@+ Å ?í ïî ã P@+ ô3N<?í T:'ŸMôãHDTC

بعد أن تلقى جند الكوفة الأمر من أمير الجيش بالكف عن الخروج فرادى لقتال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تبعه هجوم الميمنة بقيادة عمرو بن الحجاج وهو ينادي:

يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام؟

ـ فسمعه الإمام الحسين عليه السلام فقال له:

«يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس، أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينا مرق من الدين، ومن هو أولى بصلي النار؟»(أ).

وهذا الهجوم هو الهجوم الثاني لعمرو بن الحجاج على ميسرة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام – كما مر بيانه –.

ويمتاز هذا الهجوم بأمور:

±U¹ # Ç L Þ # Ô Ï9Ez Ê#Æ[#½=Dǎ Ð Ô ÇDLhÞM#½ÏD6Ez Q#½[ÐHÒ ¡ #Ó¿½ÁDE#º é½Ï K Ë Þ

#14 #z:# ;/[

² Ù | F] G ¾ Ù k] · ? ½ Ä Ê] ¸ £ Å G @ X r A Ç Å L8ÊAG ¹ Ã A ¬ ´ L · ? U Ä À »

إنّ اضطراب أهل الكوفة وارتيابهم في عقيدتهم بعد تلك الحجج التي رأوها من الإمام الحسين وأصحابه عليه وعليهم السلام دفع قائد الميمنة إلى شرعنة قتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام تحت مسميات وعناوين شرعية كالآتي:

Ä Ì f º A Ä ¦ 1X-Ê j ˆ A

بمعنى: تكفير الخصم كي يحل قتله، ومن ثم التمهيد إلى تثبيت الأجر والثواب لمن يقتل الكافر، مما يحقق روح معنوية عالية في القتال.

بمعنى آخر: استخدام إستراتيجية الحرب المقدسة - كما مر بيانه سابقاً -.

ولا يخفى على القارئ أن هذا النهج التكفيري معمول به في معظم الحركات الإسلامية في عالم اليوم.

Ñ ¾ B ¾ á A Ñ J M i K n 2X-¶ A Ï h º A

وهذا عنوان آخر استخدمه عمرو بن الحجاج في شرعنة قتل سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتهامه بالخروج على الحاكم، فضلاً عن إلصاق هذا الحاكم بالإمامة.

بمعنى: مخالفة الجماعة والخروج عنها مما يكسب عقوبة الموت.

وهذه الأساليب الرخيصة والمستهلكة دأب عليها أهل النفاق والضلال؛ وهم يدركون أنها دعوات باطلة؛ وذلك أن هذه العناوين في شرعنة قتل من خرج على

الحاكم وخالف الجماعة، إن صحت، لكانت عائشة بخروجها على الحاكم والجماعة واجبة القتل بنص تلك العناوين.

والحال يجري مجراه في معاوية بن أبي سفيان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير ابن العوام، وكل من خرج على الحاكم في زمانه وخالف جماعة المسلمين.

وعليه:

فهذه العناوين، عناوين سياسية شرعتها الأهواء والمصالح الشخصية والدراهم والدنانير وكراسي الحكم والإمارة.

Î Ê ¿ @ P · ? Í g ¼ ¸ · c ÈjT Ã GÑo@¼£ p

على الرغم من تحريض عمرو بن الحجاج جند الكوفة لقتل سيد الشهداء وشرعنة ذلك إلاّ أنه فشل من الناحية العسكرية والعقدية في هذا الهجوم.

Ñ Ì j · n § º A Ñ Í Y B Ã º A

فقد استمر القتال كما وصفه المؤرخون بقولهم: (فاضربوا ساعة)[1]، ولم يستشهد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في هذا الهجوم الذي شنه جيش الكوفة من جهة الميمنة وهي ذات الآلاف من المقاتلين سوى رجل واحد، وهو: مسلم بن عوسجة (سلام الله عليه ورحمته ورضوانه)، وهذا الأمر يعد فشلاً ذريعاً لهذا الهجوم، فضلاً عن أن المؤرخين لم يذكروا عدد قتلى جيش الكوفة وذلك لكثرتهم وجهالة الرواة بهم.

---

(١) #16 #z4 #7[#Ò ó ½ D #4 #6ï: k #È ã m > # ³ Æ • # Ñ L à # Ä ß p ½ D #Ë Ð ¾ © # –

ÑÌf³§ºA ÑÍYBÃºA A

فقد فشلت دعوة عمرو بن الحجاج للقتال وتحريض الجند على قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؛ وذلك أن قتلهم لمسلم بن عوسجة هو بحد ذاته قد أحدث ردة فعل قوية لدى بعض قادة الجيش وأحد رموز الكوفة، وهو شبث بن ربعي فأحدث ذلك انكساراً في نفوس الجند الذين أصبحوا يتخبطون في أمرهم وتزداد حسرتهم فيما يلحق بهم من الإثم والعدوان.

كما هو واضح في رواية الطبري قائلاً:

(ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين – عليه السلام – في ميمنة عمر ابن سعد من نحو الفرات فاضربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين – عليه السلام – ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع فمشى إليه الحسين – عليه السلام – فإذا به رمق فقال – عليه السلام – :

«رحمك ربك يا مسلم، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».

ودنا منه حبيب بن مظاهر، فقال:

عزّ عليّ مصرعك، يا مسلم أبشر بالجنة.

فقال له مسلم قولا ضعيفاً: بشّرَك الله بخير.

فقال له حبيب بن مظاهر: لو لا أني أعلم أني في أثرك، لاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما

أنت أهل له في القرابة والدين.

قال – مسلم –:

بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله، وأهوى بيده إلى الحسين، أن تموت دونه.

قال: أفعل ورب الكعبة.

قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم؛ وصاحت جارية له، فقالت: يا ابن عوسجتاه، يا سيداه، فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي.

فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله من أصحابه ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلون أنفسكم لغيركم تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمت له، لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم ساق آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون)[1].

فهذه الحالة التي أصبح عليها شبث بن ربعي وزجره للجند وملامته في قتلهم لمسلم بن عوسجة انعكس سلباً على جيش السلطة لاسيما في انكسار الروح المعنوية وتعاظم الإحساس بالفشل والخسران المبين.

وذلك أنهم يقاتلون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

#1 6 6z4 # 7[#Ò ó ½ D## e Ï k E P

J@ 3M F N ?í Q Fñ D ó îT8'ñT6 îûT Î í

يأتي هجوم ميسرة جيش الكوفة بقيادة شمر بن ذي الجوشن تبعاً لحركة هجوم الميمنة وفشله ويروي البلاذري (المتوفى ٢٧٩هـ) في ذلك فيقول:

(وحمل شمر من الميسرة في الميسرة - أي في ميسرة الإمام الحسين عليه السلام وكان عليها زهير بن القين - فاستقبلوهم بالرماح فلم يقدم الخيل عليها، فانصرفوا فرموهم بالنبل حتى صرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين)[1].

في حين يروي أبو مخنف (المتوفى سنة ١٥٨هـ) وعنه الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ) فيقول:

(وحمل شمر بن ذي الجوشن في المسيرة على أهل المسيرة فثبتوا له فطاعنوه وأصحابه)[2].

فكانت نتيجة هذا الهجوم هي الفشل أيضاً لاسيما وأن أبا مخنف عبّر عن هذا الفشل بقوله (فثبتوا له) مما يعني عدم تحقيق أي مكسب عسكري في هجوم ميسرة جيش السلطة على ميسرة معسكر الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن ذلك فإن هذا الهجوم امتاز عن غيره في فنون القتال وهي المطاعنة بالرماح وترك استخدام السيوف، والمطاعنة بالرماح في استقبال الخيالة والفرسان يحتاج إلى الرماح الطويلة مما يستلزم مهارة خاصة وتدريباً قتالياً مميزاً يكشف عن القدرة في استخدام هذا النوع من الرماح في صد الخيالة

#14 #z3#6[#Ò= k i ß M ¾ ½ # ´ (#D) l s à D # C

#16 #z5#7[#Ò= ó ½ D(#) e Ï k E P

كما يقتضي أن يكون أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في هذه المرحلة جاثين على الأرض لتلقي الخيالة فإذا كروا عنهم طاعنوهم في ظهورهم بمعنى يكون إحكام قتل المهاجمين في الإقدام والرجوع؛ مما يحقق خسائر كبيرة في العدو؛ وعليه: فقد استلزم هذا الفشل في هجوم الميمنة والميسرة خطة جديدة تعيد لجيش السلطة بعض ماء الوجه، وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة السادسة: عمر بن سعد يغير خطة الحرب إلى الهجوم من كل جانب على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فيقابلها الإمام بإستراتيجية جديدة

اقتضت تكتيكات العدو في الحرب من التغيير في حركة الجيش لاسيما بعد تلك الخسائر والفشل المتكرر للميمنة والميسرة؛ ولذا يقوم أمير الجيش بالانتقال إلى عملية الهجوم من كل جانب في آن واحد على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، علّهم يحققون بعض النصر فيعيدون به حفظ ماء الوجه.

إلاّ أنهم يتفاجأون بإستراتيجية جديدة من الإمام الحسين عليه السلام لصد هذا الهجوم وإفشاله.

وذلك لما يلي:

(ó S ?í ô@÷î8Îîñ)AÓNNL8??íí E íóNT÷ T6÷@Ã‘[çM ã

لا يخفى على العسكريين والباحثين أن شن الهجوم يستلزم من الجهة المتلقية بذل طاقتها القصوى لصد هذا الهجوم كي لا يحقق المهاجمون تقدماً عسكرياً، وهذا قطعاً يستلزم دفاعاً قوياً وقتالاً شديداً حتى إذا توازنت قوة الهجوم وقوة الدفاع حينها يمكن للمدافعين من تغيير أسلوب القتال فيتحولون إلى قوة مهاجمة وهذا من أعقد فنون القتال؛ وذلك لاستنزافها القوى المبذولة في صد الهجوم؛ ولذا: يلزم الاستعانة بقوة احتياطية تتولى مرحلة الهجوم، أو القيام بالمناورة والالتفاف على المهاجمين ووضعهم داخل كماشة.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام هو المحاط من كل جهة بالآلاف من المقاتلين فقد تعذر عليه إيجاد قوة احتياطية لتنفيذ الالتفاف أو لفك الهجوم، ولذا: لم يبق أمامه سوى صد الهجوم وتوازنه ومن ثم الانتقال بهؤلاء المقاتلين من الدفاع إلى الهجوم وهو الذي حصل.

M ,?í AN K Ì ôTĆçN ôKT+óîN3 7?í óN8ô?Tí ŦŜíNÃ‘ŧçT Gîû
J?î 3çM

وهذا النوع من القتال نوع خاص كخصوصية معركة الطف، إذ يروى الطبري قائلاً: (وحمل على حسين وأصحابه -عليهم السلام- من كل جانب؛ فقتل -عبد الله بن عمير- الكلبي، وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين)[1]؛ أي: يساراً مولى زياد بن أبي سفيان، وسالماً مولى عبيد الله بن زياد، وقد ذكر ابن شهر أنه قتل تسعة

#16 6z5#7[#Ò= ó ½ D(##) e Ï k E P

عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثم قطعت يده اليمنى، وأخذ أسيراً)[١].

ويشير الطبري إلى صفة قتال عبد الله بن عمير الكلبي، فيقول:

(وقاتل قتالاً شديداً) ومن كان هذا حاله لا يصح أنه قتل رجلين فقط؛ لاسيما وأن مجريات معركة الطف وما مر ذكره من نصوص تثبت أن الرجل الواحد من أصحاب الحسين عليه السلام كان يعادل المئات من جيش الكوفة.

ولذا: يصف قتالهم الطبري في هذه المرحلة من الحرب، أي: عند صدهم لهجوم العدو عليهم من كل جانب: (وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً)[٢].

أما في حال تنفيذهم لإستراتيجية تحويل القوة الدفاعية إلى قوة هجومية، فقد وصفهم أبو مخنف بقوله:

(وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشد قتال خلقه الله)[٣]!!!

وبهذا المستوى استطاع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من التصدي لهذا الهجوم الذي شنه جيش ابن سعد من كل جانب ليقابلوه بعد هذا بهجوم معاكس ومن كل جانب فيحدثوا إرباكاً في صفوف الجيش وكتائبه، وذلك من خلال هجوم الفرسان على جيش الكوفة من كل جانب وإنجاز تقدّم عسكري في المعركة مما دفع أمير الجيش عمر بن سعد إلى الإسراع في أخذ التدابير لردع هذا الهجوم لفرسان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

#1 # 7 8#k=E] M 8z3D6#!#=Ê s # Ç L #!# N µ E Æ

#1 3z7#5[#h=Ð ² Â ¾ ½ 6z5E7[s#Öä Ð ½ D # e Ï k E P

#1 7z3#³=Æ • # Ñ L à # Ä ß p ½ D # Ë E#¾ © # – p

المسألة السابعة: الإمام الحسين عليه السلام يغير نظام القتال بعد هجوم العدو بهجوم معاكس يشنه الفرسان من كل جانب ونجاح هذه الإستراتيجية (مفاجأة العدو بتحويل الدفاع هجوماً من كل جانب)

لم يتوقع أمير جيش السلطة الأموية أن يتمكن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهم بهذه القلة العددية مقارنة مع جنده وجيوشه الجرارة من صد هذا الهجوم الذي شنه على الحسين وأصحابه عليه وعليهم السلام، بل لم يزل عنصر المفاجأة في واقعة الطف هو السمة الأبرز في القتال مع جيش السلطة الأموية سواء على المبارزة الفردية أم الجماعية.

فما زال جيش الكوفة وقياداته يتفاجأ بتتابع الخسائر والفشل والتراجع من جهة، ومن شدة قتال أصحاب الحسين عليه السلام وثباتهم وعقيدتهم القتالية وفنونهم الحربية من جهة أخرى؛ مما حيّر عقول هذه القيادة وجيشها.

حتى جاءت إستراتيجية تحويل القوة الدفاعية إلى قوة هجومية في رحم المعركة أمراً يكاد يكون أقرب إلى تدخل يد الغيب في إحداث هذه الولادة من رحم الاشتباك عند هجوم العدو وظهور قوة ارتدادية متضاعفة فتدفع بالعدو من المهاجم إلى المدافع والمتلقي لضربات الخصم حتى درجة الاستغاثة بأمير الجيش كما يروي أصحاب المقاتل والمؤرخون، واللفظ لأبي مخنف:

(وقاتلهم أصحاب الحسين عليه وعليهم السلام قتالاً شديداً، حينما هجم جيش الكوفة عليهم من كل جانب وأخذت خيلهم تحمل؛ وإنما هم اثنان

وثلاثون فارساً وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد، عبد الرحمن بن حصن فقال:

أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة؟ ابعث إليهم الرجال والرماة. فقال عمر بن سعد لشبث بن ربعي: ألا تقدم إليهم؟

فقال: سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر، وأهل مصر عامة تبعثه في الرماة لم تجد من تندب لهذا ويجزي غيري؟

فدعا عمر بن سعد، عمر بن حصين بن تميم - وكان على شرطة الكوفة لعبيد الله بن زياد - فبعث معه (فرقة) المجففة وخمسمائة من المرامية فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه - عليهم السلام - رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم)[١].

R S î ø ?H ? í î L 4 < S 6‘ëM 8ã

وهذا النص التاريخي يكشف عن جملة من الأمور:

١ - إن من الحقائق المتعلقة بتفاصيل المعركة وتتابع أحداثها هو تجاهل أصحاب المقاتل والمؤرخين عن إظهار دقائق هذه الجزئيات بل حتى مراحل سير المعركة بواقعها الحقيقي.

Ã Á à D # 6z5 # E [# Ò # ó ½ D # 4 6ï < # E # P Æ > # Ñ L à # Ä ß p ½ D # Ë Ð ¾ © # –
###k D Î ¢ 5Å 9zD ###k E # ¢ Ñ # ¢ > Å D l] M ¾ ½ # Ä ß p: ¢z ¼ # 5[#ËË Ĉ Ðp ¾ Á © # Ç ⊥ Þ ¢ %
#1 5 8 # 7 [

ولذا: نجدهم اختلفوا في بيان العدد الحقيقي لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وما هو عدد الفرسان والرجالة، فضلاً عن أن بعض هذه المصادر أشارت إلى أن الإمام الحسين عليه السلام ابتدأ بنظام الهجوم الجماعي، أو كما عبّر عنه (بالحملة الأولى) وما تبعها من خسارة كبيرة في عدد الأصحاب الذين استشهدوا كما يروي السيد المقرم رحمه الله:

(فما انجلت الغبرة إلاّ عن خمسين صريعاً).

وعليه:

كيف يذهب هذا العدد من الشهداء مع قلة الناصر، ومخالفة ذلك لخبرة الحرب عند العرب قبل الإسلام وبعده، فضلاً عن مخالفته لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيادته العسكرية حينما كان يواجه الكثرة من الأعداء بالقلة من المسلمين - كما أسلفنا -.

وعليه:

فوجود هذا العدد من الفرسان الذي نصت عليه رواية أبي مخنف والطبري وغيرهما تكشف عن عدم صحة وقوع الحملة الأولى؛ بل: إن مفهوم الحملة الأولى ومصداقه وقع في هذا الوقت تحديداً لجماعة الفرسان الذين حملوا في كل جانب يقاتلون جيش السلطة الأموية.

٢ - إن نظام القتال لهؤلاء الفرسان في الحرب كان يعتمد على نظام الصف المستقيم مع ترك فواصل بين الفرسان للحركة والمقاتلة والمطاعنة في الهجوم على الأعداء.

مما شكل جبهة قتالية مقدارها ما يقارب المائة متر بخط مستقيم، وذلك أن المساحة التي يحتاجها الفارس مع فرسه ثلاثة أمتار على أقل تقادير مع مراعاة تضييق المسافات كي لا يستغلها العدو فيتخلل منها للالتفاف.

وهذا النظام حقق نجاحاً كبيراً في الهجوم على خيل الكوفة حينما كان يشهد عليهم أصحاب الحسين عليه السلام وقد استخدموا التكتيكات في التنقل بالاتجاهات المختلفة في التعاقب وسد الثغرات مع حفاظهم على استقامة الصف في تغيير اتجاهه فتمكنوا من تكبيد جيش الكوفة خسائر كبيرة كشفت عنها استغاثة قائد خيل الكوفة وهو يستنجد بأمير الجيش قائلاً:

(أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة؟).

٣ - إن قول قائد فرقة الخيالة: (ما تلقى خيلي) كناية عما يلاقيه الفرسان في هذه الفرقة من القتل والاضطراب وحجم الخسائر التي شملت جميع مكونات هذه الفرقة أي: ما كان يلاقيه الفرسان من فنون الفروسية التي أظهرها أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام قد شمل الفارس وفرسه، وكأنّ خيل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هي الأخرى كانت تتقن فنون الفروسية وما ذاك إلا للتدريبات التي كان يمارسها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

ولذا: عرفوا بـ(فرسان المصر).

٤ - إن هذا النجاح الكبير الذي حققه فرسان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لا يدعه الأعداء يستمر ولذا عمد عمر بن سعد إلى إرسال فرقة المجففة، أي: الفرقة المدرعة التي يكون فيها الفارس وفرسه محاطاً باللباس المدرع كي

يتقي به السهام والرماح والسيوف؛ فتم تقديمهم أمام الرماة لتوفير الحماية والغطاء لهم كي يتمكنوا من رشق الخصم بالسهام.

وبهذه الطريقة نجح جيش الكوفة من عقر خيول أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فأصبحوا كلهم رجالة، لينتقلوا عند ذلك إلى نظام المبارزة الفردية، وهو ما نتناوله لاحقا.

[illegible]

إن النصوص التاريخية ترشد القارئ والباحث إلى أن جميع التدابير العسكرية التي يقدم عليها جيش الكوفة تعطي نتيجة عكسية وتزيد في الخسائر البشرية والمعنوية، ومن هذه التدابير هو تحول فرسان الإمام الحسين عليه السلام إلى رجالة بعد عقر العدو لخيولهم.

إذ يروي أبو مخنف قائلاً: حدثني نمير بن وعلة: أن أيوب بن مشرح الخيرواني كان يقول:

(أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه حشأته سهما فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

[illegible]

قال: فما رأيت أحداً قط يفري فريه)[1]، وهذا الأسلوب في القتال لم يكن ببعيد عن جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فجميعهم كان يقاتل بهذه

[illegible]

الطريقة إلا أن تعمد الرواة من التعتيم على مجريات المعركة وخوف البعض منهم من أن ينكشف أمره بمشاركته في قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعهم للسكوت؛ وإلا فهم جميعاً كانوا يقاتلون بكيفية لم ير مثلها العرب والعجم ولذا: وصف أبو مخنف قتالهم فقال: (وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشد قتال خلقه الله).

وعليه: فالنص التاريخي واضح الدلالة في كيفية القتال الذي كان يخوضه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن تحولوا إلى نظام المبارزة، ولعل وصف الراوي لقتال الحر بن يزيد بقوله: (فما رأيت أحداً قط يفري فريه)، أي شدة قتله وجلادته.

وقوله: (وقاتلوهم أشد قتال خلقه الله) يغني عن البيان فيما تكبده العدو من الخسائر، فضلاً عن الرجال الذين لم ير لهم مثيل في تاريخ الحروب.

المسألة الثامنة: إفشال محاولة عمر بن سعد لفتح جبهة جديدة للقتال

إن تحول المعركة من نظام الصفوف إلى نظام المبارزة الفردية بعد تقدم فرقة مجففة العدو وخمسمائة رامٍ وتمكنها من عقر خيول فرسان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وتحولهم إلى رجالة.

يدفع بالمعركة إلى المزيد من الخسائر البشرية في صفوف العدو؛ وذلك أن الالتجاء إلى نظام الصفوف، وتعاقب هجوم الميمنة والميسرة، ومن ثم الهجوم من كل جانب إنما كان لغرض تجنب الخسائر التي حققها أصحاب الإمام الحسين

عليه السلام حينما كانوا يقاتلون بنظام المبارزة، وقد مرّ بيان استنفار عمرو بن الحجاج، وعزم عمر بن سعد على الناس بعدم الخروج لأصحاب الحسين عليه السلام ومبارزتهم، لأنهم سيقضون على الجيش كما اعترف بذلك عمر بن سعد.

وعليه:

فإن عقر خيول الفرسان لم يكن الحل الأمثل في المعركة ولا يمكن له أن يحقق النصر وإنما هي محاولة لتخليص خيل جيش الكوفة وفرسانها مما تلاقيه من خيل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك يحتاج عمر بن سعد إلى خطة بديلة فَلِكي لا يعود القتال إلى المبارزة عمد إلى محاولة جديدة، وهي:

فتح جبهة جديدة للقتال يستطيع من خلالها مقاتلة الحسين عليه السلام وأصحابه من جهة الخلف، وذلك أن الإمام الحسين عليه السلام جعل القتال من جهة واحدة حينما حفر الخندق خلف البيوت وأضرم فيه النار ليجبر العدو على أن يأتيه من جهة واحدة، ولقد حققت هذه الإستراتيجية تكبيد العدو الخسائر الكبيرة والتحكم بعمر الحرب، وهذه مسألة في غاية الأهمية لما تخلفه من آثار نفسية ومعنوية وعقدية وتاريخية، فضلاً عن أهميتها العسكرية القتالية.

قال الطبري وغيره في بيان أسلوب قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن تحولوا إلى رجالة كلهم وعجز جيش الكوفة عن مقاومتهم:

(وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع أفنيتهم وتقارب بعضها من بعض، فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوضونها عن أيمانهم وشمالهم ليحيطوا بهم.

قال: فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين – عليه السلام – يتخللون البيوت فيشدون على الرجل وهو يقوض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنار ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوضوه، فجاءوا بالنار فأخذوا يحرقون.

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«دعوهم فليحرقوها فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها».

وكان ذلك، كذلك؛ وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد)[1].

والنص يظهر ما يلي:

ô ; , Î í Ì <ø Î í J @ 4 ? M , ? í P @ + ! î ò'[M ã ô ? î

ويظهر النص التاريخي بوضوح نجاح الإستراتيجية الدفاعية للإمام الحسين عليه السلام في المعركة ومعرفته الدقيقة بالحرب، وهذا يدل على أنه عليه السلام هو الذي كان يتحكم في ميزان القوة العسكرية وليس عدوه وكثرة جنده وتعدد صفوفهم القتالية.

فضلاً عن تتابع إلحاق الفشل بالخصم منذ بدء المعركة ووصولها إلى هذه المرحلة من القتال مما أدخل حالة الذعر على القادة والجند مع سيطرة اليأس والإحباط عليهم.

#1 6z6 # 7[#Ò ó ½ D # 4 ëz3k³E4P • ## Ñ L à # Ä ß p ½ D # Ë Ð ¾ © # – p %

وهذه الحالة النفسية دلّ عليه تحرك شمر بن ذي الجوشن حينما حمل مع الجند للوصول إلى فسطاط الحسين عليه السلام؛ إذ تفيد الرواية: (أنه طعن فسطاط الحسين عليه السلام بالرمح ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله!

فصاح النساء وخرجن من الفسطاط؛ وصاح به الحسين - عليه السلام -:

«يا بن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار»(١).

ثم اعترض على فعله كل من سليمان بن أبي راشد، وشبث بن ربعي، فأما سليمان فقال له: (سبحان الله إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء، والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك)(٢).

وأما شبث بن ربعي فقال له: (ما رأيت مقاتلاً أسوأ من قولك ولا موقفا أقبح من موقفك أمرعب للنساء صرت؟!)(٣).

وهذه الأقوال تكشف عن مستوى الإحباط والذعر الذي وصل إليه شمر بن ذي الجوشن وهو يرى عجز الجيش عن تحقيق شيء يذكر، فضلاً عن تتابع الفشل، فاندفع ليطعن الخيمة وهو يظهر بذلك العجز عن الوصول للرجال فذهب لكي يرعب النساء والأطفال، وذلك لخبثه وخسته وفشله.

---

(١) #1 #z7#6[#Ò k i ß M ¾ ½ # ´ D 6 z7 #7[#Ò Ó p ½ Å D # e Ï k E P

(٢) #1 #z4#³ Æ • # Ñ L # ¿ Q ¶ Á

(٣) #6 #z7#7[#Ò ó ½ D # e Ï k E P

F† N ?í Q F†ñ D† P†@+ Jñî ã FĈ Å8?í Fñ ÂK AN:K T G î û
BT Îí FC BK M I HÿM

إلاّ أن هذه المحاولة اليائسة والانفعالية لم تمر دون تلقيه للعقاب والإذلال وهو القائد على جانب الميسرة، فقد حمل عليه زهير بن القين في عشرة من أصحابه فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها[1].

ويدل لفظ الرواية: (فكشفهم عن البيوت) عن كثرتهم حتى أحاطوا بالمخيم، إلاّ أن هذه الكثرة لم تستطع أن تقاوم هذه القلة من أصحاب الحسين عليه السلام، وهم عشرة من الرجال بقيادة زهير بن القين قائد الميسرة حتى ارتفعوا عنها، لتضيف بذلك فشلاً آخر للعدو، وهزيمة أخرى.

ô † † S 4 ? í ó î † † ò Î í Í ç = î † † ø 8 ? í A ô † † G î ø Â ? í † ô ? ä M
(8 Î í) ?ôí T T ÷ í Â ô Ç ë î H ü ? í M

تمضي الساعات على بدء المعركة وجيش السلطة الأموية لم يستطع أن يحرز تقدماً عسكرياً يذكر، فضلاً عن الخسائر الكبيرة والفشل المتكرر حتى حان وقت زوال الشمس وقرب وقت صلاة الظهر.

وفي هذه المرحلة يدعو الإمام الحسين عليه السلام إلى وقف القتال وأن يكف عنه جيش عمر بن سعد كي يؤدي فريضة الظهر، فقال لأصحابه:

«سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي».

#Ë þ ² Å #(1) h x Ÿ D

وهذه الدعوة تعيد القارئ والباحث إلى تبلور حقيقة أن هذه المعركة أساسها ودوافعها وقوامها العقيدة، بين عقيدة التوحيد وعقيدة الطاغوت، هذا من جانب.

من جانب آخر: إن هذه القلة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إذا استشهد منهم أحد بان فيهم النقص، في حين كثرة القتل في جيش السلطة الأموية لا تظهر النقص فيهم وذلك لكثرتهم.

وفي ذلك يقول المؤرخون:

(فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين عليه السلام قد قتل فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم)[١].

ولوجود هذا النقص الذي كان من الأساس أحد أسباب تحديد الحسم العسكري عند القادة على مر التاريخ فإن الإمام الحسين عليه السلام يتخذ منذ هذا الوقت، أي انتصاف النهار من يوم العاشر إستراتيجية الهجوم الحربي المرتكز على الدفاع العقدي والردع المقدس.

بمعنى: أن اعتماد نظام المبارزة الفردية أو الثنائية هو النظام الأساس في القتال مع العدو، وذلك لتناقص عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم فإن هذه القلة المتبقية لا يمكن لها أن تقوم بهجوم، لأن ذلك سيكلفها خسران البقية من الأصحاب دون أن يرصد التاريخ لهم أي دور بطولي يناط بكل فرد منهم؛ فضلاً عن تقديمهم دروساً في الدفاع عن العقيدة التي آمنوا بها، وإظهار

#1 6z7# 7[#Ò ó ½ D # 4 ëz5k#³E4P • ##>Ñ L à # Ä ß p ½ D # Ë E# ¾ © # – p %

أعلى درجات الردع المقدس عن حرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أي: الدفاع عن الإمامة التي تعد بوابة التوحيد والنبوة كما نص على ذلك الحديث الشريف عن زرارة بن أعين، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»(١).

فهؤلاء القوم عرفوا الله ورسوله وحجته فدافعوا عما عرفوا، وذبوا عن دينهم بالأنفس والولد والمال، فكانوا نماذج فريدة على مرّ التاريخ.

ºÈ]¸W c]À£ Æb@Äo]Lj?Ç Ìc]jÚ? gÃ@ » [illegible]
l¼o·? º?Çh

وكان أول من قاتل بعد الزوال حبيب بن مظاهر الأسدي عليه السلام حينما نادى أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام في جيش عمر بن سعد أن يكفوا عنهم حتى يصلوا بطلب من الإمام الحسين عليه السلام.

(فقال لهم الحصين بن تميم وكان على شرطة الكوفة:

إنها لا تقبل.

فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت أن لا تقبل الصلاة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتقبل منك يا حمار؛ فحمل عليه الحصين وخرج إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه وقاتل

---

(1) #16 #z5#¸ Í h x ¾ ½ # Ô Â ª Æ ¼ D # Ä E ™

حبيب قتالاً شديداً فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بديل بن صريم وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه.

فقال له الحصين أنا شريكك في قتله؛ فقال الآخر: لا والله، فقال له الحصين أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس أني شركت في قتله ثم خذه وامض به إلى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه)[١].

والنص التاريخ يرشد إلى ما يلي:

١ - حينما يكون قتال حبيب بن مظاهر بالصفة التي ذكرها المؤرخون (فقاتل قتالاً شديداً) يلزم أن يكون عدد القتلى لدى الخصم كبيراً وليس رجلاً واحداً، ومما يدل عليه: تنازع الحصين بن تميم وبديل بن صريم على حمل رأس حبيب أيهما يحمله أمام الناس إلى المستوى الذي طالب فيه الحصين بن تميم وهو أمير الشرطة وقائدها لدى ابن زياد أن يحمل رأس حبيب ويعلقه في عنق فرسه لهدف واحد وهو: أن يرى الناس أنه شريك في قتل حبيب، وليس هو من قتل حبيب؛ فمجرد إشراكه في قتله يحقق له الشهرة في كونه البطل المقدام والفارس الهمام الذي شرك قتل حبيب.

وعليه:

من كانت هذه حاله ورتبته بين الناس ترشد الذهن إلى أن حبيباً ليس

#6[##Ò k i ß M ¢ ¢ ¢ ¾ ½ [illegible]
#14 #z8

بالرجل الهين الذي يمكن النيل منه وقتله فقد عجز عن ذلك فرسان جيش الكوفة الذين جدلهم سيف حبيب بن مظاهر عليه الرحمة والرضوان.

٢ - لا تزال معركة الطف في كل جزئياتها تؤكد حقيقة الحرب العقائدية وأن سيد الشهداء عليه السلام في كل هذه الجزئيات يظهر للناس وللتاريخ أنه يقاتل من أجل الإسلام وأنّ خصومه يقاتلونه لعقيدته وليس لامتناعه عن مبايعة يزيد بن معاوية.

وهذه المبارزة بين حبيب بن مظاهر وقائد شرطة الكوفة كان المحرك لها قول الحصين في صلاة الإمام الحسين عليه السلام: إنها لا تقبل.

فرد عليه حبيب:

زعمت أن لا تقبل الصلاة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتقبل منك يا حمار.

٣ - إن من العجائب التي نطق بها النص التاريخي أن يقف الإمام الحسين عليه السلام يؤدي الفريضة في أول وقتها وهو محاط بالسيوف والرماح والسهام من كل جانب، ولم يمنعه ذلك من أداء الفريضة في أول وقتها.

٤ - ومن العجائب أيضاً: أن جيش الكوفة لم يكفوا عن رميه بالسهام وطعن الرماح وضرب السيوف وهو يصلي بمن بقي من أصحابه.

٥ - إن الفارق بين المتأسلمين وبين المسلمين هو الصلاة، ولذا: صلى الحسين وأصحابه؛ ولم يصل عمر بن سعد وجيشه ولن يصلوا بعد عاشوراء.

وقد نحروا التكبير والتهليل.

٦ - لما استشهد حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه ورحمته، هد ذلك الإمام الحسين عليه السلام وقال عند ذلك:

«عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي»[١].

وهذا يكشف عن عظيم منزلته عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحجته على خلقه الإمام الحسين عليه السلام.

† S S F † ñ † ? í † Ĺ (†? Ĺ õ \ † A Ñ í † ã 8 > † M 7 ô † T ë î H ü A ? î † b (' G † ò Ĝ í î û

Å 8 ? í F ñ Â K M R î S ? í

بعد استشهاد حبيب بن مظاهر عليه السلام يخرج للقتال كلٌّ من الحر بن يزيد الرياحي وزهير بن القين في آن واحد (فقاتل الحر وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شد أحدهما فإن استلحم شد الآخر حتى يخلصه؛ ففعلا ذلك ساعة، ثم أن الرجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل)[٢].

ويكشف النص التاريخي عن مجموعة أمور:

١ - إن هذا النظام في القتال من المبارزة الثنائية لم يرد في قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للمشركين سوى ما ظهر في معركة بدر حينما خرج حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

O k à D 5 6̂ z 9 # 7 [¢ # ï È Ê ¢ Å ¢ # ¢ > ó 4 ⁄ 7 z D # ³ ¢ ï k ¢ E 4 ¢ Ñ ¢ R ¢ # ¢ ≥ à # Ä ß p ¢ ¢ ¢ ½ D # Ë

1 7 8 z 5 # 5 3 # Ò l Ï Î Æ ¾ ½

1 6 5 z 9 # 7 [# Ò ó ½ D (#) e Ï k E P

لقتال عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة؛ فلما قتل حمزة عليه السلام شيبة بن ربيعة، وقتل الإمام علي عليه السلام الوليد بن عتبة، واختلف عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب، وعتبة بن ربيعة ضربتين، فضرب عبيدة بالسيف على رأس شيبة بن ربيعة، وضرب شيبة ضربة في رجل عبيدة، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فدففا عليه[١] واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[٢].

أما أن يجري القتال بهذه الكيفية التي ظهر فيها الحر بن يزيد الرياحي وزهير بن القين فكان إذا استلحم أحدهما تقدم إليه صاحبه حتى يخلصه فهذا فريد في نظام القتال عند المسلمين وهو يكشف عن استراتيجية الهجوم والدفاع المزدوج.

٢ - يشير النص التاريخي إلى أن القتال استمر ساعة وهذا يكشف عن أن وقت خروجهما لم يكن قبل صلاة الظهر وإنما بعدها وإلاّ لزم أن يكونا قد انشغلا في القتال فلم يلتحقا بصلاة الإمام الحسين عليه السلام وهذا محال، وذلك أن العقيدة التي كان أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام أجمعين يتعبدون بها هي اقتران طاعة الله بطاعة الإمام المعصوم ومن ثم لا يخالفونه في أمر، فالجهاد لا يكتسب القبول من الله تعالى ما لم يأذن به مفترض الطاعة وهو حجة الله على خلقه بعد أبيه وأخيه الإمام الحسين عليهم السلام أجمعين.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

وعليه:

يلزم النص التاريخي أن يكون خروج زهير بن القين مع خروج الحر بن يزيد الرياحي، هو الخروج الثاني له في المعركة، فكان الأول ضمن نظام المبارزة الفردية وهذا غير قتاله مع الفرسان ضمن قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في مراحل القتال التي مرّ بيانه سابقاً، فكان خروجه للقتال بعد أداء فريضة الظهر هو الخروج الثاني، أي إنهما صليا مع من بقي من الأصحاب بإمامة سيد الشهداء عليه السلام؛ وإنهما استشهدا بعد صلاة الظهر بساعة، وأن الذي استشهد قبل الصلاة وعند الزوال هو حبيب بن مظاهر الأسدي (عليه الرحمة والرضوان).

المسألة العاشرة: تنافس الأصحاب في الاستشهاد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام بعد صلاة الظهر حتى استشهدوا جميعاً

بعد هذا التزود من فريضة الصلاة التي كانت هم الأنبياء الأول ومدار حركتهم التبليغية ومنتهى غايتهم في إصلاح الإنسان لكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

فقد وجدت هذه النخبة الصالحة بعد أن بان النقص فيهم واقتراب العدو منهم أن يتسارعوا في الذهاب إلى الجنة.

وينقلبوا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاهدوا في سبيله ونصر دينه وصون حرمته في الدفاع عن حجته على خلقه الإمام الحسين عليه السلام.

ولأن الحرب منذ تكوينها كانت ترتكز على العقيدة فقد لزم من هؤلاء الصالحين أن يقدموا نفوسهم قرابين لعقيدتهم فكان تنافسهم في الشهادة والتضحية أمض أثراً وألماً في نفوس أعدائهم من ضرب السيوف وطعن الرماح، وانجع في تحقيق النصر على الفكر الذي كان يحمله أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد خلقت هذه الدماء الزكية الآلاف، بل الملايين على مر السنين أنصاراً للعقيدة التي اعتقد بها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

من هنا:

يذكر المؤرخون هذه المعركة في مراحلها الأخيرة بقولهم:

(فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا -الأعداء من حولهم -وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه -عليه السلام-)[1].

ولقد نقل التاريخ تلك الصورة الفريدة لأصحاب الحسين عليه السلام في روحها القتالية وتفانيها في الدفاع عن عقيدتها فأخذوا يقاتلون مثنى وفرادى حتى استشهدوا جميعاً بين يدي الإمام الحسين سلام الله عليهم أجمعين؛ أما كيفية قتالهم فيمكن الوقوف عنده من خلال ذكر بعض هذه المشاهد لخروجهم للقتال.

[illegible]

ó î†òÎí Aî†(Hñ A\ †?í J†T@+ Å † ?í FACî†=Cî‘¥pM7ãî † ã
àí WăḾ4?í Ì Â(G J? T? ‘[îø7 Eî<3 ôS

Å]À£ ¥«c]Ê· ÍÙs]·? Ñ@]ÀOA ‘k]„? ¾@»A Å«B¯Ç œ Å
Å KrÙ¾Ùk·? ÅÊ¸£ ‘k„? ¾@»Þ? ÏÄ¿A ÏLW ¶g

كان أول من استشهد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد صلاة الظهر مباشرة سعيد بن عبد الله الحنفي وكان قد وقف أمام الإمام الحسين عليه السلام يدافع عنه وجعل من بدنه هدفاً لسهامهم وسيوفهم حتى أنهى الإمام صلاته فسقط إلى الأرض(١)، وهو يقول:

(اللهم العنهم لعن عاد وثمود وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله وسلم؛ والتفت إلى الحسين قائلا:

أوفيت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال عليه السلام:

«نعم أنت أمامي في الجنة».

وقضى نحبه فوجد فيه ثلاثة عشر سهما غير الضرب والطعن)(٢).

ñ?cÉcn ñØ@L¯ ¾Ùk·? ÅÊ¸£ ‘k„? ¾Ñ@»G Þ?

ثم خرج زهير بن القين وقاتل قتالاً شديداً بعد خروجه الثنائي مع الحر بن يزيد الرياحي حيث قدما إستراتيجية قتالية مميزة وذلك حينما كان أحدهما يفك الطوق عن صاحبه فيما يستلحهم في القتال؛ إلا أن الرواة لم يروا تفاصيل هذا

---

16 6z:#7[#Ò ó½D## eÏkEP

#19 5 #´î ² ó½D#Õ¾#Q µ#¡#´ Î

القتال وتفاصيله وإنما اكتفوا بذكر صفة القتال بأنه (شديد).

ولما خرج زهير وقف أمام سيد الشهداء عليه السلام ووضع يده على منكبه وهو يقول:

ﺃ ##E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Ä Î D Æ ½ # E D # ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Ê Á X # Õ ¢ ¢ ¢

ﺃ[1] E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Ð Â º ½ D # Õ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Ç ½ D # ¾ \ E # Õ ¢ ¢ ¢

ﺃ ###E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Ð ‰ D # h Ð Ê t ¢ ¢ ¢ ¢

ودخل ساحة المعركة يقدم أروع صور الفروسية والقتال ويحصد بجيش السلطة كالنار في الهشيم حتى استشهد بعد أن قتل مائة رجلٍ[2].

^ Ù] j ¾ ? c ` L ] j Ø Ç c ] ¤ · ? ¥ { È b ¸ @ ] ¼ Å ` L @ % Ù Ã S o Á G
Å Ê ¸ £ Ñ @ w ° ¸ · ¦ Ù °

بعد استشهاد زهير بن القين قائد ميمنة معسكر الإمام الحسين عليه السلام واعتماد من بقي من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نظام المبارزة الفردية، وذلك لتناقص عددهم كما مرّ بيانه فإن التاريخ وبسبب هذه الإستراتيجية القتالية استطاع أن يسجل أسماء هؤلاء الأبطال ومن قتلهم والسير بسيرتهم القتالية كزهير ابن القين الذي اختصر الرواة قتاله بكلمتين فقط وهما (قتالاً شديداً) ثم سرعان ما يردف أبو مخنف ومن بعده الطبري هذا القتال الشديد بقوله (فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه)!! ولم يفصح لنا أبو مخنف وغيره أن هذا القتال الشديد كان مع من؟ وكيف استطاع نفران فقط من قتله.

---

(1) 6z: # 7[# Ò ó ½ D # e Ï k E P

(2) 8z; # Ä l ¶ Ÿ D # h Ð p ¾ ½ # Ä ß p ¼ D # Ë Ð ¾

ولعل خصوصية زهير بن القين مع الرواة أنه كان ممن يظهر تعاطفه مع مقتل عثمان بن عفان في المدينة وتجلى حبه ومودته لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء والجهاد في سبيل الله من أجل نصرهم هو الذي دفع الرواة لكل هذا التعتيم.

والحال يسير كذلك مع بقية أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، بل وكما أسلفنا مع المعركة إجمالاً مما أدى إلى ضياع تلك الصور المشرفة في الحضارة الإنسانية التي لم ولن تشهد مثل هذا التفاني والتمسك بالعقيدة.

وعليه: فإن حال نافع بن هلال الجملي من حيث تسجيل مجريات قتاله أحسن حالاً من غيره فكانت سيرته كالآتي:

قال أبو مخنف وعنه ابن جرير الطبري: وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يرمي بها مسمومة، وهو يقول:

أنا الجملي أنا على دين علي، فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا قال فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعا حتى أوتي به عمر بن سعد فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك؟

قال: إن ربي يعلم ما أردت.

قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني.

فقال له شمر: اقتله أصلحك الله، قال: أنت جئت به فإن شئت فاقتله.

قال فانتضى شمر سيفه فقال له نافع: أما والله أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه، فقتله)[١].

والنص التاريخي يرشد إلى مجموعة نقاط، وهي:

١ – إن نافع بن هلال كان رامياً مجرباً ومشهوراً في دقة تصويبه للهدف وقد عرف جيش السلطة الأموية هذه الشخصية سواء على قائد جيش السلطة أو على مستوى بعض الجند كما دلت عليه المحاورة بين نافع وعمر بن سعد وغيرها.

٢ – إن الطريقة التي استخدمها جيش السلطة الأموية في قتاله هو استخدامها لسلاح المقلاع، وقد وجهت الضربات على ساعديه وعضديه فكسروهما.

٣ – إن تولي شمر بن ذي الجوشن بقطع رأسه يكشف عن عقيدة شمر بن ذي الجوشن وأنه ليس من المسلمين.

٤ – إن هؤلاء الأعداء الذين خرجوا لقتال الحسين عليه السلام وأهل بيته هم أشرار الخلق.

ومن الملاحظ أيضاً فيما رواه أبو مخنف والطبري وغيرهما أن من بقي من أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام اختاروا بين المبارزة الفردية وبين المبارزة الثنائية وذلك لعرض فنون القتال وإنزال أكبر عدد ممكن من الخسائر في جيش السلطة.

---

16 6z: # 7[#Ò ó ½ D(##) e Ï k E P

ولذا:

فبعد أن برز نافع بن هلال البجلي واستشهاده برز إلى القتال الغفاريان والجابريان، ومن ثم يبرز بعدهم من بقي من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فرادى؛ فكان القتال يحمل في كل صورة من صوره درساً جديداً في الروح القتالية وفنون الفروسية واتضاح ملامح الهوية العقائدية، فكانت كالآتي:

ôTëîHü?í ó îòÎí:'ÂT(Hîû =î

إن الملاحظ في طبيعة معركة الطف وكيفية القتال فيها هو اعتماد الأصحاب على نظام المبارزة الفردية أو الثنائية، وذلك لقلتهم فضلاً عن سيطرة حالة الخوف على جيش الكوفة من التقدم بنظام الهجوم الشامل وقد فشلوا مرة بعد أخرى.

ناهيك عن أنهم يدركون أن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ما زالوا على قيد الحياة ومن ثم يبقى الخطر الأكبر قائماً، وتبقى حالة الذعر هي الغالبة عليهم؛ إذ قد يلجأ الإمام إلى ما لديه من منزلة عند الله تعالى فيستغيث بربه، ليحل بنقمته عليهم كما كان حال الأمم السابقة وما أصابها من الطوفان والخسف والمسخ والصيحة وغير ذلك والعياذ بالله.

وعليه:

نجد أن معركة الطف قد سارت في النظام العسكري والقتالي بحسب هذه المعطيات إلى النصر الحربي لاسيما وأن القلة الباقية من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام – وكما أسلفنا – أخذوا يتسارعون في الاستشهاد بين يدي الإمام

الحسين عليه السلام متبعين في ذلك إستراتيجية كسب الحرب وخسران المعركة فكانوا سلاحاً فتاكاً بهذه العقيدة القتالية والروح العقدية على مر التاريخ لمحاربة الظلم والطاغوتية.

وقد وصفهم النص التاريخي بقوله:

(وأتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه، وهو يدعو لهم، ويقول:

«جزاكم الله أحسن جزاء المتقين».

فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا)[١].

ومن هذه المشاهد في القتال الثنائي:

' É f @ ¬ ·/· ? º @ L

قال الطبري: فجاءه عبد الله وعبد الرحمان ابنا عزرة الغفاريان، فقالا: يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأجبنا أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك. قال:

«مرحبا بكما أدنوا مني».

فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريباً منه، وأحدهما يقول:

ﺈ #k D n ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Å## "#¢#k E¢¢¢¢¢¢¢¢¢L¢# h # Î¢¢¢¢¢¢

ﺈ ###k E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Q ﺈ L#k Ë k E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ w # Ÿ ² ½ D

ﺈ[٢] #k E ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ó c à D ##E#k D ¢ ¢ ¢ ¢ \ Æ ¶ ½ D Í # ¡ L t ¢ Ç

#1 3z3# ;/[# ±U ¹ # Ç L Þ # Ô#E Ê Æ ½ D

#Ë # ² Å # ¥h x Ÿ D

‘ É g G @+ƒ ? º @ L

وجاء الجابريان، سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عم وأخوان لأم فأتيا الإمام الحسين عليه السلام فدنوا منه وهما يبكيان، فقال:

«أي ابني أخي ما يبكيكما فوالله إني لأرجو أن تكونا من ساعة قريري عين».

قالا: جعلنا الله فداك، لا والله ما على أنفسنا نبكي؛ ولكنا نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك.

فقال – عليه السلام –:

«جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين»[١].

Å † ?í AîCYí ïî ãJBœS 4?í ó îòÎí Aî(G Íçü=?îû8?í
ó îL ?BLñ÷îT A\ ?í JT@+

بعد أن استشهد الغفاريان والجابريان برز للقتال من بعدهم آخر من بقي منهم مع سيد الشهداء عليه وعليهم السلام فكان خروجهم ومقاتلتهم الأعداء على النحو الآتي:

Ë×@ · ? c¤jA +ÁG Î¸

قبل خروجه للقتال وقف بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وأخذ ينادي:

يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد

---

14 8z7#³=Æ • # Ñ L à Ë Ð ß¾pc½#D ‑ p ‰ D6 #ëzÄ#E/[Á#à D ó#½¿D#¶ eÄÏ#k ≥ P

وثمود، والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد؛ يا قوم لا تقتلوا حسينا فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى.

فقال له حسين: يا ابن أسعد رحمك الله إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا إليك ليستبيحواك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين.

قال: صدقت جعلت فداك أنت أفقه مني وأحق بذلك؛ أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال: رح إلى خير من الدنيا وما فيها وإلى ملك لا يبلى.

فقال السلام عليك أبا عبد الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرف بيننا وبينك في جنته؛ فقال: آمين آمين.

فاستقدم فقاتل حتى قتل)[١].

وتكمن خصوصية هذا النص التاريخي في نقله صورة نقية لعلة تجمع هذه الجيوش وقتالها للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؛ فضلاً عن بيانه لمجموعة من المعطيات الفكرية التي بنيت منها عقيدة هؤلاء النخبة من المسلمين.

Ìg³@o·? IÊ ĦDn ÁG

لا شك أن التوقف عند أفراد معركة عاشوراء يثري الفكر بالمعرفة في فهم الحياة وحقيقة الدنيا والسعي من أجل الآخرة فضلاً عن تجلي القيم الأخلاقية التي جاءت بها الأنبياء فظهرت مصاديقها في معركة الطف.

#14 8z6#³=Æ • # Ñ L à # – p6¼6zD##[#Q ¶óÁ½ D## e Ï k E P

وذلك أن الإنسان يكون في المعركة وفي خضم الحرب مجرداً من التمظهر بمظاهر الزيف والخداع بل تجبره الحرب أن يتصرف بعناصر شخصيته ونمط تفكيره.

وما ظهر عابس بن شبيب الشاكري في ساحة المعركة إلا ليقدم للبشرية معطيات فكرية عديدة كشفها النص التاريخي الذي سجل لهذه الشخصية هذه الصورة الجميلة، فكانت كالآتي:

قال أبو مخنف:

(وجاء عابس بن شبيب الشاكري[1]، ومعه شوذب[2] مولى شاكر، فقال شوذب ما نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل، قال: ذلك الظن بك اما لا فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك انا، فإنه لو كان معي الساعة إحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه، فان هذا يوم ينبغي لنا ان نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وانما هو الحساب.

قال فتقدم فسلم على الحسين عليه السلام، ثم مضى فقاتل حتى قتل.

قال: ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله أُشهد الله أني على هديك وهدي أبيك، ثم مشى بالسيف مصلتا نحوهم وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف – حدثني نمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم قال: لما رأيته مقبلا عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم، فأخذ ينادي ألا رجلٌ لرجل.

فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس فوالله لرأيته يكرد[1] أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة هذا يقول: أنا قتلته، وهذا

[illegible]

يقول: أنا قتلته فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا هذا لم يقتله سنان واحد ففرق بينهم بهذا القول)[1].

وفي هذا النص التاريخي مجموعة من الحقائق، وهو كما يلي:

١ – أن أول سمة في هذا الخروج هو المودة لآل البيت عليهم السلام التي بلغ هؤلاء الأصحاب أعلى مراتبها وهم في ذاك كانوا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يكون العبد مؤمناً حتى أكون أحب إليه من نفسه ومن ولده وماله وأهله».

فقال بعض القوم يا رسول الله، إنا لنجد ذلك بأنفسنا، فقال عليه وآله الصلاة والسلام:

«بل أنا أحب إلى المؤمنين من أنفسهم».

ثم قال:

«رأيتم لو أن رجلا سطا على واحد منكم فنال منه باللسان واليد، كان العفو عنه أفضل أم السطو عليه والانتقام منه؟».

فقالوا: بل العفو، يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفرأيتم لو ان رجلا ذكرني عند أحد منكم بسوء وتناولني بيده كان الانتقام منه والسطوة عليه أفضل أم العفو عنه؟».

[illegible]

قالوا: بل الانتقام منه أفضل، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأنا إذن أحب إليكم من أنفسكم»[أ].

ولا شك أن هؤلاء الأصحاب قد بذلوا أنفسهم في الدفاع عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لأن الإيمان امتزج بلحمهم ودمهم فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وعترته أهل بيته عليهم السلام أحب إليهم من أنفسهم ومن ولدهم ومالهم والناس أجمعين، كما وصفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ آخر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته»[أ].

وفي لفظ آخر أخرجه البخاري، وأحمد عن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[Ð].

وهذه الرتبة الإيمانية نطق بها عابس بن شبيب قولاً وعملاً ولذا قال للإمام الحسين عليه السلام:

---

1 7 4z9#Ñ=o Î ó ½ D # e Ð) t ¾ ½ # Ñ

#1 7 #z7#¸=í h x ¾ ½ #) Ñ ½ E Á à

#1 5 #2 8 # 6 [#h=• F # h Æ z p # Á [#È=E › ä D # O E _Q Ð] # (#) Ò k E d M

(يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز عليّ من نفسي ودمي لفعلته).

٢ - إن سنام الروح القتالية والمعنوية التي عليها هؤلاء الأصحاب ولاسيما عابس بن شبيب هي التوحيد المحمدي فهؤلاء وحّدوا الله توحيداً محمدياً علوياً وساروا بهديه، ولذا قال عابس للإمام الحسين عليه السلام مجاهراً للتأريخ أن هذه عقيدته الذي استشهد من أجلها، فقال:

(السلام عليك يا أبا عبد الله أشهد الله أني على هديك وهدي أبيك)، ثم مشى بالسيف مصلتا نحوهم وبه ضربة على جبينه.

٣ - من السمات التي سجلها التاريخ لهؤلاء الرجال بكل ما للكلمة من معنى؛ هي: الصدق، فهؤلاء الأصحاب قد صدقوا الله في أنفسهم فانبرى صدقهم واقعاً عملياً في الحياة سواء كان ذلك قبل المعركة أم حينها.

فقد سجل التاريخ لعابس بن شبيب وغيره هذه الصفحة، أي الصدق، وذلك حينما دخل مسلم بن عقيل الكوفة وبدأ بأخذ البيعة من أهلها للإمام الحسين عليه السلام، وفي ذلك يروي الطبري:

(لما ورد مسلم بن عقيل الكوفة، ونزل دار المختار بن أبي عبيد، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فقام عابس بن شبيب الشاكري فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه:

والله لأجيبـنكم إذا دعـوتم، ولأقـاتلن معكـم عـدوكم، ولأضـربن بـسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عنـد الله. فقـام حبيـب بـن مظـاهر فقـال: رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إلـه إلا على مثل ما هذا عليه)[١].

ومن هنا:

نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان يتبعهم حينما يستشهد أحدهم بقوله تعالى:

3 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً 2 [٢].

٤ - امتاز النص التاريخي الراوي كيفية خروج عابس بن شبيب بمرونـة فـي نقل الصورة القتالية بعكس ما دأب عليه الرواة في إخفاء كثير مـن مظـاهر القتـال، ولعل عثور أبي مخنف على أحد الرواة الذي سمع من أحد الشهود الذين حضروا المعركـة وتـأثره شخـصياً بعـابس حينمـا كـان يرافقـه فـي الغـزوات والفتوحـات الإسلامية هو الذي دفعه للحديث في نقل هذه الصورة عن قتال عابس بـن شـبيب كما هو واضح في رواية أبي مخنف قائلاً:

(حدثني نمير بن وعلة عن رجل من بني عبد بـن همـدان يقـال لـه ربيـع بـن تميم شهد ذلك اليوم، قال:

#1 5 9z7 # 7[#Ò= ó ½ D #5 2 Ï #Ò= gPm #à> D # ³ Æ • # Ñ L à # Ä ß p ½ #D # Ë Ð ¾ ©

#1 5 #Ô= Ï â D # / O D #n \ à D # Ó

لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم.

فأخذ ينادي ألا رجل لرجل.

فقال عمر بن سعد:

ارضخوه بالحجارة قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ألقى درعه ومغفرته، ثم شد على الناس؛ فو الله لرأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس؛ ثم أنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

قال:

فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال:

لا تختصموا هذا لم يقتله سنان واحد؛ ففرق بينهم بهذا القول)[(١)].

٥ - مرة أخرى يفيد النص التاريخي باستخدام جيش السلطة لسلاح المقلاع في المعركة فقد واجه الجيش هذا الفارس برميه بالحجارة كما قرر القائد العام لجيش السلطة التي لم تستطع أن توقف تقدمه نحو المعسكر، بل زادته شجاعة وعزيمة وهو الذي يسوق أكثر من مائتين من الناس على القتال، ولا شك أن الذي يسوق بسيفه هذا العدد من الجند قد أوقع فيهم خسائر لا قبل للرواة في إحصائها.

ومما يدل عليه:

[illegible]

ألف: قول الراوي: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة؛ أي من خيرة جيش السلطة الأموية المخصوصين بالعدة القتالية والفروسية.

باء: تنازع الفرسان في قتله وذلك للتفاخر بين الناس بأنهم قتلوا أسد الأسود.

جيم: قول عمر بن سعد: هذا لم يقتله سنان واحد؛ أي استخدام الرماح في قتله، أي لا يستطيعون مبارزته، ومحصله: إنهم استخدموا جميع الأسلحة في قتله من الحجارة والرماح إلى السهام وغيرها، فكان أحد مفاخر الحرب إن كان للحرب رجالها.

[illegible]

وقف جون[1] مولى أبي ذر الغفاري أمام الحسين عليه السلام يستأذنه فقال عليه السلام:

«يا جون إنما تبعتنا طلباً للعافية فأنت في إذن مني!».

فوقع على قدميه يقبلهما ويقول: أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم إن ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم! فأذن له الحسين عليه السلام فقتل خمسةً وعشرين وقتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال:

---

(1) [illegible]

«اللهم بيّض وجهه وطيّب ريحه واحشره مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعرّف بينه وبين آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فكان من يمر بالمعركة يشم منه رائحة طيبة أذكى من المسك(١).

Ë ¸ Ã @ ´ · ? R f @ „ ?‡2 Á G I ¿

كان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً، فاستأذن الحسين عليه السلام برز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة، ولما نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيأة بكى وقال:

«شكر الله لك يا شيخ».

فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقتل(٢).

Å ¸ H ¯ Á » Æ È G A c Ä o L j ? c ¯ Ç Æ g ¼ £ Á3 » Í g o £

وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أن قتل أبوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال:

«هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك».

قال الغلام: إن أمي أمرتني فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات، وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

#1 5 9z6 #Ä l ¶ Ÿ D # h Ð p ¾ ½ # Ä ß p ¼ (2) D # Ë Ð ¾

#1 Ë p ² Å # (1) h x Ÿ D

ɟ ##Ô ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ #ÐÔ•²#ÐÔª ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ þ ¢ ¢ Æ¢½ Ð #½¡

ɟ #Ô ² Ï l t ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ½ D ## Ô ¢ ¢ ¢ ¢ Â ¢• Œ ± ² #Ð' Æ ¢ © ¢ Ô ¢ L H

فردها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين[1].

Ë ¬ ¤ ƒ ? ¼ @ T „ ?

وقاتل الحجاج بن مسروق الجعفي حتى خضب بالدماء فرجع إلى الحسين عليه السلام يقول:

ɟ ##E ¢ ¢ Ð ¾ © # Ö h ¢ ¢ Æ ¢ ½ Ð # Ð Æ # ½ Ð E ¢ ¼ ¢ L ¢ F ¢ # Ã ¢

#Ð #w Î ½ D # Ë ± l ª Å # Ò j ½ D # ¼ D i

فقال الحسين عليه السلام:

«وأنا ألقاهما على أثرك فرجع يقاتل حتى قتل»[2].

˜ Ë G A Ã G f ? È

قاتل سوار بن أبي حمير من ولد فهم بن جابر بن عبد الله بن قادم الفهمي الهمداني قتالاً شديداً حتى ارتث بالجراح وأخذ أسيراً فأراد ابن سعد قتله وتشفع فيه قومه وبقي عندهم جريحاً إلى أن توفي على رأس ستة أشهر.

وفي زيارة الناحية المقدسة ورد: السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني وعلى المرتث معه عمر بن عبد الله الجندعي[3].

---

(1) 5 9z7#Ä l ¶ Â ¾ ½ # Ä ß p ½ D # Ë Ð ¾ © # –

#Ë þ ² Å # k h x Ÿ D

#(2) 5 9z8#Ä l ¶ Ÿ D # h Ð p ¾ ½ # Ä ß p ½ D # Ë Ð ¾

ولم يبق من أصحاب الإمام الحسين عليه وعليهم السلام سوى رجل واحد وهو سويد بن عمرو بن أبي المطاع فقد تسارعوا للشهادة بين يدي إمامهم وقائدهم ومولاهم.

ويروي لنا أبو مخنف والطبري وغيرهما كيف قاتل سويد واستشهد.

قال أبو مخنف:

(حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي: أن سويد بن عمرو كان صرع فأثخن فوقع بين القتلى مثخناً فسمعهم يقولون: قتل الحسين عليه السلام؛ فوجد فاقة فإذا معه سكين وقد أخذ سيفه، وقاتلهم بسكينه ساعة، ثم أنه قتل؛ قتله عمرو ابن بطار التغلبي، وزياد بن رقاد الجبني وكان آخر قتيل)[1].

ويدل النص التاريخي على أنه آخر من استشهد في معركة كربلاء، أي: بعد استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه عليهم السلام.

فضلاً عن بيان الروح القتالية والعقدية التي أظهرها قول أبي مخنف:

(وقاتلهم بسكينه ساعة) فكيف إذا كان بيده سيف فكم يحتاجون من الوقت لمواجهته؟!

إذن: أصبح واضحاً لدى القارئ أن كل مشهد من هذه المشاهد له خصوصيته الخاصة سواء على المستوى العسكري، أو العقدي، أو العاطفي، أو التربوي؛ ولو أردنا أن نورد جميع المشاهد لهذه النخبة الصالحة لخرج الكتاب

عن منهجه البحثي.

إلاّ أننا توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن المعركة بعد استشهاد جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ولم يبق سوى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقدمهم للشهادة دون أن يرعى القوم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة فإن المعركة وصلت إلى مرحلة جديدة تحولت فيها إلى التعري العقدي وهو ما سنعرض له في المسألة القادمة.

المسألة الحادية عشرة: تحول المعركة إلى مرحلة التعري العقدي وانعكاساتها على الحرب وتحقق إستراتيجية بلوغ الهدف

بعد تفاني الأصحاب في القتال وبلوغهم النصر الاستراتيجي للحرب وذلك بكتابتهم تاريخاً جديداً في العقيدة والفكر والإصلاح؛ بدأ مع أول قطرة دم سقطت منهم على أرض كربلاء مرحلة جديدة في المعركة ترتكز على تمحور الفكر العقدي لدى جيش السلطة في القضاء على كل ما له صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدميره.

في المقابل كانت الحرب كلما تقترب من شخص الإمام الحسين عليه السلام كانت المظاهر الإلهية تتجلى في المعركة وهي حالة ليست بالجديدة في الأمم السابقة وستسري في الأمم اللاحقة؛ ولعل الرجوع إلى القرآن الكريم والنظر فيما لحق بالأمم التي قاتلت الأنبياء ولم ترع حرمة لله كيف بدت فيهم المظاهر الإلهية علهم يفيقون من طغيانهم فيتداركون أنفسهم بالكف عن تلك الرموز التي

ارتبطت بالله عزّ وجل.

إلاّ أنهم يزدادون عتواً وطغياناً وهو ما جرى في معركة الطف لتأخذ هذه السنّة التاريخية استحقاقها من هذه الأمة؛ وليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فأرادوا القضاء على الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فأحياه الله بهذه الدماء الزكية في قلوب كثير من خلقه فتحقق هدف الإصلاح وانتصر حجة الله تعالى وخسرت السلطة وعقيدتها، حينما تعرت بقتلها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته وإخوانه وبني عمومته حتى طفله الرضيع.

فضلاً عن التمثيل بالجثث وتقطيع الرؤوس وسلب الأبدان وسبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تسليبهن وحملهن من بلد إلى بلد يتصفح وجوههن المسلم والكافر والسيد والعبد وكأنهن من أهل الديلم أو الأعاجم لا تربطهن بالإسلام ونبيه رابطة.

فكانت هذه الحالة التي عليها بنات النبوة وما قامت به ابنة علي وفاطمة عليهما السلام من مواصلة الحرب على الفساد وضرب ركائزه في السلطة والمجتمع في الكوفة والشام أمضى أثراً في إحراز النصر من آلاف السيوف والرماح، فقد انهارت السلطة وقامت العقيدة الإسلامية الصحيحة وحفظ الله دينه وأتم حجته[١].

############ × E p ¢ ¢ Æ ¾ ½ # Ä ß p ¢ ¢ ½ D # Ë ¢ ¢ Ð ¾ © # –p(١) ¢ ¢ ‰ D #
D # Õ ¾ ¢ ¢ w##n¢#ÂÄÊ ¢#àÎÏŸ#ÐE#ÏE¢M¢Æ¢ b E Q ¹ # l ¢ ¦ Å F # / g E p ¢ ¢
############ — J # Ë ¢ ¢ ½ E Ð ª ½ # Ä ß p ¢ ½ D #Ë#¢#Ðg¾#Ã#¾–¢po¢Í%ËÐ¢#
#1× ß L l ¹

ولم يشهد التاريخ الإنساني معركة قد حققت أهدافها في النصر الحاسم على خصومها مثلما حققت معركة الطف.

ولم يشهد التاريخ الإنساني معركة تدوم حركة قتالها وتتجدد رموزها في كل زمان ومكان مثلما أنتجته معركة الطف.

فكانت استراتيجياتها العسكرية والحربية والإصلاحية فريدة كفرادة مفرداتها ورموزها وقيمها وعبرها وعبراتها وثوابها وعقابها وكأن الله تعالى لم يخلق مثلها؛ كما لم يخلق مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بقيت لنا في هذه المسألة جملة من الأمور ينبغي التوقف عندها، وهي:

Å†ñ ô†; ,Îí Ì J†øTñ >†KãM A\ †?í J†T@+ Å † ?í Aî†CY[Mîã7 ô,T

BT8ø Îí " ?í Aî(GM ôS 4?í ó îòÎí

g´¬·? œÊÀÚ? Ë¸£ 8@AL¯ Î

إن أهم سمة سجلتها النصوص التاريخية في خروج أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي طالب عليه السلام هو انكشاف عقيدة السلطة ورموزها بصورة لا يمكن أن يراودها الغموض أو التعتيم، فقد أصرت السلطة على قتل هذه النخبة التي لها رحم ماسة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عما لها من الثوابت الشرعية التي نص عليها القرآن والسنة المحمدية.

من هنا:

نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان شديد الحرص على بيان حرمة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمتلازمة بأهل بيته وذريته وإن انتهاك هذه الحرمة سيؤدي إلى عواقب وخيمة على مر التاريخ، عواقب لا يمكن تصحيحها أو التخفيف من آثارها.

ولذا: نجده عليه السلام حينما برز للقتال ولده علي الأكبر والذي يكنى بأبي الحسن، فإن أول أمر فعله الإمام الحسين عليه السلام وذكر الناس به وحذر منه هو حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ترشد إلى ذلك النصوص التاريخية.

فقد روى ابن أعثم الكوفي (المتوفى ٣١٤هـ) خروج علي بن الحسين عليهما السلام فقال:

(ثم تقدم من بعده علي بن الحسين -عليه السلام- وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة، فتقدم نحو القوم، ورفع الحسين شيبته نحو السماء، وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه القوم خلقاً وخلقاً ومنطقا برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فامنعهم بركات الأرض، فإن متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقاً، وأقطعهم قطعاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

قال: ثم صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال:

«مالك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك من بعدي من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم رفع الحسين عليه السلام صوته وقرأ:

3 إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ 2 [أ] [أ].

ولا شك أن هذا التعامل الذي كشفه النص التاريخي في خروج علي الأكبر ترك أثراً فعالاً في تجنيد الفكر نحو القرآن والعترة النبوية.

Î ³ g ¤ š ? œ ¾ Ù k · ? Å Ê ¸ ß Ñ @³ Ǘ ?

أما طبيعة قتال علي بن الحسين عليهما السلام الملقب بالأكبر تفريقاً بينه وبين أخويه الآخرين اللذين سماهما الإمام الحسين عليه السلام بـ(علي) فقد رواها ابن أعثم الكوفي وغيره، فقال:

(ثم تقدم علي بن الحسين بن علي عليهما السلام، وهو يقول:

Æ ¢ ¢ ¢ ¢ ½ D # Ã Ê Ð Ñ ¢ ¢ L F ¾ h © Ç ¢ X Ô L M × Þ ¢

#" U ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Æ Ï # Õ ¢ ¢ Ñ © h_ ¢ Á l ½ E ½ D Ç ¢ L Ã Þ

#Ñ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ s l µ # Ò Î ¢ Ñ ¢ ¼ F © Ç Ä ß ¢ © Ñ ¢ • F Ð ³

ثم حمل – عليه السلام – فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من يده، ومن كثرة من قتل منهم؛ فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال:

يا أبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من الماء سبيل؟ قال: فبكى الحسين، ثم قال:

#6 #/6 6È E Q Ï â D # / È D l Â © # À

4 4z7# 8[#¡ Î º ½ D # Ã U © F # Ç L Þ #

«يا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيسقيك بكأسه الأوفى».

قال: فرجع علي بن الحسين إلى الحرب، وهو يقول:

ﺃ ####¸ g E x ¢ ¢ Á # E É h# Ø ª L # Ç ¶ ¢ # Á # S I # R Ê ¥ Å E L

ﺃ #¸ k D Î ¢ ¢ ¢ M ½ D # Ð Í # ¸ k E ¢ Â © P # Ć F # Ã # Ð Î # V ¢ ¢

ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل)[١].

وإن كان ابن أعثم الكوفي قد أعرض عن ذكر مقتل علي الأكبر عليه السلام فإن أبا مخنف الأزدي (المتوفى ١٥٨هـ) قد روى ذلك فقال: (ففعل ذلك مراراً - أي حينما كان يشد على الناس - فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان العبدي عليه لعنة الله فقال: عليّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه، فمر يشد على الناس بسيفه، فاعترضه مرة بن منقذ فطعنه، فصرع، واحتوله الناس فقطعوه بأسيافهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الآزري، قال: سماع أذني يومئذ الحسين يقول:

«قتل الله قوما قتلوك، يا بني ما أجرأهم على الرحمان، وعلى انتهاك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم! على الدنيا بعدك العفاء»[٢].

والملاحظ في هذين النصين التاريخيين، أمور:

#1 #z8# 8[#¡Î º ½ D # Ã U ©# F # Ç L Þ #

Ã Ð ¢ 6 7E 3 ½ [D # Ì k ¢ ó ½ D #ã z Ï k #E F ³ # E >• # Ñ L à # Ä ß p ½ D # Ë Ð ¾ ©

1B 8z8# E \ # Ñ L F # Ç L Þ

١ – بيان حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي انتهكتها السلطة الأموية ومن أسس لقيامها من قبل، فهذه كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي طعنت ونفسه التي أزهقت ودمه الذي سفك.

٢ – إن قتال علي الأكبر عليه السلام كان فريداً في ممارسته ورباطة جأشه، ولا شك أن الصورة التي نقلها الرواة عن هذا القتال لغنية عن البيان، فأي كلام يغتزل معاني تلك الحملات التي عبر عنها الراوي بقوله:

(فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من يده، ومن كثرة من قتل منهم)[1].

٣ – إن طريقة قتله تكشف عن حقيقة هذه النفوس التي تجردت عن جميع القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية.

٤ – لا شك أن هذه الفاجعة قد حشدت جميع الإمكانيات الوجدانية منذ وقوعها وإلى يومنا هذا، بل ولم ولن تنتهي مما حقق الانتصار على العدو.

¹ Ê ° £ Á G ½ ¸ k » Á G½ Ê?S c H £

يختار عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام؛ نظام المبارزة الفردية بعد استشهاد علي الأكبر عليه السلام، وقد روى ابن شهر آشوب المازندراني (المتوفى ٥٨٨هـ) سمة قتاله، فقال:

(برز عبد الله بن مسلم وهو يقول:

Æ ¢ ¢ ½ D # Ç ¢ ¢ Ï g # Ã Ñ ¢ ¢ ¢ ¾ L © # Ô ¢ Í g É Í ¢ É L Â # ¾ Ô p ¢ ¢

N p ¢ ¢ ¢ ¢ ¢ Æ ½ D # # Ä D j ¢ ¢ ¢ ¢ ½ Í E k E D Ĉ ¢ ¢ ± ¢ l D © c

N p ‰ D # ¿ É F # S D g E p ½ D # Ã s E É # Ç Â

---

14 4z8 # 8[# Ã U © F # Ç L Þ # b Î Q

فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً بثلاث حملات، ثم قتله عمرو بن صبيح الصيداوي وأسد بن مالك)[1].

وتكشف أبياته التي ارتجزها عند خروجه للقتال عن التمايز في الصفات بين المعسكرين سواء كانت هذه الصفات دينية أو أخلاقية أو نشأوية وفطرية.

فضلاً عن ذلك فقد كان قتاله ضمن هذه الحملات الثلاثة يكشف عن تمرسه وفروسيته وروحه القتالية.

½ Ê ° L k š ? • … ? ¾ @ ¿ ’ E ¹ Ê ° £ Á G ½ ¸ k8? bÁ G ?
¾ Ù k · ? ½ Ä Ê ¸ £ I · @ | Ë G A

يروى لنا بعض أصحاب المقاتل: أن نظام القتال بعد استشهاد عبد الله بن مسلم بن عقيل يتغير من المبارزة الفردية إلى نظام الحملة الواحدة تسارعاً منهم لنيل الشهادة والفوز بالجنة.

(فحمل آل أبي طالب عليهم السلام حملة واحدة، فصاح بهم الحسين عليه السلام:

«صبراً على الموت يا بني عمومتي والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم»[2].

فوقع فيهم:

١ - عون بن عبد الله بن جعفر الطيار وأمه العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

#1 5 8z7# 6[#N+ ½ E • # Ñ L(F) # À H # N

#1 5 #8 5 : z7 #Ä=I ¶ Â ¾ ½ # Ä ß p ½ D # Ë 9Dz¾#©Í# E p %ÇDL #(Ä) É ÂÊä¾D ½

٢ – محمد بن عبد الله بن جعفر الطيار، وأمه الخوصاء.

٣ – عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب.

٤ – جعفر بن عقيل بن أبي طالب.

٥ – محمد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب.

٦ – عبد الله بن عقيل بن أبي طالب.

فهؤلاء استشهدوا جميعاً في هذه الحملة؛ أما سمة قتالهم فقد أظهرت فصول الدراسة أن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج في نظام القتال عن سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه عليه السلام بين المبارزة الفردية ونظام الصف المستقيم.

فضلاً عن ذلك فقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى كيفية استشهادهم دون أن تشير إلى أنهم خرجوا في حملة واحدة ولعل الأمر لا يعد فرقاً في الإستراتيجية القتالية وقد قتل جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقلة من بقي من أهل بيته وهم يتسارعون للشهادة.

Î É b g ¬ · ¾ @ h f @ ¾ Ù k · ? ½ Ä Ê ¸ £ G · @ Á ‖ @ ¾ Á £

اعتمد من بقي من أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام نظام المبارزة الفردية للقتال بين يدي قائدهم وسيدهم وإمامهم الإمام الحسين عليه السلام فسجل التاريخ تلك الملاحم البطولية لهذا الخروج، فكانوا كالآتي:

١ – الحسن المثنى ابن الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه

السلام وهو الوحيد الذي أصيب في المعركة ولم يستشهد بعد أن قطعت يده اليمنى وأصابته ثماني عشرة جراحة وذلك أن أخواله كانوا ضمن معسكر عمر بن سعد فاستشفعوا فيه من أمير الجند فسلمه إليهم.

٢ – محمد بن علي بن أبي طالب ويكنى بأبي بكر.

٣ – عبد الله الأكبر ابن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٤ – القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام لم يبلغ الحلم.

وقد هد مصرعه عمه الإمام الحسين عليه السلام وكان قد استغاث به فجاءه الإمام الحسين عليه السلام وهو يفحص برجليه فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك وأبوك».

ثم قال:

«عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك؛ صوت والله كثر واتره، وقل ناصره».

ثم حمل عليه السلام الغلام على صدره حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته)[1].

٥ – عبد الله بن علي بن أبي طالب.

٦ – عثمان بن علي بن أبي طالب.

٧ – جعفر بن علي بن أبي طالب.

¡ # ¿ ¢4 3z;E 5[½h D # Ð ² Ÿ D # e 8 z ¢ # Ñ ¾ Å ½ E # Ê g ² E ¢ ws à k D à # Ð [# ¢ Þ ¢ (١) ² ½ D # Ñ ¢
#1 8 # 7[# ∓ à D # Ç L Þ # e Ï k E Ç

وهم أخوة العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وأمهم السيدة أم البنين عليهم أجمعين أفضل الصلاة والسلام، وقد استشهدوا جميعاً ولم يبق مع الإمام الحسين عليه السلام سوى أخيه العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو حامل اللواء.

ð†?î# R†ñã F†ñ R†@+ F†ñ†@?í?+†Cî ýM † Â ä÷ Ì ôîDT<G?îû
ô; ,Îí Â P@A+ ?í îDLT@+

جرت العادة في نظام الجيوش أن تخصص ألوية تحمل كلمات أو رموزاً تدلل على عقيدة هذا الجيش أو ذاك، أو أنها تدلل على الصنوف القتالية ضمن الجيش الواحد فللفرسان لواء، وللرجالة لواء وهكذا.

أما في وقتنا المعاصر فقد تعددت صنوف الجيوش وتعددت معها الألوية أو الرايات التي ترشد إلى صنف هذه الفرق، أو الكتائب، فضلاً عن بيان عقيدتها القتالية أو الوطنية.

أما دور هذه الرايات أو الألوية في المعركة فقد ظهرت أهميتها بعد قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج لحرب المشركين في معركة بدر الكبرى فدفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أبيض اللون وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب عليه السلام يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الأنصار(١).

#1 #z8#5[#Ä=E t É # Ç L Þ # Ô4Ï3z5M#Æ½ Ð Ħ Ó ©þ#½ÇL#Þ># k

ويمكن لنا الوقوف عند أهمية اللواء في الجيش والمعركة من خلال وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى قادة جيشه فقال:

«ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم، ويكتنفونها حفافيها ووراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون فيفردونها»(١).

وهذا النص الشريف يظهر دور اللواء في المعركة وآثاره على المعسكرين بحد سواء فأما على معسكر أهل الإيمان فقد أوصى عليه السلام بالالتفاف حول اللواء وأن يحرصوا على عدم إمالتها بل ترفع بشكل مستقيم وذلك لما تدل من تماسك الجند وانقياده للقائد وهذا يترك أثراً معنوياً على العدو فضلاً عن أصحاب اللواء.

ولذا:

أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأن لا تجعل الراية إلا بأيدي رجال لهم صفات محددة لما يترتب على حركتهم وتنقلهم في المعركة من آثار لكلا المعسكرين، وهذه الصفات، هي:

١ – الشجاعة المعروفة بين الجند، لقوله عليه السلام:

«ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم».

٢ – المانعين الذمار؛ وهم الذين عرفوا بحفظ الأعراض والأموال.

#14 #z #8[#h=Ï h ‰ D # Ñ L F # Ç L#Þ # Ô - ß M

والعلة في هاتين الصفتين تكمن في انعكاسها على الجند، وذلك:

أ: إن الجند الذين يصبرون على نزول الموت في المعركة هم الذين يحفون بالراية.

ب: وإنهم يتحركون تحت ظلها وحركتها حينها ترفرف فيكونون مع الراية مرة أمامها وأخرى وراءها.

ج: لا يتأخرون عنها فيسلمونها للعدو.

د: ولا يتقدمون عليها فيجعلونها فريدة في ساحة المعركة.

وهذه الوصايا والتعليمات تركز على أمرٍ في غاية الأهمية، وهو: أن اللواء هو قطب المعركة وموضع كاشفية المقاتلين وطبيعة روحهم المعنوية مما يحقق آثاراً عديدة في سير المعركة.

من هنا:

فإن إعطاء الإمام الحسين عليه السلام اللواء لأخيه العباس عليه السلام يدل على تلك الخصوصيات التي حددها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام في وصيته لقادة الجيش، وانحصارها في شخص أبي الفضل العباس عليه السلام فضلاً عما تميز به من خصائص عديدة كشفها حاله في المعركة حينما برز إلى القوم وقد قصد في بادئ الأمر جلب الماء من نهر الفرات إلى عيال أخيه من النساء والأطفال.

إذ ليس بالأمر اليسير أن يستطيع رجل واحد أن يكشف خمسمائة فارس

كانوا موكلين بحفظ ماء الفرات بقيادة عمرو بن الحجاج وهو صاحب ميمنة جيش السلطة الأموية، وقد مر علينا في البحث الدور المميز له في قتال الحسين عليه السلام وقد حرص حرصاً شديداً لمنع الحسين عليه السلام وأصحابه من الوصول إلى الماء؛ وبخاصة أن هذا الفعل قد تكرر مرتين في كربلاء، أي: إن أبا الفضل كشف هذا العدد وأزاحهم عن نهر الفرات مرتين.

فكانت الأولى في اليوم السابع من المحرم أي قبل وقوع المعركة بثلاثة أيام[1].

والأخرى كانت يوم العاشر حينما طلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن يجلب لهؤلاء النساء والأطفال شربة من الماء.

ولهذه العلة نجد أن الإمام الحسين عليه السلام لم يأذن لأبي الفضل في يوم العاشر في التقدم للقتال؛ أي بمعنى:

إن العادة جرت في الجيوش أن يكون حامل اللواء في قلب المعركة لما مرّ بيانه من توصيات لأمير المؤمنين علي عليه السلام لقادة جيشه في خصائص اللواء وحامله، ومن ثم يتركّز دوره في المعركة؛ في حين نجد أن الإمام الحسين عليه السلام قد أخر في خروج أبي الفضل عليه السلام فما هي الحكمة في ذلك؟

وجوابه من نقاط:

#6[###Ò k i ß M ¢ ¾ ½ 7 5D#5C[3 #ò D Ï Î ØE ¾ p ½ Å #6 4z #ä 7[D#Ô Ïó E ½ Ê Å #e Ï k E P
#3 6 # 7[#e Ï k E Q ½ D4 #; 4 # ¿ Á E º ½ D

١ – إن الإمام الحسين عليه السلام مع مراعاته لتلك الوصايا التي سمعها من أبيه عليهما السلام إلا أن معركته لم تكن هجومية منذ بدء وقوعها سوى بعض الاستثناءات التي اقتضتها تكتيكات المعركة كما مر بيانه، ولذا: كانت المصلحة الحربية تقتضي تأخير خروج حامل اللواء.

٢ – إن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هم من الأساس كانوا جامعين ومحرزين لكل صفات الروح القتالية والإيمانية فلم ير أحد مثلهم لا من قبلهم ولا من بعدهم فهم بهذه الحالة يصبح كل واحد منهم جيشاً بحد ذاته وأمة كما كان إبراهيم عليه السلام أمة في نفسه، ولذا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام قد أثنى عليهم بقوله:

«إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله خيراً».

٣ – في جميع المعارك يبقى اللواء دليل قيام الجيش وعدم انكساره وهزيمته، فإذا سقط اللواء كان ذلك له تأثيراً على العسكرين بالهزيمة والانكسار ولذا: كان المسلمون يحرصون أشد الحرص على عدم سقوط الراية في المعركة لهذه العلة.

ومن هنا:

حرص أبو الفضل العباس عليه السلام بحفظ اللواء وعدم سقوطه حينما ذهب لجلب الماء من نهر الفرات فقد قطعت يده اليمنى فحمل اللواء بما بقي له من عضد وأخذ السيف باليد اليسرى يقاتل به ثم كمنوا له مرة أخرى فقطعوا يده

اليسرى فانحنى على اللواء كي لا يسقط فضرب بعمود من حديد على رأسه.

وهذه الصورة لم تكن بالغريبة على آل أبي طالب، فبالأمس كان عمه جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة حاملاً للواء الإسلام في قتال الروم فقطعت يداه فحمل اللواء بما بقي من عضديه ثم طعن فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذي الجناحين يطير بهما في الجنة[1].

وهكذا هو أبو الفضل العباس عليه السلام كان كعمه في ساحة المعركة فضلاً عما كان يدافع من أجله، فهناك كان جعفر يقاتل لنشر الإسلام وهنا يدافع أبو الفضل عن كل الإسلام، عن التوحيد والنبوة والإمامة، والرجولة بكل ما بالكلمة من معنى؛ فضلاً عن الجوانب الإنسانية والأخلاقية في حمل الماء للنساء والأطفال ومنع نفسه من التذوق بقطرة من هذا الماء إيثاراً لأخيه وإمامه الغريب الوحيد الذي تحيط به الأطفال المذعورة والنساء المذهولة.

٤ - إن ما كان يتمتع به أبو الفضل العباس عليه السلام من سمات القيادة والفروسية والبأس والشدة والقوة التي جربها الأعداء من قبل حينما كشف ميمنة جيش السلطة الأموية وهم لم تنهكهم المعركة بعد ولم يتصوروا أن يتقهقروا بهذا الشكل حينما برز إليهم أبو الفضل وقد تكاملوا خمسمائة فارس كان ذلك بحد ذاته يشكل نصراً استراتيجيا وقوة مساندة لسيد الشهداء عليه السلام.

وعليه:

نجده عليه السلام قال لما استشهد العباس:

---

(1) [illegible]

«الآن انكسر ظهري وشمت بي عدوي»(١).

٥ - إن ما يتمتع به حجة الله تعالى من خلق نبوي يمنعه من ترك النساء دون حمىً؛ ولذا: كان من الحكمة أن يؤخّر الإمام الحسين عليه السلام خروج أبي الفضل؛ كي لا تبقى النساء غرضاً للهجوم حينما كان يتحرك الإمام الحسين عليه السلام في المعركة بين التوجيه لأصحابه وبين تلبية نداء بعض أصحابه وأهل بيته حينما يسقطون على الأرض وهم يحرصون على توديعه في هذه اللحظات الأخيرة وأن تغمض عيونهم في وجهه الكريم.

فهذه الأسباب وغيرها جعلت الإمام الحسين عليه السلام يؤخر في خروج حامل اللواء أبي الفضل العباس عليه السلام إلى هذا الوقت من المعركة ولذا: ترك استشهاده ألماً عظيماً في قلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبموته بقي الحسين عليه السلام وحيداً بكل ما للكلمة من معنى ودلالة؛ فقد سقط اللواء.

ولم يبق أمامه إلا ملاقاة القوم بنفسه المقدسة لإحياء دين جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي تكالب على نهشه كلاب الوثنية وذئاب النفاق، فقد آن الوقت لفدي الدين بذبح عظيم؛ وهو الذي هيأه جده من قبل لهذا اليوم فأعد له عدته من الأهل والأصحاب حتى الطفل الرضيع ونفسه المقدسة.

لكنه مع كل هذا كانت له عدته القتالية التي توازي هذه المجاميع من بني الضلالة والنفاق، فكانت كالآتي، كما في (ثالثاً).

#17 5 #7 8#Ñ p ¾ Y Â ¾(1) ½ # k E] M

¾ Ùk·? ÅÊ¸£Ñ'Ŗç Ä o¾ @ ›Ê Ŗ· Î Ê@ Ŗ@·L@ O?

إن مما امتازت به العدة القتالية لأبي عبد الله عليه السلام هو فرسه الذي قاتل عليه ولقد وفقنا الله تعالى إلى إثبات أنه من خيل جبرائيل عليه السلام(١)، مما يدل على أن الحرب منذ أن بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، هي حرب التوحيد والإصلاح، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعترته يقاتلون من أجل إعلاء كلمة التوحيد وصلاح الإنسان وإسعاده في الدنيا والآخرة.

أما آثار هذه العدة على المستوى العسكري والقتالي فلا يمكن حصر هذه الآثار وتتبعها، وذلك لحجب الرواة لسير المعركة بشكلها الدقيق؛ ولا شك أن الخسائر التي تكبدها جيش السلطة الأموية كبيرة جداً باستخدام هذه الوسيلة في القتال.

فضلاً عن آثارها على المستوى العقدي والفكري، وذلك أنهم يقاتلون رجلاً ارتبط بالله تعالى واختص به فحربه حرب الله ومن ثم أدركوا الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

وإن مشروعهم الإعلامي والتضليلي قد فشل مثلما فشل مخططهم العقدي والفكري وافتضحوا وتعروا أمام الإنسانية بأنهم يقاتلون أهل الله تعالى والصالحين من عباده وأنهم أهل الفسق والفجور والظلم وإن متبعهم سيلحق بهم وسيخسر كما خسروا في الدنيا وفي الآخرة أشد عذاباً.

¡ # / × D kÎ ¢ ¢ s E © # ¡ # Ä ß p ¢ # ½ Ä Î # Ë ¢ Î Ÿ D ¾ # E # ¢ ¢ # E Ø Q ¹ #X

#1 O # g à D Í # e Ï k E Q ½ D Í # Ô Æ

Î³g¤š? ÎW@j ºi¿ @¼ÀÊW ÂÎ Ê@TÊ K8@ e¡ ÞÊG Ùfk

إن الملاحظ في قتال الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قتل جميع أصحابه وأهل بيته، هو إتباعه لإستراتيجية قتالية لم يخالف فيها سيرة جده وأبيه صلوات الله عليهما في نزولهما المعارك إلاّ أن الفارق بين الحالات الثلاثة:

١ - إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشترك في القتال - بحسب المصادر التاريخية - إلاّ في معركة أحد فكان يقاتل المشركين وإلى جنبه علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي أخذ يدور حوله يذب عنه الكتائب.

٢ - إنّ قتال أمير المؤمنين عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي حياته في حروبه الثلاثة لم يكن بتلك الأجواء التي أحاطت بسيد الشهداء عليه السلام ولا يمكن قياسها بأي حالة من حالات المعارك على مر التاريخ؛ إذ يكفي وجود النساء والأطفال عاملاً مهما في دفع الرجل على التراجع عن القتال أو النزول عند إرادة العدو؛ لكننا نشهد حالة مخالفة؛ إذ أصبح هؤلاء محوراً من محاور الحرب وتحقيق النصر.

٣ - أما ما توافق بين قتال سيد الشهداء عليه السلام وجده وأبيه هو الابتداء بالمبارزة ثم الانتقال إلى الهجوم والالتحام مع العدو، مع ملاحظة مهمة:

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين صلوات الله عليه وإن كانا يبتدئان المعارك بالمبارزة ثم بالالتحام مع الجيش، إلاّ أنهما لم يكونا بمفردهما وإنما يحيط بهما أصحابهما وجندهما؛ لكن الإمام الحسين عليه السلام اتبع سيرة جده وأبيه صلوات الله وسلامه عليهم في نظام القتال لكنه امتاز بقتاله

وهجومه مفرداً مما يتطلب تكتيكاً خاصاً وقدرة فريدة في القتال لا يمكن إنجازها إلا لمن كانت قوته إلهية.

وعليه:

فيذكر المؤرخون: بأنه صلوات الله وسلامه عليه حينما نزل إلى ساحة المعركة (دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل جمعاً كثيراً.

ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

[illegible]

وحمل على الميسرة وهو يقول:

[illegible]

[illegible] [1]

وقد وصف قتاله عبد الله بن عمار فقال:

(ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجالة تنكشف بين يديه إذ شد فيها ولم يثبت له أحد)[2].

وفي لفظ آخر رواه حميد بن مسلم قائلاً:

(وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يتقي الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول:

«أعلى قتلي تحاثون، أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، أسخط عليكم لقتله مني، وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون؛ أما والله لو قتلتموني لقد ألقي الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»(آ).

ولا شك أن هذه إحدى حالات قتاله يوم عاشوراء بين أن يكون راجلاً وفارساً حتى سقط عن فرسه في آخر أمره صلوات الله وسلامه عليه.

المسألة الثانية عشرة: الآثار التي حققتها الإستراتيجية القتالية للإمام الحسين عليه السلام في قتاله جيش السلطة حينما نزل ساحة المعركة

ô $ @ †† ? í þ L2H †† C ôF†† +, Î í ô î †† Í ç Å †† ? í[MAã †† C Y

A\ ? í î D L T @ + ð ? î # R ñ ã F ñ R @ + 0 ñ P @ + H ?

إنّ هذه الحالة التي أصبح عليها جيش السلطة الأموية في كربلاء تتطلب من أمير الجيش أن يقوم بتدابير سريعة وإلا سيتم القضاء على الجيش عسكرياً؛ بمعنى: انهيار الجيش وفراره؛ أو انسحابه من المعركة وإعراضه عن مواصلة القتال لاسيما لتلك القطعات التي وقفت ترقب المعركة عن بعد وهي تعيش حالة الفشل والرعب.

#5 #z3#³=Æ • # Ñ LŸâD#¸£ #Q[¶#e Ï k E Q ½ #D7#6¡#G¸ Ó E ² D#¥#De Ï k E P

ولذا: أدرك عمر بن سعد أن قواته العسكرية شارفت على الانهيار أو القيام بالانقلاب على القيادة فسارع إلى مخاطبة الناس فصاح فيهم:

(هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب، فأتته أربعة آلاف نبلة)[1].

وقد التجأ عمر بن سعد إلى هذا النوع من الخطاب معتمداً على بعض المعطيات الفكرية التي تجمع الجند على هدف واحد وهو الإقدام على قتل الحسين لاجتماع عناصر متعددة لقتله، فهي:

١ - عنصر البغض العقدي لعلي بن أبي طالب عليه السلام ويرتكز على النفاق، فهذا ابن الأنزع البطين، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يجمعهم بغضه وهو سبب كان لقتل ولده.

٢ - العنصر العشائري في الانتقام ممن قتل أبوه العرب فعلي بن أبي طالب عليه السلام تطالبه العرب الدم لكونه قتل أبناءهم وأخوانهم وآباءهم وأجدادهم في حروبه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يقاتل تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو في حروبه الثلاث في الجمل وصفين والنهروان، وهذا أيضاً سبب كاف للانتقام من الحسين عليه السلام لأن أباه قتال العرب.

وعليه:

أعطى هذا الخطاب ثماره السريعة فقد رموا الإمام الحسين عليه السلام مباشرة بأربعة آلاف نبلة إلا أن هذه المكيدة لم تفلح بجميع الاتجاهات؛ إذ إنها

[illegible]

لا تدعو فقط إلى قتل الإمام الحسين عليه السلام وتوحد الجيش على هذا الهدف وإنما تدعوا إلى التعرض إلى بنات علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك أدركها الإمام الحسين عليه السلام وأجهضها من الناحية الحربية والنفسية والعقدية بخطاب آخر؛ إذ القوم يقاتلون للآن على عقيدة الجاهلية في الانتقام ممن قتل الآباء والأبناء فخاطبهم بلغتهم كي يكفهم عن التحرض للنساء فأرجعهم إلى النداء الذي اجتمعوا من حوله وهو القومية والعشائرية.

فصاح بهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وأرجعوا إلى أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

فناداه شمر بن ذي الجوشن:

ما تقول يا ابن فاطمة؟ قال:

«أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً».

فقال الشمر: لك ذلك)[1].

ولا يخفى ما لهذا الفعل من آثار مستقبلية على الفكر الإنساني على مر العصور لاسيما أصحاب الحمية والغيرة والرجولة، ومن ثم قد حققت نصراً في حربه ضد الفساد وإحياء الضمائر وتحرير العقول من قيود الجاهلية والعبودية

---

(1) [illegible]

للجهل والنفس والسلطة والمال والجاه فخلق الأحرار في العالم، ولذا كان من كناه المشهورة (أبو الأحرار).

óNòH?íM T Nø?í Ì FS < ,Îí ó T8+ Åñ FSî'ôÞGîûF+

إن دراسة النصوص التاريخية لمعركة عاشوراء ولاسيما فيما يتعلق بالجزء الأخير منها، أي: عند بدء خروج أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقتال وأبناء عمه أبي طالب واستشهادهم جميعا في الدفاع عن عقيدة التوحيد وحفظ حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام بعد النص على أبيه وأخيه يرشد القارئ إلى تباين عقيدتين متضادتين في التوحيد والنبوة.

فضلاً عن هذا التباين فإن المساس بهم وقتالهم مع ما لهم من رحم ماسة بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وتضافر النصوص القرآنية والنبوية في مودتهم وحفظهم وصونهم يعد جريمة عظمى لما يترتب عليها من آثار في هدم الإسلام وتقويضه؛ لا زال المسلمون يدفعون ضريبتها إلى يومنا هذا.

في المقابل:

تشهد المعركة مرحلة التعري العقدي وانكشاف حقيقة الفكر والقيم التي تحملها السلطة والأموية ورموزها مما شكل تصحيحاً لتبني المسلمين هذه العقيدة آنذاك، ممن كانوا يرون أن الإسلام ممثل بهذه السلطة ورموزها وأنها اكتسبت شرعيتها واستحقاقها في إدارة البلاد وسياسة العباد من خلال تمسكها بالقرآن والسنّة المحمدية.

فما كان من هذه المعركة إلا لتكشف حقيقة هذه السلطة وتهاوي ركائزها التي أقيمت عليها وأنها لا تمت بأي صلة إلى القرآن والسنة المحمدية؛ بل اتضح أنها استوظفت الإسلام لغرض الإمارة والملك والتحكم بالبلاد واستعباد العباد.

وهذه النتائج ما كانت لتظهر لولا معركة عاشوراء وما جرى فيها من استراتيجيات لتجنيد الفكر باتجاه الإسلام المحمدي الصحيح الذي جاهد وكافح وبلغ وأنذر من أجله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأهل بيته الذين قدموا أنفسهم في سبيل تصحيح هذه العقيدة ورجوع المسلمين إلى القرآن والسنة المحمدية اللذين نصا على التمسك بالعترة النبوية؛ لأنها السبيل الوحيد إلى معرفة القرآن وما جاء به النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

جاءت معركة الطف لتضع استراتيجياتها الحربية ضد الفساد والظلم والبدع وبناء أسس الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن هذه السلطة ورموزها بقتلها آل النبوة بهذه الوحشية وتجاهرها بحرب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تكون قد تعرت أمام جميع المسلمين ممن كانوا يؤمنون بالإسلام حقاً وبما جاء به القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس الذين تأسلموا لقتل الإسلام وأهله.

بمعنى:

أن معركة عاشوراء قدمت الأدوات والوسائل المختلفة التي من خلالها يستطع كل إنسان عاقل أن يستخدمها لمعرفة الحق من الباطل ومعرفة الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليس الإسلام الذي جاء به الحكام الذين جلسوا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدون نص إلهي ونبوي معتمدين على السبل للمجيء بعقيدة جديدة لا تحمل من الإسلام إلا الاسم ومن التوحيد إلا التكبير الذي يتعالى عند قطع رأس سيد شباب أهل الجنة وريحانة سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم.

فأي إله هذا الذي يكبرون به ورأس سيد شباب جنته مرفوع على رمح طويل؛ وأي إله هذا الذي يكبرون به ورحم سيد من بعث الله من الأنبياء والمرسلين مذبوح من الوريد إلى الوريد، وهو طفل لم يبلغ من العمر ستة أشهر؟!

إنها أسئلة كثيرة أجابت عنها معركة عاشوراء فجنّدت الفكر ضمن معطيات القرآن والسنة المحمدية فحفظتها من الانهيار، بعد أن جهدت السلطة خلال نصف قرن من إعمال كل الوسائل في تغيير المعطيات الفكرية التي جاء بها الإسلام[1]؛ حتى تمكنت من دفع هذه الأعداد من الجند وتحويل فكرهم، فباتوا يتقربون على السلطة بقتل أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقطيع رؤوسهم وسحق أجسادهم، والتفاخر بذلك وكأن محمداً لم يبعث فيهم؛ أو

À ß ¢ ¢ c # Ñ Á ß ¢ ¢ o ä D # « ¢ ¢ Â Q D # Ð ¢ ¢ ® P # ¡ #(١) Ô ó ¾ p ¢ ¢
Ë ¢ ¢ Ð ¾ © # – p ¢ ¢ ‰ D # Ä E ¢ ¢ Á ä D [illegible]
#[illegible] D

كأنهم حققوا ما عجز عنه آباؤهم وأجدادهم في قتل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، بهذه الطريقة التي قتلوا فيها أبناءه وبناته وأحفاده... فذبحوا التكبير بالتكبير!

فسلام على الحسين يوم ولد.. ويوم استشهد.. ويوم يبعث حياً.

3 ...وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ2 (١).

3 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ2 (١).

تم بحمد الله تعالى وسابق لطفه في يوم الأحد ٢٢/شعبان/١٤٣٤هـ.

الموافق: ٣٠ /حزيران / ٢٠١٣م

#1 ;#Ô ï â D # / g#) Î É # Ó k Î

#14 ;#5Ô ï â D # / S E(1#) E x ½ D #

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ٣٣ إستراتيجية للحرب / تأليف: روبرت غرين / ترجمة: سامر أبو هوامش / نشر وطبع: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) لسنة ٢٠٠٩ / الطبعة الأولى / أبو ظبي - الإمارات.

٣. إبصار العين في أنصار الحسين / محمد ابن الشيخ طاهر السماوي / تحقيق: علي جهاد الحساني / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البلاغة - دار سلوني / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٤. الإتحاف بحب الأشراف / تأليف: الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي / تحقيق: سامي الغريري / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتاب الإسلامي / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م / قم المقدسة - إيران.

٥. إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي / نشر: دار الأضواء / بيروت - لبنان.

٦. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ / تأليف: أحمد بن يوسف القرماني / تحقيق: د. أحمد حطيط، د. فهمي سعد / نشر: عالم الكتب / الطبعة الأولى / سنة الطبع: ١٤١٢هـ، ١٩٩١م / بيروت - لبنان.

٧. الأخبار الطوال / أحمد بن داود الدينوري / تحقيق: د. عصام محمد الحاج علي / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٨. الإدارة الإستراتيجية / تأليف: د. هشام عبد الله الغريري / نشر وطبع: مكتبة الفلاح لسنة ٢٠١٠م / الطبعة الأولى / الكويت.

٩. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

١٠. الإستراتيجية وتاريخها في العالم / تأليف: ج.ل. ليدل هارت / ترجمة: الهيثم الأيوبي / نشر وطبع: دار الطليعة لسنة ١٤٢١هـ / الطبعة الرابعة / بيروت - لبنان.

١١. إعلام الورى بأعلام الهدى / تأليف: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / قم المقدسة.

١٢. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / نشر: دار التعارف للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / بيروت - لبنان.

١٣. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / تأليف: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الاندلسي / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٧هـ / بيروت.

١٤. الأمالي / تأليف الشيخ الطوسي رحمه الله / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة / الطبعة الأولى / نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / قم المقدسة.

١٥. الأمالي / تأليف: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / الطبعة الأولى / نشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / قم المقدسة.

١٦. الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام / تأليف: السيد نبيل الحسني / الطبعة الأولى / نشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة / سنة الطبع: ١٤٣٠هـ / بيروت.

١٧. أنساب الأشراف / تأليف: البلاذري / تحقيق: محمود الفردوس العظم / الطبعة الأولى / نشر: دار اليقظة العربية / سنة الطبع: ١٩٩٧م / دمشق - سوريا.

١٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي / الطبعة الثانية المصححة / نشر: مؤسسة الوفاء / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت - لبنان.

١٩. البداية والنهاية / تأليف: ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) / تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ، ١٩٩٨م / بيروت.

٢٠. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ محمد ابن الحسن بن فروخ الصفار / الطبعة الأولى / ترجمة السيد محمد السيد حسين المعلم / نشر: المكتبة الحيدرية / سنة الطبع: ١٤٢٦هـ / قم المقدسة - إيران.

٢١. بغية الطلب في تاريخ حلب / تأليف: الصاحب كمال الدين ابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة / تحقيق: سهيل زكار / نشر وطبع: دار الفكر / بيروت - لبنان.

٢٢. تاريخ الطبري / تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت - لبنان.

٢٣. تاريخ مدينة دمشق / تأليف: ابن عساكر / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت - لبنان.

٢٤. تجارب الأمم / تأليف: أحمد بن محمد مسكويه الرازي (ت ٤٢١هـ) / تحقيق: الدكتور أبو القاسم إمامي / نشر: دار سروش للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م / الطبعة الثانية / طبع: مطابع دار سروش / طهران - إيران.

٢٥. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / تأليف: ابن شعبة الحراني / تصحيح وتحقيق: علي أكبر الغفاري / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م / قم المقدسة - إيران.

٢٦. تفسير السمرقندي / تأليف: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي / تحقيق: د. محمود مطرجي / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٧هـ / بيروت - لبنان.

٢٧. تهذيب تاريخ دمشق / تأليف: ابن عساكر، علي بن الحسن بدران، عبد القادر / نشر وطبع: مطبعة روضة الشام لسنة ١٩١١م / دمشق - سوريا.

٢٨. توضيح المشتبه / تأليف: محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ابن ناصر الدين) (ت ٨٤٢هـ) / نشر: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / الطبعة الثانية / بيروت - لبنان.

٢٩. تولي القيادة فن القيادة العسكرية وعلمها / تأليف: العقيد صامويل هيز والمقدم وليم توماس / ترجمة: سامي هاشم / نشر وطبع: المؤسسة العربية للدراسات لسنة ١٩٨٣م / الطبعة الأول / بيروت - لبنان.

٣٠. الثاقب في المناقب / تأليف: محمد بن علي الطوسي (المعروف بابن حمزة) / تحقيق: نبيل رضا علوان / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة أنصاريان / سنة الطبع: ١٤١٢هـ / قم المقدسة.

٣١. الثقات / تأليف: محمد بن حبان التميمي البستي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الكتب الثقافية / سنة الطبع: ١٣٩٣م / حيدر آباد الدكن الهند.

٣٢. الجرح والتعديل / تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي

التميمي / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٩٥٢م / بيروت.

٣٣. الجمال في عاشوراء / تأليف: السيد نبيل الحسني / نشر: قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة لسنة ١٤٢٨هـ، / طبع: مؤسسة الأعلمي / الطبعة الأولى / كربلاء المقدسة - العراق.

٣٤. الجيش والسلاح دراسات في تاريخ العراق وحضارته / تأليف: نخبة من أساتذة التاريخ / نشر وطبع: دار الحرية للطباعة لسنة ١٤٠٨هـ / الطبعة الأولى / بغداد - العراق.

٣٥. الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية / تأليف: حميد بن أحمد بن محمد المحلي / تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني / نشر وطبع: مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٢٣هـن ٢٠٠٢م / الطبعة الثانية.

٣٦. الخرائج والجرائح / تأليف: قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) / تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف / الطبعة الأولى، كاملة محققة / نشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / سنة الطبع: ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م / قم المقدسة - إيران.

٣٧. الخصال / تأليف: الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ) / تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري / نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ / قم المقدسة.

٣٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - / تأليف: أبو عبد الرحيم أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) / طبع: مكتبة المعلا لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م / الطبعة الأولى / الكويت.

٣٩. الدر النظيم / تأليف: يوسف بن حات الشامي المشغري العاملي (ت ٦٦٤هـ) / نشر وطبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم المقدسة - إيران.

٤٠. الدرر في اختصار المغازي والسير / تأليف: الحافظ يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ) / نشر وطبع: دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.

٤١. دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي / تأليف: السيد نبيل الحسني / نشر: قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة لسنة ١٤٣٢هـ / طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / الطبعة الأولى / كربلاء المقدسة - العراق.

٤٢. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة / المولى محمد باقر عبد الكريم البهبهاني / الطبعة الأولى / نشر مؤسسة الأعلمي ، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / بيروت.

٤٣. دول الإسلام مختصر تاريخ الإسلام / تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) /

مخطوطة ترقد في مكتبة باتافيا بجاكرتا يحمل الرقم (٩٨٨).

٤٤. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / تأليف: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري / نشر: دار المعرفة / بيروت - لبنان.

٤٥. روضة الواعظين / تأليف: محمد بن الفتال النيسابوري / تحقيق: مجتبى الغرجي / الطبعة الأولى / نشر: دليل ما / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة - إيران.

٤٦. سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء / تأليف: السيد نبيل الحسني / نشر: قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة لسنة ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م / طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / الطبعة الأولى / كربلاء المقدسة - العراق.

٤٧. سنن الترمذي / تأليف: الترمذي / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / الطبعة الثانية / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت.

٤٨. السيرة النبوية / تأليف: ابن هشام / تحقيق: مصطفى السقا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة علوم القرآن / بيروت.

٤٩. شرح مقامات الحريري / تأليف: أبو العباس أحمد عبد المؤمن القيسي الشريشي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / نشر وطبع: دار المكتبة العصرية لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٥٠. شرح نهج البلاغة / تأليف: ابن أبي الحديد المعتزلي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء الكتب العربية / سنة الطبع: ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م / بغداد.

٥١. شرح نهج البلاغة / تأليف: ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) / عنى بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها / نشر وطبع: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي - الحوزة العلمية لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.

٥٢. صحيح البخاري / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري / الطبعة الرابعة / نشر: عالم الكتب / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / بيروت.

٥٣. صحيح مسلم / تأليف: محي الدين النووي الشافعي / تحقيق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٥٤. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة / تأليف: أحمد بن حجر الهيتمي المكي / خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف / الطبعة الثانية / نشر: مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان / سنة الطبع: ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م / القاهرة - مصر.

٥٥. الطبقات الكبرى / تأليف: محمد بن سعد / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر - دار بيروت /

سنة الطبع: ١٣٧٦هـ / بيروت.

٥٦. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف / تأليف: السيد ابن طاووس / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الخيام / سنة الطبع: ١٣٩٩هـ / قم المقدسة.

٥٧. علم النفس العسكري / تأليف: د. محمد شحاته ربيع / نشر وطبع: دار المسيرة لسنة ٢٠١٠م / الطبعة الأولى / عمان.

٥٨. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام / تأليف: الشيخ عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ) / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف / إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني / نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام في الحوزة العلمية لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م / طبع: مطبعة الأمير / الطبعة الأولى المحققة / قم المقدسة - إيران.

٥٩. الفتوح / تأليف: أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي / تحقيق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤١١هـ / بيروت.

٦٠. فتوح البلدان / تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) / نشر وإلحاق وفهرسة: الدكتور صلاح الدين المنجد / نشر: مكتبة النهضة المصرية لسنة ١٩٥٦م / طبع: مطبعة لجنة البيان العربي / القاهرة - مصر.

٦١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة / تأليف: علي بن محمد بن احمد المالكي (ابن الصباغ) / تحقيق: سامي الغريري / الطبعة الأولى / نشر: دار الحديث للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / قم المقدسة - إيران.

٦٢. فضائل الصحابة / تأليف: أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م / بيروت - لبنان.

٦٣. الفن العسكري الإسلامي - أصوله ومصادره / تأليف: د. ياسين سويد / نشر وطبع: شركة المطبوعات لسنة ٢٠١٠م / الطبعة الثالثة / بيروت - لبنان.

٦٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير / تأليف: المناوي / تصحيح: أحمد عبد السلام / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م / بيروت - لبنان.

٦٥. كامل الزيارات / تأليف: الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد القمي / تحقيق: الشيخ جواد القيوم الأصفهاني / الطبعة الثالثة / نشر: دار نشر الفقاهة / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / قم المقدسة - إيران.

٦٦. الكامل في التاريخ / تأليف: ابن الأثير / نشر: دار صادر / سنة الطبع: ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م / بيروت.

٦٧. كتاب سليم بن قيس الهلالي / سليم بن قيس الهلالي / تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني / الطبعة الثالثة / نشر: دار دليل ما / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة - إيران.

٦٨. كمال الدين وتمام نعمة / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت - لبنان.

٦٩. كنز الفوائد / تأليف: أبو الفرج الكراكجي (ت ٤٤٩هـ) / نشر: مكتبة المصطفوي لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م / طبع: مطبعة الغدير / الطبعة الثانية / قم المقدسة - إيران.

٧٠. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المصري / تحقيق: عامر أحمد حيدر / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٧١. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد رضي الدين أبي القاسم بن طاووس / الطبعة الثانية / نشر: أنوار الهدى / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة - إيران.

٧٢. لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام / السيد محسن الأمين العاملي / تحقيق: السيد حسن الأمين / الطبعة الأولى / نشر: دار الأمير / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

٧٣. مثير الأحزان / تأليف: نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحلي / الطبعة الأولى / نشر: دار العلوم / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٧٤. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة / تأليف: السيد شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ) / مراجعة وتحقيق: محمود بدري / نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية لسنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٢م / طبع: مطبعة العترة / الطبعة الأولى / قم المقدسة - إيران.

٧٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي / تحقيق عبد الله محمد الدرويش / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٧٦. مختصر بصائر الدرجات / تأليف: حسن بن سليمان الحلي / الطبعة الأولى / نشر: منشورات المطبعة الحيدرية / سنة الطبع: ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م / النجف الأشرف - العراق.

٧٧. المخصص / تأليف: ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) / تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

٧٨. المستدرك على الصحيحين / تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٧٩. مسند أحمد / تأليف: احمد بن محمد بن حنبل / تحقيق: احمد محمد شاكر / نشر: مكتبة

التراث الإسلامي / القاهرة – مصر.

٨٠. المصنف / تأليف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي / تحقيق وتعليق: سعيد اللحام / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م / بيروت.

٨١. المعجم الكبير / تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي / الطبعة الأولى / نشر: الدار العربية للطباعة / سنة الطبع: ١٣١٩هـ / بيروت.

٨٢. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية / تأليف: محمود عبد الرحمن عبد المنعم / نشر وطبع: دار الفضيلة / القاهرة – مصر.

٨٣. المغازي / تأليف: محمد بن عمر الواقدي / تحقيق: د. مارسدن جونس / نشر: مكتب الإعلام الإسلامي / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / قم المقدسة – إيران.

٨٤. مقاتل الطالبيين / تأليف: أبي الفرج الأصفهاني / الطبعة الأولى / نشر: دار التربية / بغداد – العراق.

٨٥. مقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام / تأليف: أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / الطبعة الأولى / نشر: دار المحجة البيضاء / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٨٦. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النور / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٨٧. مقتل الحسين / تأليف: أبو المؤيّد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم المعروف بالخوارزمي / تحقيق: الشيخ محمد السماوي / الطبعة الثانية / نشر: دار أنوار الهدى / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م / قم المقدسة – إيران.

٨٨. مناقب آل أبي طالب / تأليف: ابن شهر آشوب / تحقيق: د. يوسف البقاعي / الطبعة الأولى / نشر: مركز الأبحاث العقائدية / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / قم المقدسة.

٨٩. مناقب الإمام علي عليه السلام / تأليف: محمد بن سليمان الكوفي / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة الأولى / نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٢هـ / قم المقدسة – إيران.

٩٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / تأليف: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) / دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور / نشر وطبع: دار

الكتب العلمية لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م / الطبعة الأولى / بيروت - لبنان.

٩١. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم / الشيخ عباس القمي / الطبعة الأولى / نشر: انتشارات ذوي القربى / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / قم المقدسة - إيران.

٩٢. نهاية الأرب في فنون الأدب / تأليف: النويري / نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي / القاهرة - مصر.

٩٣. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام / تجميع: الشريف الرضي، السيد محمود المرعشي / نشر: مكتبة السيد المرعشي / سنة الطبع: ١٤٠٦هـ / قم المقدسة - إيران.

٩٤. الهداية الكبرى / تأليف: الحسين بن حمدان الخصيبي / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١١هـ، ١٩٩١م / بيروت - لبنان.

٩٥. وسائل الشيعة / تأليف: الحر العاملي / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / قم المقدسة - إيران.

٩٦. اليحموم فرس جبرائيل عليه السلام في عاشوراء، في القرآن والسنة والتاريخ والأدب / تأليف: السيد نبيل الحسني / نشر: قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة لسنة ٢٠١٢م / طبع: مؤسسة الأعلمي / الطبعة الثانية / كربلاء المقدسة - العراق.

٩٧. ينابيع المودة لذوي القربى / تأليف: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني / الطبعة الأولى / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤١٦هـ / بيروت - لبنان.

المحتويات

المبحث الأول

معنى الإستراتيجية وتعريفها

المبحث الثاني

إستراتيجية الهدف العسكري والهدف المعنوي عند الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الثالث

الإستراتيجية العسكرية والإستراتيجية العليا عند الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الرابع

استراتيجيات الهجوم غير المباشر لبلوغ الهدف

المبحث الخامس

فنون معركة الطف العسكرية والتكتيكات القتالية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام

ôT3î8ü?íM ôS <4?í EMæ ?í B 7 õí í ç

ô 8Îí ôTHT ?í ôòø,?í Ì

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني

٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة — ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد — البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية — طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق — طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم — طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني

٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi'a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية

٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات – جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussai	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	المختصر المسطور لكتاب شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور	علي حسان شويليه
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني